حوارات في الحضارة السورية

حوارات في الحضارة السورية
تأليف: د. بشار خليف
الطبعة الأولى, 2007



الناشر:
دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر
العنوان الرئيسي
دمشق – قدسيا – الأحداث
شارع صلاح الدين الأيوبي
جادة الجلاء (3) – بناء رقم 10.
هاتف: 32398888-11-963+
فاكس: 32398882-11-963+
بريد الكتروني: al-raee@mail.sy

تصميم الغلاف والإشراف الفني:

التنضيد الضوئي:
دار الرائي / دمشق – سورية.

د. بشار خليف

حوارات في الحضارة السورية

المحتويات

الإهداء

إلى الدكتور محمد خليف
صديقي..
أبي.
إلى الدكتور محمد محفّل
الصديق، المنارة.

تمهيد

يضمّ هذا الكتاب جملة من الحوارات مع باحثين ومؤرخين أجانب وعرب وسوريين، كنا قد أجريناها على مدى عقدين من الزمن تقريباً.

والحقيقة أنني لم أفكر يوماً في ضمّ هذه الحوارات في كتاب، إلا أن آراء بعض الأصدقاء والمهتمين جعلتني أجمعها في هذا الكتاب.

وقد جاءت هذه الحوارات في سياق عملي الصحفي عبر حضور المؤتمرات الدولية التي عَنَت الحضارة السورية بكافة أوجهها ومراكزها وفاعليتها.

لذا فإن كل ما سنقرؤه هو حصيلة جهد امتد لحوالي عشرين عاماً تقريباً، ابتدأ منذ عام /1989/ وحتى /2007/، مع الأخذ بعين الاعتبار لعامل الزمن، حيث أن هذه الحوارات سواء في أسئلتها أو أجوبتها هي ابنة تاريخها، لا سيما وأننا في حقل الآثار والتاريخ في المشرق العربي، نحن أمام معطيات متجددة دائماً.

أيضاً، لا يعني هذا الأمر أننا لم نتقصد في الحوارات تلك مناقشة البنى والمعايير والاصطلاحات التي تشكّل رائز مطلق حضارة، لهذا نجد أنفسنا نتدخل في محاولة

لهزّ راكد البديهيات التي وشّحت الدراسات والأدبيات التاريخية لحضارتنا.
تبتدئ هذه الحوارات بعام /1989/ عبر الندوة الدولية لتاريخ وآثار محافظة إدلب والتي انعقدت في إدلب في الفترة بين 25-28 أيلول.
وقد أجرينا خلالها لقاءات مع البروفسور باولو ماتييه- مكتشف إبلا في تل مرديخ، الدكتورة غابرييلا ماتييه، الدكتور هورست كلينغل، الدكتور علي أبو عساف، الدكتور عدنان البني، الدكتور أنطون سليمان، البروفسورة إيفا شترومنغر، الدكتور شوقي شعث، الأستاذ وحيد خياطة، الدكتور مانفريد كويبرنيك.
وعام /1990/ وفي الفترة بين 29-31 تشرين الأول، جرت وقائع الندوة الدولية لتاريخ وآثار السويداء. وقد أجرينا من خلالها حوارات عديدة مع الباحثين المشاركين:
الدكتور فرانسوا فيلنوف، البروفسور ميخائيل ماينكه، الدكتور فرانك بريمر، الدكتور كريستيان أوجيه، الأستاذ بشير زهدي،

الدكتورة هيلغا زيدن، الدكتور فواز الخريشة، الأستاذ محمد الخولي.
وفي الندوة الدولية لتدمر وطريق الحرير، والتي تمت في مدينة تدمر في الفترة بين 7-11 نيسان عام /1992/، أجرينا حوارات مع الأستاذ خالد الأسعد، الدكتور نقولا زيادة، الدكتور محمد حرب فرزات، الدكتور ميشيل غاوليكوفسكي.
بالإضافة إلى إجراء استبيان عن بناء تدمر بين المرويات التوراتية والحقيقة العلمية الموضوعية. وقد رافق الندوات الثلاث جملة تساؤلات اختصت في محاولة إعادة النظر في البديهيات التاريخية التي كادت أن تُشكّل حقائق موضوعية بمجرى الزمن، منها، استخدام اصطلاح السامية، الهجرات السامية، وهل نحن أمام الأخذ بفلسفة التاريخ أم بعلم التاريخ.. إلخ.
والجدير ذكره هنا، أن معظم هذه الحوارات نُشرت في صحيفة البناء – صباح الخير اللبنانية.

أيضاً، ثمة حوارات جاءت خارج إطار تلك المؤتمرات وهي مع الدكتور حسني حداد /1991/، الدكتور نائل حنون /2006/، الدكتور محمد بهجت قبيسي /2007/، الدكتور عفيف بهنسي /2007/، الدكتور محمد محفّل / 1991/، الدكتور حميدو حمادة / 2007/.

وقد نشرت هذه الحوارات حسب ترتيب الأسماء: مجلة البناء – صباح الخير – مجلة مهد الحضارات- نشرة كلنا شركاء في الوطن الإلكترونية – نشرة كلنا شركاء في الوطن – صحيفة الديار – صحيفة الحياة اللندنية.

كما نشرت دراسة مصطلح السامية واستبيانها في صحيفة تشرين السورية في 2000/12/17/.

كذلك نشر استبيان ودراسة مركز الرقم المسمارية في مجلة تشرين الأسبوعي.

وبعد..

أرجو أن أكون قد وُفقت في تقديم هذه الحوارات بشكل يليق بالأسماء المحترمة

واللامعة في حقل البحوث الآثارية والتاريخية السورية، مع الوقوف باحترام وتأسف على الذين رحلوا ـ ممن التقيناهم- إلى " بيت الأبدية " وأخص منهم: " الدكتور نقولا زيادة – الدكتور سليم عبد الحق – الدكتور حسني حداد – الأستاذ نسيب صليبي ".

وفي الختام.. باقة حب لمن آزرني وقدّم يد العون الفنّي والعملي خلال تلك الندوات ولا سيما المهندسة ماريان صفائي والأستاذ هيثم حسن من المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

كذلك تقدير للآنسة شيرين علي على المساعدة الثمينة التي أمدتني بها طيلة التحضير لإعداد هذا الكتاب.

المؤلف

المقدمـة

" إن التاريخ كله.. عبارة عن تاريخ معاصر " هذا ما يقوله المؤرخ الإيطالي BENEDETTO CROCE فليس ثمة تاريخ يعيد نفسه، وليس هناك تاريخ لن يعود. فحكاية الإنسانية تمتد عبر خط واحد في الزمان والمكان، وتشابه الحدث التاريخي

عبر الأزمنة لا يدل على أن التاريخ عاد، فالإنسان لا يسبح في نفس النهر مرتين.
وإن كانت الحضارة السورية ممتدة في الزمان إلى ما يزيد على المليون عام، فإن مقاربة المكان السوري تأخذنا في مساق التاريخ إلى ما وراءه.
وإلا ماذا يعني تأسيس حضارة قرطاج؟ وماذا يعني فتح الأندلس، وماذا يعني أيضاً أن تنتشر اللغة الآرامية حتى الشرق الأقصى.
وأيضاً، تلك الآلهة التي حملها إنساننا كي تصير أساس معابد الحضارة الرومانية، حقاً لقد صبّ نهر العاصي مياهه في نهر التيبر منذ زمن بعيد.
وإن كنا على دراية بالأقانيم الحضارية المؤسسة للحضارة الإنسانية، ابتكار الزراعة والتدجين، الثورة المدينية والعمرانية، الثورة الكتابية في اختراع الكتابة ومن ثم الأبجدية، فإن كل هذا يضعنا أمام حقائق عدة استندت إليها معالم التوازن الحضاري السوري:

فأولاً: ما ميز الشخصية السورية عبر التاريخ هو وعيها لحركة الزمن، وهذا الوعي الملهم هو الذي أدى إلى وعي المكان والبيئة المحيطة.
وهذا ما أدى إلى تكوّن تلك الشخصية وفق ناظم الانفتاح والتفاعل والتسامح الذي أدى بدوره إلى تراكم المنجز الحضاري الإنساني.
فقيم التفاؤل مثلاً، تجعل أوجاريت تهضم الكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية ثم تنبثق منهما بإبداع الأبجدية.
ونفس القيم تلك، جعلت إبلا تطور الكتابة الأكادية أيضاً.
وكذلك.. تدمر التي ضمت معابدها آلهات الكون تحت جناح الإله بل السوري.
وثانياً: المدقق في خصائص الشخصية السورية، يلحظ أن ثمة هاجساً لدى السوريين يتبدّى في أنهم لا يكتفون بإبداع المنجز الحضاري، لا بل يسعون لنقله إلى المجتمعات الإنسانية، وليس أدل على ذلك من سعي

" قدموس " الباحث عن أخته في أوروبا،
إلى تعليم عالم المتوسط حروف الأبجدية.
وتلك التساؤلات الوجودية المهمة في
أسطورة جلجامش التي لا تقف عند مسألة
الموت فقط، بقدر ما تقدم معطى جديداً لحب
الحياة.
وهذا ما تناولته أسطورة بعل وموت
الأوجاريتية أيضاً.
ثالثاً: عبر مسيرتها، لم تألف الشخصية
السورية مظاهر الانغلاق والاستعلاء، وعلى
هذا نفهم مسار الحروب السورية تاريخياً
والتي كانت دفاعاً عن قيم التفاعل والحوار
والانفتاح. هذا ما تؤكده الحروب السورية
الآرامية والسلوقية والتدمرية.
بهذا ربما أكون قد خرجت من مجمل تلك
الحوارات التي أجريتها مع كبار الباحثين
الأجانب والعرب والسوريين، حيث كنا سائلين
حيناً، ومستفسرين أحياناً، نختلف، ولكن نبقى
وفق ناظم السعي نحو الحقيقة التاريخية
الموضوعية.

أعتقد أن هذه الحقيقة الحضارية هي التي دفعت البروفسور باولو ماتييه للقول أن نصفه الأول إيطالي ونصفه الآخر سوري. وهي نفسها التي جعلت الدكتور هورست كلينغل ليقول لنا أن سوريا وطنه الثاني. وهي أيضاً التي دفعت الدكتور ميشيل غاوليكوفسكي للقول أن في سورية هنا.. هنا النبع وهنا منبع الحضارة الأوروبية.

فقول هذا لا للمباهاة ولكن من أجل أن نتمثل بماضينا الحضاري في قيمه المتسامحة والمبدعة والمتفاعلة من أجل استمرارنا الحضاري كوننا ضرورة إنسانية ولا سيما مع المعالم المغبّرة للألف الثالثة التي بدأنا بها.

وبعد..

يلحظ القارئ أن ثمة محاور عديدة أخذها نسق الحوارات، فمن مقولة الهجرات السامية مروراً بمصطلح السامية، إلى المرويات التوراتية التي تزعم أن سليمان التوراتي بنى تدمر في الصحراء، نجد أننا حاولنا مقاربة بعض البديهيات في سعي للوصول إلى حقيقة

بديلة موضوعية، بحيث أصبحنا أمام حوارات غير مباشرة بين الباحثين حول أمر واحد، ينقصه أن تنعقد الموائد المستديرة لإتمام المناقشات للوصول إلى ما نبتغيه.
والحقيقة أنه فيما خلا بعض كبار العلماء الأجانب، فإن معظم الآخرين منهم، قتلته طبيعة الاختصاص إلى درجة جعلتنا نقف حائرين تجاه هذا الاختزال العلمي الصعب.
كما أن هروب بعض الباحثين الأجانب من الإجابة على سؤال " بناء تدمر " كما يلحظ القارئ، يدفع إلى تساؤل مريب مفاده: كيف تلتقي قمة العلم بقمة الخرافة التوراتية ؟
هي جملة تساؤلات، أجوبتها كانت حزينة.. لولا بعض رافعات إنسانية حضارية تمثّلت في الدكتورة أنّا سادروسكا وميشيل غاوليكوفسكي وهيلغا زيدن وهورست كلينغل وآخرين.
على كل، أرجو أن أكون قد استطعت أن أقدّم مادة حوارية خصبة تدفع لا للتوقف عندها

بقدر ما تدفع لفتح منافذ جديدة للسؤال، للحقيقة.. الكامنة فينا.

المؤلف

الدكتورة غابرييلا ماتييه- إيطاليا
GABRIELLA MATTHIAE

✦ كيف يمكننا أن نعلّل وجود تأثير فني مصري قديم في الفنّون السورية الإبلائية؟ في الألف الثالث قبل الميلاد وفي النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد لم يعثر على رسائل من فراعنة مصر إلى ملوك إبلا- لأن الرسائل تكشف عن طبيعة العلاقات

القائمة من حيث المعاهدات والمواثيق والحروب والتفاعلات الحضارية ـ ولكن ثبت وجود رسائل مصرية إلى إبلا في العصر البرونزي المتأخر أي في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد.

العلاقات بين مصر وإبلا في الألف الثالث والنصف الأول من الألف الثاني اقتصرت على إرسال المصريين لحملات إلى بلاد الشام لإحضار منتجات وسلع يحتاجون إليها مثل خشب الأرز، الأرجوان (من أجل التحنيط)، زيوت، عطور، وبعض البضائع مثل اللازورد فكانوا يستوردونها من أفغانستان والتي كانت تصل إلى مصر عن طريق الهلال الخصيب أما في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد فقد أصبحت علاقات إبلا مع مصر علاقة حميمة حيث كان المصريون يحملون الهدايا والعطايا والتقدمات إلى بلاد الشام لهذا كان لمصر تأثير قوي على إبلا بنتيجة العلاقات الاقتصادية والتجارية العامة بين مصر وبلاد الشام. وبنتيجة هذه العلاقات غزا الفنّ

المصري إبلا وكان هذا الفنّ راقياً وجميلاً ومكتملاً - إذا صحّ التعبير - فقلدها الفنّان الإبلائي وبدا أثر المصريين في الفنّ الإبلائي.

✦ سننتقل إلى الجناح الشرقي للهلال الخصيب. والسؤال هو طالما أن إبلا بموقعها الجغرافي قريبة ومجاورة لحضارات المدن مثل أكاد وسومر، وأزيد على ذلك هو أن حتى لغة إبلا أكادية الطابع والمفردات والحروف. ترى ألم يكن هناك تأثير فني لحضارات أو ثقافات الرافدين على إبلا أقوى من التأثيرات الفنّية. المصرية؟

ميزنا في الألف الثالث قبل الميلاد تأثيراً سومرياً على الفنّ الإبلائي. وفي هذه الفترة لم نعثر حتى الآن على قطع فنية إبلائية ذات طابع مصري. وجدنا طبعاً بعض اللقى لكنها مصرية صميمة أي مجلوبة أو مستوردة، وليست إبلائية الصنع.

طبعاً في فترة النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد أي في العصر البرونزي الوسيط نستطيع أن نجد ملامح شخصية فنية سورية

تعطي طابع الأشكال الرافدية أيضاً. وأستطيع أن أقول أنه للمرة الأولى اكتشفنا السنة الماضية العاج في إبلا ولكنه معالج بمواضيع مصرية وهذا من التأثير المصري. وهي ذات جمال أخاذ. فاستنتجنا أن العاج في إبلا ذو مواضيع مصرية وتقنية رافدية.

✦ برأيك دكتورة ماتييه: هل للفن السوري عبر التاريخ ـ بشكل خاص ـ سمات وملامح قوية خاصة به.. وإن كانت..هل تتفضلين بذكرها؟

يمكن أن أقول أنه من الألف الثاني قبل الميلاد ظهر للفن السوري شخصية واضحة وسمة قوية. وحتى الآن لا نعرف الكثير عن الألف الثالث قبل الميلاد فاللقى الفنّية شحيحة.

أعود لأقول في الألف الثاني يمكن أن نقول أن هناك فناً سورياً واضح السمات ولنأخذ مثلاً أوغاريت أو جبيل ولكن حتى جبيل فلها حالة خاصة لأنها المدينة الأكثر تمصراً كما أثبتت ذلك رسائل تل العمارنة فقد كان ملك جبيل يقول للفرعون في رسائله:

" إن جبيل مثل ممفيس لفرعون. " هذا يعني أن الجبيليين كانوا يعتبرون أنفسهم نصف مصريين.
على كل حال الفنّ السوري له شخصية قوية وهذه الشخصية مركبة مع مواضيع رافدية ومصرية؟ ولكن التطوير له ميزة وشخصية سورية. وهذا ممتع بأن نرى المواضيع الرافدية والمصرية متطورة وأخذت بعداً جديداً على يد الفنّانين السوريين وبخصوصيتهم وملامح ذهنيتهم وعقليتهم. لهذا الفنّ السوري ليس منفعلاً بل ظهرت له سمة خاصة وليس الفنّانون السوريون مجرد هواة فن فقط.
وبالنسبة للفن السوري في الألف الثاني قبل الميلاد يمكن أن نجد تأثيرات مصرية ورافدية وحتى هناك تأثيرات قوية من الأناضول ولكن في مجمل الأحوال هذه التأثيرات كانت تتطور بواسطة الفنّان السوري في صورة خاصة جداً وبأسلوب مميز.

✦ هناك رأي يقول بأن الفنّ المصري هو فن سوداوي أي فن أثرت فيه مسائل الموت وما بعد الحياة لذا أخذ طابعاً موتياً في حين أن الفنّ السوري هو فن الحياة، ما رأيكم بذلك؟
(تضحك) يجب أن نقول بأننا لا نعرف الكثير عن حياة المصريين لأن معظم الحفريات الأثرية قامت في الأكروبولات وليس في المدن ولهذا فنحن لا تعرف الكثير عن سكن المصريين بينما بالنسبة " للحضارة السورية " فنحن نعرف الكثير عن المدن وعن أماكن الاستيطان والسكن أكثر من الأكروبولات.
ولكن في مصر نستطيع أن نقول أنهم كانوا مهتمين جداً بمسائل وتساؤلات ما بعد الحياة. كان لديهم نمطاً معقداً في التفكير فيما يختص بما وراء الحياة أو الموت وكان لديهم نتيجة ذلك استعداداً كبيراً لتحضير أمور الموت خلال حياتهم.
ويمكننا أن نقول أن الشعب " السوري " والرافدي لم يكن غير مهتم بمسائل ما بعد الحياة أو الوجود وإنما كان أقل استعداداً ليوم

الموت. هذا ما عرفناه من بقايا قبور مدمرة في سورية مثل إبلا.
المصريون يعتبرون الموت استمراراً لحياتهم فلهذا يمكن ـ حسب اعتقادهم ـ أن يقوموا بأعمال الزراعة ويلعبوا ويتزوجوا ويحضروا الأعياد. وهكذا.. بينما شعب الهلال الخصيب يصور مكان الموت والقبر والعالم الأسفل كمكان حزين، مكان حداد، مكان دخاني رمادي، نجد الشعب المصري أكثر تخيلاً في هذه المسألة وأكثر أملاً في الماوراء بحياة جديدة.
عند السوريين بشكل عام الموت نهاية مفتوحة للحياة، ولكن كان للأموات ـ حسب معتقداتهم ـ وضعاً تعيساً وحزيناً. وهذه الأفكار تخيلها فيما بعد الاغريق كانت صور ما بعد الوجود عندهم أيضاً دخانية سوداء مع خيالات قاتمة. ومن الممكن أن الاغريق اقتبسوا هذه الأفكار الحزينة من السوريين.

البروفسور باولو ماتييه- إيطاليا
PAOLO MATTHIAE

✦ إلى أي حدٍّ خَدَمَ اكتشاف إبلا وأرشيفها المعطيات المعرفية التاريخية المهمة من أجل الكشف عن المزيد من جذور الحضارة السورية والإنسانية؟

إن الأهمية العظيمة لاكتشاف إبلا تكمن في حقيقة أن ثقافة إبلا هي الثقافة الأولى الراقية التي أصبحت معروفة جيداً والتي ازدهرت في وسط بيئة غير طمية وليس كما هو الحال في مدن الفرات ودجلة حيث البيئة هناك طمية. فإبلا تعتبر ظاهرة راقية وهي قديمة جداً وعميقة في التاريخ المدون. وهي ذات أهمية كبرى في تاريخ البشرية. ولأدخل أكثر في الكلام العلمي التخصصي، أعتقد أن الجواب العلمي والجيد على سؤالك هو التصريح

الصادر عن الدكتور " جلب Gleep " في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية. السيد " جلب " أعلن منذ سنوات للصحافة الأمريكية بأن الكشف الإيطالي لإبلا يقدم تاريخاً جديداً وثقافة جديدة ولغة جديدة.

فالتاريخ الجديد يكمن في أننا لم نكن نعرف أي شيء تقريباً ولا أي إسم عن حضارة في عصر إبلا الألفي في بلاد الشام كلها.

واللغة الجديدة التي كشفت لنا نصوص إبلا عنها. هذه اللغة " السامية " الأكثر قدماً في بلاد الشام.

أما الثقافة الجديدة فهو ما كشفه لنا أرشيف القصر الملكي الذي أنبأنا عن وجود ثقافة " سورية " مميزة عن الثقافة الكنعانية والثقافة الرافدية.

والنقطة الأخيرة حول الكشف عن جذور الحضارة السورية والإنسانية كما ورد في سؤالك فإن لإبلا أهمية كبيرة لأنها كشفت عن وحدة وانسجام وتواصل للحضارة القديمة في الشرق من جبل طوروس إلى جنوب فلسطين

ومن الفرات إلى البادية وحتى الساحل المتوسطي. وهذا مهم جداً في طبيعة العلاقات التاريخية.

✦ هل نستطيع أن نقول أن ثمة وحدة حضارية كانت قائمة بين حضارة بلاد الشام وحضارة ما بين النهرين؟ وإن كانت كيف يمكننا أن نحدد المقومات الأثرية لهذه الوحدة؟

كان هناك في العالم القديم علاقات مهمة بين الرافدين والأناضول في الشمال وبلاد الشام في الوسط ومصر في الجنوب الغربي. لهذا كانت العلاقات مهمة بين كل هذه المناطق القديمة، ولكن هذه العلاقات كمثال طبعاً وثقت وذكرت جيداً في الوثائق المؤكدة والحتمية في الألف الثاني قبل الميلاد وبالتحديد في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

اكتشافات إبلا تظهر علاقات مهمة بين شمال بلاد الشام وجنوب الرافدين (المنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة) وفي الألف الثالث قبل الميلاد كانت العلاقات مهمة بين شمال سورية

ومصر ولهذا أصبحت المنطقة حول إبلا في الشمال السوري منطقة مركزية للعلاقات بين المناطق الثقافية العظيمة للحضارات الرافدية ومصر والأناضول. وطبعاً هذا بسبب المركز الجغرافي والاستراتيجي والمركزي لسورية.

✦ برأيكم، التأثير المصري في الفنّ الإبلائي هل كان نتيجة امتداد ثقافة إبلا إلى مصر أم العكس؟

مصر كما تعرف أعطت لمسة على كل الآثار القديمة. اليونان أقروا مؤخراً أن الحضارة أتت من مصر إليهم. وهذا مؤكد بسبب الجاذبية غير العادية والمظهر الجذاب لهذه الحضارة.

فمصر كان لها تأثير كبير على المنطقة السورية بسبب النوعية العليا للفن التقليدي في مصر ولكن بالتأكيد / وهذا من أهم معطيات الاكتشافات الإبلائية / نستطيع أن نؤكد بأن إبلا في البيئة السورية كان رد فعلها تجاه التأثير الفنّي المصري بطريقة أصيلة جداً. ولهذا فإبلا من خلال علاقتها بمصر

أثرت وتأثرت ولكن بنفس الوقت احتفظت بأصالة سوريّة قوية ومتينة في كل المجالات السياسية والثقافية ومن حيث اللغة والدين والإيديولوجية وبالتحديد أكثر في ميداني الفنّ والهندسة.

✦ بروفسور ماتييه.. ماذا بعد إبلا.. هل من تل آخر تتطلع إليه!؟.

لا أريد شيئاً بعد إبلا، فأمنيتي العميقة أن أستمر في العمل فيها. اعتقد أن العمل التنقيبي للبعثة الإيطالية في إبلا قد قرن اسمي واسم فريق العمل باسمها ونحن مسرورون جداً من هذا التحمس والضيافة الكريمة والاستقبال اللائق في سورية. وأنا وبطريقة مختصرة جداً قلت وأقول - (وهذا ليس في سورية فقط بل في أوروبا وأمريكا) بأنني أعتبر نفسي نصف إيطالي ونصف سوري. ولهذا أمنيتي الكبيرة هي أن أستمر في العمل الذي بدأ منذ 25 سنة وأيضاً أن نستمر للكشف عن المزيد من هذه المدينة كالبرج مثلاً حيث سنبدأ بالعمل بعد إجراء بعض

السبر في نفس منطقة محافظة إدلب وبالتحديد في تل طوقان وهذا يبعد 15 كيلومتراً للشرق وفي تل أفس الذي يبعد 15 كيلومتراً أيضاً للشمال. وهذا العمل من أجل أن نعطي خدمة حضارية كبيرة لتاريخ هذه المنطقة ولهذا الجزء الشرقي من هذه المحافظة.

وهذا ليس فقط في الفترة العظيمة لإبلا ولكن أيضاً في الفترات المتأخرة والتي تعتبر مهمة مثل الفترة اليونانية والفارسية والهلينستية والرومانية والإسلامية.

✦ من خلال دراسة المدونات الأثرية واللقى الأثرية عن الحضارة السورية ما هي برأيكم أهمية الحضارة السورية في تاريخ الحضارة الإنسانية؟

حسناً. فسورية عظيمة لما قدمته للبشرية وهذا له مؤشران.

الأول: هو أن سوريا هي واحدة من أقدم المناطق في العالم حيث ما يسمى بثورة العصر الحجري الحديث.. ولهذا هي بوابة

الزراعة في العالم حيث بدأت فيها الزراعة حوالي الـ 8000 عام قبل الميلاد. وبرأيّ يعتبر هذا العطاء أهم عطاء حضاري مذهل غيَّر في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية في تاريخ البشرية.

الثاني: هو دور سورية والحضارة السورية في تاريخ البشرية من خلال تأسيس بداية لتاريخ المدن في حوالي 3000 سنة قبل الميلاد حيث بدأ الجنس البشري بالاستيطان في المدن في مصر والرافدين، كان هنا بداية جديدة لتاريخ البشرية يمكن أن تكون بلاد الشام في هذا المجال ليست السباقة ولكنها وبالتحديد عبر إبلا كان لها أهمية كبيرة لنشر مجتمع المدن في العالم خارج نطاق الرافدين. هذا بالإضافة إلى الأبجدية وغير ذلك.

لهذا نستطيع الإجابة على السؤال بأن سوريا على نطاق تاريخ البشرية كان لها أهمية كبرى منذ القدم وحتى في الفترات الهلنستية وأكثر في الفترة الرومانية. وكما كانت مركزاً عظيماً خلال زمن الإمبراطورية الإسلامية

الأموية والسلالة الحاكمة. ولهذا إذا كان مجد سوريا هو بالتأكيد في تاريخ قرن من السلالة الأموية فإنها وقبل ذلك بقرون بعيدة كان لها تاريخ مجيد وحافل بالعطاء الحضاري.

الدكتورة هيلغا زيدن- ألمانيا
HELGA SEEDEN

✦ دكتورة زيدن، هلا تفضلت بتقديم نفسك؟

أنا مختصة بعلم الآثار المرتبط بالعلوم الإنسانية (علم الأقوام ـ علم الاجتماع) وهو عبارة عن دراسة للمواقع الأثرية ذات الاستيطان البشري الدائم والمستمر.

فعملي في هذا المجال هو دراسة المنطقة أثرياً، ثم التعرف على ماضي المنطقة بالاستفسار عن الطرق المستعملة حالياً وسابقاً، في كافة مجالات الحياة (الهندسة ـ الزراعة ـ الأدوات المستخدمة) وكافة أمور الثقافة لدى سكان المنطقة.

أما بالنسبة لعملي في الشرق الأدنى فقد عملت في منطقة الفرات في منطقة (شمس الدين تنيرة) وقد استطعنا الكشف عن منطقة تعود إلى العصر الحجري الحديث. قبل أن يحصل غمر الماء نتيجة إقامة السد هناك.

وبين عامي 1980 - 1985 عملت في بصرى وانتهيت من العمل وقد نشرت النتائج في هذه الندوة عبر محاضرتي.

ومنذ عام 1985 إلى الآن نعمل في تنقيبات في منطقة الجزيرة حيث يوجد هناك ثلاث

قرى تليِّة تعود إلى أحقاب أثرية مختلفة منها بدايات الزراعة ـ عصرا أوروك أو سوّيته ـ عصر البرونز المبكر.
وإحدى هذه القرى التي انتهينا من التنقيب فيها عبارة عن قرية صغيرة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وفي برنامجنا العام القادم سوف ننقب في منطقة تدعى (تيزايرام) وهي عبارة عن تل صغير يرجع إلى الفترة النيوليتية وميزتها انها لا تزال مأهولة فكما لاحظت. أن اهتمامنا ينصب على القرى وليس على المدن فهدفنا هو عامة الشعب وثقافة هذا الشعب من ناحية طرق حياته، طرق الزراعة وأساليبها، الأنماط المعمارية. ونحن لا نهتم بالقصور بل نهتم بحياة الشعب. ولكل مجاله في هذا العمل.
✦ كيف تنظرين إلى طبيعة العلاقة بين شعب شبه الجزيرة العربية والشعب السوري عبر التاريخ؟
ما أراه هو أن دخول " الإسلام " إلى هذه المنطقة ولاسيما بصرى كان دخولاً سليماً.

فالأنباط العرب الذين عاشوا في بصرى وأقاموا مدينة متطورة زراعياً تفاعلوا مع المسلمين العرب الذي دخلوا المنطقة وأصبحت حياتهم مشتركة. ولدينا أثار أموية تدل على علاقات تجارية مع شبه الجزيرة العربية وقد تطور نظام ريّ مزدهر وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على نمط التعايش السلمي والتفاعل الاجتماعي. هذا توصلت إليه من خلال تنقيباتي عن بداية الفترة الإسلامية بعد دخول دين جديد آت من الجنوب إلى سورية.

أزيد على هذا في مضمار اللغة، فاللغة الكنعانية لغة " سامية " قريبة جداً من العربية ولا أرى أنها تتميز عن اللغة التي جاء بها محمد فهنا اللغة نفسها!. ولكن يبقى هناك فرق بين ثقافة رعوية وبين ثقافة زراعية. أقصد ثقافة البدو وثقافة المزارعين (في حوران مثلاً) فهؤلاء يعتبرون شعباً زراعياً منذ عصور البرونز. بينما أولئك

عبارة عن شعب قبلي يحمل خصائص بيئته الصحراوية.
ولكن ما سبب ذلك التعايش السلمي ـ على ما قدمته التنقيبات الأثرية الاجتماعية. هو قوة المصالح المشتركة ولاسيما التجارية بين العرب في شبه الجزيرة العربية والأنباط في بصرى والأردن وفلسطين.
مثال آخر أطرحه لتثبيت هذا الرأي.
فالهكسوس في العصر البرونزي أنظر إلى تقدمهم إلى مصر وكأنه توسع تجاري ومصالح لسكان جنوب فلسطين في مصر. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالمصريون لم يقبلوا بالكنعانيين في شمال مصر لأنهم لم يكونوا بحاجة لهم وليس لهم مصلحة في وجودهم فطردوهم ليستعيدوا أسواقهم ومصالحهم. ومن هنا نشأت مشكلة الهكسوس وأنا لا أنظر إلى الهكسوس كغرباء على مصر لأن الكثير من المؤرخين يقيمون الشكوك حول ذلك وأكثرهم من الأوروبيين وأنا لا أؤمن بهذا ولهذا فلم أدرسه.

✦ علاقة المؤرخ بالآثار، أين موقعكم بين فلسفة التاريخ وعلمه اعتماداً على اختصاصكم الذي ذكرتموه؟

كما قلت لك، أنا اهتم بالوجه الاجتماعي للآثار ولا أهتم كثيراً بالأمور الفلسفية للآثار. لأن اهتمامي منصب بشكل رئيسي على المجتمع الذي أنقب في منطقته.

فأنا أدرس ثقافة المجتمع القروي وبعدها أعد استنتاجاتي حول هذا مقروناً بالدراسة الأثرية للمنطقة أو القرية.

طبعاً هذا قام به ابن خلدون في مقدمته ومع أنه قدم فلسفة مهمة للتاريخ لكنه كان اخذ بعمق بالوضع الاجتماعي. وكذلك فعل مكسيم رودنسون حين راجع كتاب " تشارلينكو " الذي يتحدث عن قرى في شمال سورية وكان تعليق رودنسون حوله " من الآثار إلى علم الاجتماع التاريخي ".

بناء على هذا فأنا أعتمد على اللقى الأثرية [بقايا نباتات ـ عظام حيوانات ـ أنظمة ري وعمارة] وأعتمد على الكيمياء والفيزياء

ومقاييس الزمن حيث لهذا أجهزة خاصة به ـ وكذلك الكومبيوتر والتصوير الضوئي والتصوير المساحي الضوئي.

كما أعتمد على العلوم لتفسير الظواهر فالواقع لا يحتوي على أمور علمية مجردة وكذلك التاريخ لا يحتوي على أمور مجردة لهذا استطيع القول أن التاريخ يقع بين الفنّ والعلوم. فأنا أفكر في مقاسات البيت كما أبحث في سبب تعميره بالشكل هذا أو النمط هذا. ولست كومبيوتراً مبرمجاً وفق مقاسات ومعايير محددة ونحن نعتمد على العلوم الإنسانية لهذا فنحن لنا نظرة شاملة وغير جامدة أو محددة بنمط أو ناظم لا نحيد عنه.

✦ دكتورة زيدن، المدرسة التوراتية في التاريخ إلى أين وصلت بعد أن تبين أن معظم أدبياتها ونظرياتها قائمة على أساسات مهتزة كونها أخذت من تراث الهلال الخصيب السابق للتوراة بحوالي 1000 إلى 2000 سنة؟

لدي مشكلة كبيرة مع هذه المدرسة التوراتية وهذا له علاقة بفلسفة التاريخ التي تحدثت عنها سابقاً.
فكل المنقبين التوراتيين الذين أتوا إلى فلسطين جاؤوا وفي عقولهم التوراة. ولأقل أنهم مبرمجون وفق الناظم التوراتي. لقد جاؤوا ليجدوا ما حفظوه وتلقنوه. وأرى أنه من الأفضل لو أنهم أتوا ليدرسوا ما في هذه البلاد وليدعوا تلك الكتب على الرفوف وعندما نجد شيئاً ورد ذكره في التوراة حينها وبعد التأكد نستطيع أن نقول ورد هذا في التوراة. فنحن في مجال العلم، والعلم لا يحتمل التأويلات والإعداد المسبق للأفكار.
إن علم الآثار التوراتي سبّب الكثير من الدمار والضرر في دراسة تاريخ المنطقة وكل " إسرائيل " قائمة على التوراة. وهم يقولون " لقد جئنا لفلسطين لأن التوراة قالت ذلك ". هذا غير ممكن ولا يمكن القيام بذلك لذريعة أو احتمال أو توهم.

في كل مرة نتحدث فيها عن فلسطين يرفعون في وجهنا توراتهم وأنا أرى فلسطين المستقلة عن التوراة هذه الشهادة المقدسة. وأن مأساة " الإسرائيليين " تكمن في رغبتهم بأن يبرهنوا حقائق حديثة تاريخية وسياسية عن طريق كتاب ديني قديم ولا أظن من منطلق العلم أن هذا ممكناً.
عام / 1967 / كنت أدرس في لندن حيث عرض علينا محاضرة بعد فترة قصيرة من احتلال القدس تدل على أنهم بدأوا التنقيب حول الحرم الشريف فقد حفروا الأنفاق حول المباني في القدس القديمة ليكشفوا عن هيكل لم يعثر عليه هناك. وهم الآن ينقبون في المسجد الأقصى وقبة الصخرة ليعثروا على الهيكل الذي في الأساس كان عبارة عن بناء صغير. وهذا الأمر يشبه من يذهب إلى الفاتيكان للتنقيب عن أثار رومانية تحته.
طبعاً هذا يدل على أن في رؤوسهم رؤية مسبقة ويريدون بكافة الوسائل إثباتها وعبر

فلسفة التاريخ لهذا ثمة حاجز بيني وبين هذه الفلسفة.
وأعتقد أنكم سمعتم عن قصة اكتشاف الثور الكنعاني الذي وجد بالمئات بل بالألوف في سورية. هذا الثور كان موجوداً في معابد بعل. وحين جرف اليهود الآثار الإسلامية عثروا على أحد هذه التماثيل [طبعاً قلت جرفوا الآثار الإسلامية حيث يرمونها في البحر]. هذا الثور يرمز إلى الخصب وورد في أساطير الرافدين أيضاً وحين عثر عليه اليهود قالوا أنه الثور الذهبي الذي ورد ذكره في التوراة ! بينما الحقيقة العلمية تثبت أنه كنعاني وجد في الأماكن الكنعانية. طبعاً بعد اكتشافهم له وضعوا سيناريو لفيلم في هيوليود اسمه " الفتاة والثور الذهبي " هذا كله " فانتازيا " لا يقبلها العلم وترفضها الحقيقة العلمية.
✦ منطقة الهلال الخصيب، برأيكم، هل تمثل وحدة حضارية واحدة أم أنها تتضمن وحدتان حضاريتان - بلاد الرافدين - بلاد الشام؟

ما أعتقده هو أن أوجه التشابه بين الثقافتين كبير فالثقافة هناك / الرافدين هي مزيج ثقافة رعوية وثقافة زراعية وطبعاً مع الزمن تنتصر قيم الزراعة فيدخل الرعاة في الحياة الثقافية الزراعية، وفي بلاد الشام هناك غنى زراعي وقيم زراعية لهذا استنتج أن التشابه كبير وحيث وجد التشابه لابد من وجود وحدة حضارية لأن التشابه يتضمن وحدة المصالح ووحدة الحياة.

الدكتور ميشيل غاوليكوفسكي ـ بولونيا
MICHEL GAWLIKOWSKI

✦ منذ استلامكم لمهمات متابعة التنقيب في تدمر منذ عشرين سنة، هل لكم أن توضحوا لنا ما توصلتم إليه بشكل عام من استنتاجات أفادت الكشف عن كنوز الحضارة السورية؟

لقد بدأت من حيث وصل الآخرون، وأحب أن أذكر بفخر ومحبة الكثير من الباحثين الذي عملوا في تدمر وأخص بالذكر الأستاذ خالد الأسعد الذي يتمتع بديناميكية وفعالية رائعة. بالنسبة لنا فنحن بدأنا العمل في عام / 1959/ وهذه البداية لم تكن من قبلي شخصياً فقد بدأت أنا في نهاية الستينات وكان لدينا كل عام موسماً لشهر أو لشهرين من العمل الأثري. وكما تعلم فإن موقع تدمر في وسط البادية السورية ووقوعها على طريق تجاري

بين بلاد الرافدين والبحر المتوسط كذلك بين الشمال والجنوب جعل منها مدينة عظيمة فهي بمثابة محطة للقوافل العابرة بالإضافة إلى كونها مدينة فاعلة حضارياً وليست منفعلة فقد ترك التدمريون بعض النقود بالإضافة إلى عمارتهم الأخاذة والقائمة فوق سطح الأرض حتى الآن.

✦ من خلال اطلاعكم على المواقع الأثرية السورية والمعاصرة زمنياً لتدمر، هل لاحظتم أن ثمة قاسماً مشتركاً يوّحد بين هذه المواقع في دورة حياة واحدة، أقصد من سؤالي، هل دراسة تاريخ هذه المناطق والمواقع الحضارية أوصلكم - عملياً - إلى أن الهلال الخصيب يشكل وحدة حضارية متكاملة؟

في مجال اختصاصي في الفترة الإغريقية - الرومانية أستطيع أن أجيبك على سؤالك باعتقادي العلمي والتاريخي الموضوعي فإن بلاد الشام كانت تشكل وحدة حضارية بل كانت بلداً واحداً رغم أنه هناك عدة ملوك في ممالك أو بلدان مستقلة.

الحقيقة أن هذا الجزء من العالم كان تاريخه السياسي معقداً وليست دراسته بالأمر الهين وعلى قدر معرفتي فإن هذه المنطقة كانت محكومة بمركزية واحدة ثم جزئت وقبل ذلك كانت تشكل منطقة حضارة واحدة تجمع تدمر وجرش وبعلبك وبقية مناطق معاصرة لها.

✦ دكتور غاوليكوفسكي. برأيكم اكتشاف إبلا ماذا أضاف على معطيات التاريخ السوري وعلى المعطيات المعرفية للحضارة الإنسانية؟

اكتشاف إبلا مهم للغاية كونه أعادنا إلى قرون سبقت حضارة أوغاريت بألف سنة وأكثر. بالإضافة إلى غزارة الرُقم المكتشفة والتي قد يطول فك كتاباتها, هذه الرُقم التي نتوقع أن تمدنا بمعطيات مهمة وجديدة عن تاريخ المنطقة وبشرها وطبيعة حياتهم وحضارتهم. فوثائق إبلا بالإضافة إلى وثائق ما بين النهرين أصبحت أقدم وثائق في العالم. حيث كان المعلوم بالنسبة لنا أن ما كشف في أوغاريت هو الأخير في الشام ولكن إبلا أرجعتنا ألف عام إلى الخلف.

✦ من المعلوم أن بولونيا بلد تندر فيه الآثار ولاسيما الحجرية، ترى ما السبب برأيكم في كثافة المواقع الأثرية الحجرية ـ إذا صح التعبير ـ في سوريا وهل يمكن اعتبار سوريا مهد ونواة الحضارة الإنسانية؟

عندنا في بولونيا نجد أكثر الآثار هي خشبية وكما قلت ليس هناك أثاراً حجرية لم تكن في بلدي حضارة كحضارتكم مثل بابل وتدمر وبعلبك، فلم يكن هناك هذا التشييد الحضاري. فالحضارة الأوروبية بدأت من هنا من سوريا وفي الشمال الأوروبي لا توجد أماكن حضارية أشادت وبنت وأعطت.

شيء آخر. الرُقم الحجرية أو الطينية المشوية بفعل الحرائق والتي بقيت كل هذا الزمن العتيّ ساعدتنا في إماطة اللثام عن ماضينا الإنساني فأصبحنا ندرس تاريخ الإنسانية بعامة من خلالها في حين لو كانت هذه الآثار خشبية لما عمّرت وبقيت حتى الآن. هذا هو سر هذه المنطقة وهنا البدايات الحضارية ومن هنا

خرجت. فهنا المنبع وهنا الوثيقة وهنا النبع الحضاري الإنساني.

الدكتور فرانك بريمر – فرنسا
FRANK BRAEMER

✦ ماذا عن نشاطاتكم.. في الشام..؟.

إن دراستي مختصة في الفترة الزمنية التي تسبق العصر الروماني. وقد عملت في جنوب الشام منذ عام/ 1983/ في مناطق بصرى والسويداء وفي حوران بشكل عام. طبعاً الهدف من هذا العمل هو تسليط ضوء المعرفة الأثرية والاجتماعية والفنّية على منطقة جنوب الشام.

في البداية قمنا بإجراء مسح وتصنيف للمواقع والمعالم القديمة من حيث زمنها وطبيعتها وما ميّز كلاً منها.

وقد وصلنا إلى نتائج تتجلى بشكل رئيسي في اكتشاف، الاستمرارية والتناغم الحضاريين في المنطقة الجنوبية من الشام.

✦ هل استطعتم تمييز نمط خاص للعمارة السورية في منطقة جنوب الشام..؟..

أرى أن ما يميز منطقة جنوب الشام هو عمارتها المتميزة جداً. وطبعاً هذا يعود لطبيعة المادة التي تعامل السكان معها وهي البازلت. ويمكننا أن نجد نفس الأسلوب المعماري في بعض المناطق البازلتية مثل منطقة عكار الواقعة بين حمص وطرطوس. كذلك هناك مناطق بازلتية تعامل معها سكانها كما الأناضول.

وربما استطعت أن أقول أن هناك عمارة سورية متميزة ولكن قد نجد أيضاً في بعض المناطق البازلتية نفس أسلوب التعامل المعماري وأعتقد أن هذا عائد إلى تشابك المعطيات المادية وأقصد البازلت.

✦ هل تتفضلون بإيضاح الأبعاد الاجتماعية والذهنية للعمارة السورية في جنوب الشام؟.

طبعاً، إن كانت العمارة والبناء هي جهد الإنسان فهي أيضاً حصيلة للثقافة السائدة في وقتها. ولا يمكننا إخفاء حقيقة أن هناك

تأثيرات روحية وذهنية على الفنّ المعماري في منطقة جنوب الشام.

ولكن، لا نستطيع تحديد طبيعة هذه التأثيرات ولاسيما الذهنية منها. ولا نستطيع معرفة مثلاً كيف كانوا يفكرون كما أننا لا يمكننا أن نتخيل طبيعة أو أسلوب تفكير سكان المنطقة.

ربما استطعنا اكتشاف نتائج الثقافة ولكننا لا نستطيع تحديد تلك الثقافة بدقة.

حتى في العلاقات مع المحيط لا يمكننا معرفة طبيعة هذه العلاقات، هل كانت علاقات سليمة وجيدة أم أن هناك علاقات حرب.

وهذا الجهل الذي أعتمد عليه هنا عائد بشكل رئيسي لغياب النقوش أو النصوص التي تتحدث عن طبيعة العلاقات الاجتماعية أو الاقتصادية وغيرها.. بمعنى أنه ليس لدينا وثيقة ودليل مادي يثبت واقعة ما أو حادثة.

الدكتور كريستيان أوجيه – فرنسا
CHRISTIAN OJET

✦ هل لكم أن تعرّفوا عن اختصاصكم..؟؟
إن اختصاصي هو في الرياضيات الحديثة إضافة إلى علم دراسة النقد القديم من حيث صناعته وصكه ومواده واستخداماته. وكل هذا من أجل أهداف أثرية. وبشكل خاص أدرس نقد الفترة الكلاسيكية، اليونانية والرومانية، كما ينبغي الاطلاع أيضاً على أنماط النقد الفينيقي والنقد النبطي بالإضافة إلى النقد البيزنطي والإسلامي والأموي

والعباسي والأيوبي والمملوكي والعثماني وحتى النقد السوري الحديث.

✦ حسب اطلاعكم وأبحاثكم في أي عهد تم صك نقود سورية، وما هي أنواعها وأحقابها؟

لقد تمكنا من دراسة المصكوكات السورية وملاحظة معاييرها أو خصائصها وربطها بالمراحل والأحقاب التاريخية التي تداولها الناس خلالها.

ففي العصر الأكادي مثلاً لم تكن هناك نقود مصكوكة لهذا كانوا يستوردون النقود من الفينيقيين وبلاد فارس. كذلك عثر على نقود فضيّة مستوردة من الأناضول وبحر إيجه.

وفي العهد الهلنستي وحتى العهد الروماني كانت هناك دور للصك في فينيقيا في صيدا وصور وكذلك في مصر. وكانت هناك نقود إغريقية في سورية. ولكن الاعتقاد أنها كانت تصك في شمال سورية وفي دمشق أيضاً.

كذلك نجد نقوداً نبطية صكت في البتراء وربما في دمشق حين كان يحكمها ملوك نبطيون.

في العهد الروماني عثرنا على نقود كانت تصك في سورية وفي دور الصك في بصرى في درعا وفي قنوات وكذلك قد نجد بعض الدور في دمشق.

وإذا ما توجهنا جنوباً فلسوف نجد دوراً مهمة للصك ولاسيما في جدره وأم قيس وهذه تقع في الأردن حالياً.

وهناك قرية صغيرة لا نعرف أين تقع إما في الشام أو في الأردن وأعتقد أن اسمها هو ديون حيث كانت تصك فيها بعض النقود.

في شمال سورية كانت هناك حوالي 4 - 5 دور للصك لكنها توقفت عن العمل في القرن الثالث بعد الميلاد. ولكن، تبقى مناطق بصرى ودرعا ذات أهمية كبيرة من هذه الناحية حيث استمرت تصك النقود حتى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. وبعد هذه الفترة توقف كل شيء وبدأ استيراد النقود من دور الصك الرومانية الواقعة في مناطق أخرى من الإمبراطورية ولاسيما المناطق الشرقية.

عثرنا على نقود فضية وبرونزية جميلة مصكوكة في دمشق، وعثرنا على نقود برونزية صكت في بصرى وفي درعا وفي طبرية وعمان وجرش.
ولا بد أن أذكر باهتمام دار صك هامة جداً، تلك التي تقع في شهبا والتي أنشأها الإمبراطور فيليب واستمرت تصك النقود حوالي (5 - 6) سنوات. إذن يمكننا الآن استخلاص المعايير التي تخص النقد السوري.

✦ إلى أي حدّ اعتمد المسلمون بعد فتحهم لسورية على دور الصك السورية؟

للأسف فإن معلوماتي قليلة نسبياً عن النقد الإسلامي. ولكن أستطيع القول أن الدراهم الفضية والدنانير الذهبية كانت تستورد وتجلب من خارج الجزيرة العربية.
في العهد الأموي كان الاعتماد على بلاد الشام في هذا الموضوع حيث أعتقد أن الدراهم كانت تصك في دمشق وكذلك الدنانير. بالإضافة إلى مناطق أخرى. لأنه حين نقبنا في بصرى عثرنا على نقود أموية وهي

برونزية. كما عثرنا على نقود مملوكية وأيوبية وهذه الأخيرة كانت كثيرة جداً.

البروفسور ميخائيل ماينكه – ألمانيا
MICHAEL MEINECKE

✦ هل لكم أن تقدموا نفسكم، أعمالكم، وأبحاثكم ولا سيما في سورية؟

حالياً، أشغل منصب مدير متحف الفنّون الإسلامية في برلين، وسابقاً، كنت أشغل منصب المدير العام لمعهد الآثار الألماني في سورية.

أما عن عملي في سورية فأنا منذ عام /1970/ أعمل هنا، ولأكن أكثر دقة منذ عام/ 1968/ حيث ساهمت في أعمال مختلفة وأهمها، العمارة المملوكية. وإنشاء وتصميم مخططات عن النصب المتنوعة الموجودة في منطقة الصالحية في جبل قاسيون.

والآن أعمل في دراسة حمامات منجك في منطقة السويداء.

✦ معهد الآثار الألماني في سورية، هل لكم أن تعطونا لمحة عن أعماله وإصداراته ومشاريعه؟

معهد الآثار الألماني في سورية تأسس عام/1970/.

والمعهد هنا يعتبر جزءاً من سلسلة من المعاهد المنتشرة في ألمانيا والتي ينوف عددها على الخمسين معهداً.

هناك معهد في اسطنبول، في مدريد، جنوب إفريقيا، مصر.. الخ، وكلهم يسعون لدراسة الفنّ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

بين عامي/ 1978/ و/1988 / كنت مديراً للمعهد، والآن يشغله في الإدارة الدكتور تيلو ألبرت وللمعهد الآن مشاريع في منطقة الرصافة وتدمر وجنوب الشام بالإضافة إلى وضع مخططات للمعابد والأبنية الإسلامية.

قمنا بمشاريع في الرقة وتحديداً في قصر هارون الرشيد.

والآن لدينا إصدارات للنشر عبارة عن سلسلتين الأولى في الألمانية وهي دورية

نشر منها خمسة أعداد، والثانية سلسلة دراسات عربية أعتقد أنها وصلت الآن إلى العدد الرابع وأعتقد أن العدد الذي سيصدر قريباً سيكون دراسة للدكتور علي أبو عساف حول معبد عين دارة.

✦ بروفسور ماينكه، هل يمكنكم إعطاءنا فكرة عن علاقة اللغة العربية باللغة الآرامية؟ واسمح لي أن أعمم أكثر، علاقة اللغة العربية باللغات التي كانت مستخدمة في منطقة الهلال الخصيب.

أرى أن هناك فكرتان حول تطور اللغة العربية، فكرة تقول أن اللغة العربية تطورت عن الآرامية وفكرة أخرى تقول أنها تطورت عن الصفوية.

وما أراه مهماً هو أن الكتابات الآرامية والكتابات الصفوية والكتابات القديمة الأخرى لم تكن معروفة فعلياً وقد كانت بدائية بالنسبة لذاك الوقت [يقصد تقنيات الكتابة الآرامية والصفوية] وحين أجد القرآن بلغته العربية فإني أتوصل إلى نتيجة بأن القرآن

حفظ اللغة العربية وجعلها تنتشر عبر الفكر الديني الإسلامي.
لهذا فإن كتابة القرآن باللغة العربية هو الذي أغنى هذه اللغة وجعلها لغة عالمية.
✦ ما الدور الذي لعبته العمارة السورية في نشوء وتطور العمارة الإسلامية؟
أنا مقتنع تماماً بأن العمارة مرتبطة دائماً بالتاريخ. ولسورية دورها في تطور العمارة الإسلامية وبرأيي أن هذا مهم جداً في سياق التطور المعماري الإسلامي.
ولأتحدث في هذا عبر التحديد الزمني حيث سأرى أن هناك فترتان تميزان العمارة السورية.
الفترة الأولى: في العهد الأموي عندما تزعمت دمشق الإمبراطورية الإسلامية.
والفترة الثانية: في العهد الزنكي والأيوبي.
وأعتقد أن العمارة السورية في هذا العهد وصلت إلى قمة التطور.
✦ في سياق تفاعل الحضارات كيف كان دور الحضارة السورية في التاريخ الإنساني؟

هذا سؤال ليس بسيطاً!..
في رأيي، أن العنصر الأساسي لأهمية الحضارة السورية في التطور الثقافي للعالم يكمن في موقع سورية، فوقوعها في طريق عبور الثقافات جعلها تتأثر بالثقافات الأخرى، وهذا ما نشاهده في العهود القديمة والعهد الإسلامي أيضاً وخاصة في العهد الأموي. واعتقد أن الفنّ الأموي كان حصيلة تفاعل ثقافة الرافدين مع الثقافة المحلية هنا في الشام. كذلك في العهد الزنكي حيث أن كون نور الدين محمود كان حاكماً في الموصل ثم انتشر الزنكيون إلى الشام فتطورت الملامح المعمارية المحلية والرافدية وهذا ما يظهر مثلاً في العمارة المملوكية في دمشق وحلب. هكذا فإمكانية التفاعل مع تأثيرات مختلفة على مر العصور هو من المعالم الأساسية لفن الهندسة السورية.
✦هل يمكن إعطاءنا فكرة عن مشاريعكم وأعمالكم الحالية؟

ما أقوم به الآن ـ وبعد 25 عاماً من البحث الأثري والمعماري، اعتبره الأكثر أهمية بالنسبة لي. حيث أنني أعمل في بصرى ـ حالياً. وهذا العمل بدأ منذ عشر سنوات حيث اكتشفنا حمامات منجك الرائعة الواقعة قرب المسجد الكبير.

والآن ترمم هذه الأبنية حيث ستصبح متحفاً صغيراً للفن الإسلامي. ولهذا أصدرنا كتيباً عن بصرى الإسلامية وعمدنا إلى إنشاء معرض في قلعة بصرى. وسوف يزداد العمل ويتألق مع الانتهاء من ترميم حمام منجك المهم.

الدكتورة إيفا شترومينغرـ

EVA STROMMENGER

✦ من خلال تنقيباتكم في تل البيعة واكتشافكم لمدينة توتول السورية هل لكم أن توضحوا لنا حكاية الاكتشاف وما توصلتم إليه من نتائج ؟

حسناً، فقد ذُكرت مدينة " توتول "، الواقعة عند التقاء نهر البليخ مع نهر الفرات في محافظة الرقة، في مدونات ماري، حيث ذكر أن ثمة مدينة اسمها توتول، وتقع عند التقاء النهرين الآنفي الذكر. واعتماداً على هذه المعلومة استطعنا أن نعثر على مدينة توتول الواقعة تحت تل البيعة، أما عن الشق الآخر من سؤالك، فأستطيع أن أقول بأننا اكتشفنا في أعلى التل قصرين. الأول قديم والواضح أنه أهمل بعد أن تم تعمير القصر الثاني. هذا القصر الأخير اكتشفناه مدمراً ومتعرضاً لحريق كبير. وعثرنا بداخله على أواني وأدوات تركت كما هي بسبب الدمار والحريق. وسوف نلقي المزيد من الأضواء على هذا القصر في الموسم التنقيبي القادم. ولكن ما توصلنا إليه حتى الآن من نتائج هي:

أولاً: لاحظنا أن ثمة تشابهاً وثيقاً بين التصميم المعماري – الهندسي للقصر المكتشف وقصر الملك زيميري – ليم في ماري. أزيد على ذلك أن القصرين من حيث الزمن متعاصران ولا أستبعد أن يكون هذان التصميمان لمهندس واحد.
ثانياً: من حيث الأواني لاحظنا أيضاً أن هناك تشابهاً كبيراً بين أواني توتول وأواني إبلا. إذن ثمة تفاعل واضح بين توتول من جهة وماري وإبلا من جهة أخرى. والمعلومات التي يمكن أن نعثر عليها عبر قراءة مدونات إبلا يمكن أن توضح طبيعة العلاقات التي كانت قائمة، إذن نحن ننتظر المزيد من الاكتشافات والمزيد من المعلومات.
✦ هل يمكن قراءة ودراسة الآثار في منطقة الهلال الخصيب مجزأة بين جناح شرقي وجناح غربي – من ناحية المدلول الحضاري – أم أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين الجناحين ؟
إن هناك صلات واضحة وقوية جداً ولعدة قرون. ففي الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد

كانت هناك ثقافة واحدة وكذلك في عصر حمورابي وشمشي أدد. حتى في العمارة نرى أن الطبقات الهندسية لها نفس النمط وللأجنحة الملكية تشابه في التصميم. ولكن بدءاً من زمن شمشي أدد، نلاحظ أن " حضارة " بلاد الشام بدأت تنحو منحاً خاصاً مختلفاً عن النمط الرافدي، وهذا حصل بالتدريج وليس انقلاباً أو طفرة.
طبعاً لاحظنا هذا الاختلاف في الطبقات الهندسية وفي الأختام الإسطوانية. إذن في البداية كان كل شيء متشابهاً ثم بدأت المعالم المحلية تأخذ سماتها وخصوصياتها.

الدكتور مانفريد كريبرنيك- MANFRIED GREABERNIC

✦ دكتور مانفريد، بالتحديد ما هي اللغة الأقرب للغة إبلا من بين اللغات القديمة، والتي كانت مستخدمة في الهلال الخصيب ؟
هناك عدة لغات موثقة في نصوص إبلا، ولكن باعتقادي فإن اللغة الأكثر توثيقاً هي اللغة الأكادية. طبعاً هناك أسماء لشخصيات " سامية " وهذا ناتج باعتقادي عن وقوع إبلا في طريق تجاري ولكن العلاقة الوثيقة نجدها حتماً بين الأكادية والإبلائية.

✦ إلام يعود وجود اللغة الأكادية في مدونات إبلا ؟ هل هو نتيجة التفاعل الحياتي الاجتماعي والاقتصادي بين إبلا وأكاد ؟ أم أننا أمام طرح يقول أن منشأ الإبلائية كلغة هو الأكادية ؟

في جوابي، عليّ أن أكون حذراً جداً! لأننا لا نعرف تماماً طبيعة العلاقة بين أكاد وإبلا، وكيف تمت هذه العلاقات. هنا نستطيع أن نخمن بأن هناك بعض النصوص التي ترجمت من نصوص رافدية فمثلاً، لدينا نصوص سومرية في " فارا "، ولدينا ترجمات في إبلا لهذه النصوص. وهذا واضح في النصوص الأصلية والتي تدل على أنهم أخذوا من الأدب الرافدي. بيد أننا لا نعرف إلى أي مدى كُتبت هذه النصوص أصلاً في إبلا. ما بين أيدينا فقط هو بعض التعاويذ بالإضافة إلى بعض النصوص الأدبية وثلاث رسائل والتي بالتأكيد أرسلت من إبلا وكتبت فيها أيضاً.

✦ اكتشاف أرشيف إبلا وبالتالي لغة إبلا، ماذا أضفى من جديد على منظومة المعلومات اللغوية لمنطقة الهلال الخصيب ؟

أستطيع القول أنه من الصعب تتبع تاريخ الملامح " السامية " في اللغة الإبلائية، فيما إذا كانت عربية أو من لغة أخرى وُجدت في هذه المنطقة " السامية " الغربية. وذلك بسبب وجود فجوة تاريخية تغطي على الأقل حوالي الألف سنة قبل أن يكون لدينا توثيق في لغات هذه المنطقة. لذلك الشيء الوحيد الذي يمكن قوله، هو أن الأسماء الشخصية لها سمات يمكن تفسيرها بسمات " سامية غربية " أو عربية، ولكننا لا نعرف بالتأكيد كيف تم توزيع اللغات واللغة السامية في هذه المنطقة. زد على ذلك أننا لا نعرف أين كان العرب أو القبائل الأخرى في ذلك الوقت. لكن يمكننا أن نقول بأن هناك مجموعة من الأسماء " السامية "، والتي تبدو مختلفة عن الأسماء الأكادية.هذه الأسماء ربما كانت عربية أو أنها أسماء من

لغات أخرى. طبعاً هذا التأرجح الظاهر يعود إلى أننا لا نعرف تماماً البنية التركيبية للغة العربية في ذلك الوقت. لأن كل لغة تتطور مع الزمن. الوثائق القديمة المتوفرة عن اللغة العربية ترجع إلى الفترة الآشورية الأخيرة حيث يلاحظ فيها بعض الأسماء لأشخاص وأدوات ترجع إلى أكثر من ألف سنة.

نحن حتى الآن لا نعرف اللغة العربية القديمة – أقصد في الألف الثالث قبل الميلاد. وكيف يمكن أن تكون تلك اللغة. يمكن أن يكون هناك أسماء عربية ولكن من الصعب علينا أن نعرف ذلك وفق المعطيات المتوفرة.

الدكتور هورست كلينغل – HORST CLENGEL

✦ دكتور كلينغل، لغة إبلا، مسمارية الكتابة وأكادية الطابع والمفردات – إذا صح التعبير – ترى علام يدل هذا التفاعل أو التلاقح اللغوي – أيضاً إذا صح التعبير ؟
أعتقد أن هذا التفاعل – كما أسميته – يدل على أن لإبلا نفس المستوى في الحياة، وبأن في مقدروها أن تأخذ الكتابة من منطقة الرافدين وتستعملها في أمورها الإدارية وشؤون حياتها المختلفة. ولكن، هناك اختلاف بين أن تأخذ شيئاً على ما هو وبين أن تأخذه وتطوره. لهذا فالإبلائيون لم يأخذوا اللغة فقط، بل طوروها وكانت هذه هي المرة الأولى كما نعرف، التي استعملوا فيها النمط

من الكتابة المسمارية في لغتهم " السامية " – اللغة المبكرة في سوريا – وهذا يدل على المستوى المتطور في شمال سوريا وليس في إبلا فقط. حيث أن نمط حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية دفعتهم إلى الأخذ بهذا النمط من الكتابة ومن ثم طوروه. في حين أن هناك بعض المناطق الأخرى لم تأخذ الكتابة المسمارية من الرافدين لعدم حاجتها إليها. وأعتقد أن هذا يعود إلى التطور الاقتصادي والاجتماعي التي هي فيه. إذن هذه الكتابة كما أعتقد جعلتنا نميل إلى أن لمنطقة الرافدين ولشمال سوريا نفس المستوى من التطور. وأنا متأكد – تقريباً – أننا سنكتشف مناطق ومدناً جديدة تماثل إبلا في سوريا وننتظر الكشف.

✦ هل بإمكانكم أن تحدثونا عن الثقافة في إبلا – ولو عرضاً بانورامياً - ؟

حسناً، هناك نصوص أدبية من إبلا وهي تعبر عما كان يتحدث به الناس قبل التدوين والكتابة. كانت بدايات هذه الكتابة في

المدارس. وقد كشفت لنا إبلا عن نصوص أدبية تعتبر الأولى في سوريا. طبعاً قد يكتشف أقدم ولكن حتى الآن تعتبر هذه النصوص هي الأولى في نصوص إبلا. لم يقتصر الأمر على نصوص أدبية رافدية فبالإضافة إلى ترجمات من النصوص الرافدية وجدنا نصوصاً إبلائية خاصة. ونتيجة لذلك يمكن أن نقول بأن هناك تأثراً بثقافة أوروك. ولكمن لم تكن معتمدة على ثقافة الرافدين بل أن لها ثقافة خاصة ولأن لها هذه الثقافة الخاصة، فإنه لا مانع لها أن تتأثر بأية ثقافة أخرى وتأخذ منها ما يناسبها. يمكن القول إنها استعملت رموزاً كانت موجودة في الرافدين ثم طورت إلى كتابات خاصة مثل الأوغاريتية والآرامية، وهذا نمط جديد من الكتابة لأن نظام إبلا توقف بعد سقوط المدينة ولكن هذه نقطة مهمة جداً، وصديقي باولو ماتييه يركز على هذه النقطة بأن لدينا الأدلة على أن كل هذه المناطق الشمالية والرافدين كانت لها علاقة قوية ومنها التجارية. ففي نفس الوقت

نستطيع أن نرى أنهم استعملوا الكتابة
لثقافتهم السورية الخاصة.
✦ دكتور كلينغل، لتسمح لنا أن ننتقل من إبلا
إلى أوغاريت، فكما هو معروف أن في مصر
كانت هناك الكتابة الهيروغليفية وكذلك في
مناطق أخرى، سؤالي لماذا الكتابة
الأوغاريتية تطورت إلى الأبجدية ولم تتطور
الهيروغليفية إلى أبجدية ؟ وسؤالي الآخر
لماذا كانت أبجدية أوغاريت ذات بعد إنساني
كوني في حين لم تستطع ذلك الكتابات الأخرى
؟.
الأبجدية الأوغاريتية مهمة جداً لأنه وللمرة
الأولى بنيت أبجدية من ثلاثين حرفاً أو رمزاً
في العالم. فهي سهلة التعلم والتعليم ويمكن
بواسطتها كتابة أسماء جديدة حتى غريبة
عنها، لأن طبيعة أوغاريت كمدينة بحرية
جعلتها على صلات قوية مع مناطق أخرى
خارجية بالإضافة إلى المناطق المتوسطية.
كما هو معلوم أبجدية أوغاريت كانت تستعمل
في البداية الكتابة المسمارية ـ طبعاً

المسمارية أيضاً استعملت في إبلا ولكنهم استعملوها مقطّعة – ولكن فيما بعد لم تعد أبجدية أوغاريت تستعمل المسمارية فقد أوجدت الخطوة الأولى للكتابة الخطية وليس المسمارية. زد على ذلك أن المسمارية تحتاج إلى الصلصال وكما تعلم ففي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد كان لدى الأوغاريتيين الرقع والبردى فهذه لا يمكن أن يكتب عليها بالمسمارية لحاجتهم إلى رصها وضغطها. فمن سوريا نشأت الأبجدية والتي انتشرت إلى العالم حيث تلقتها الإغريق وطورها إلى شكلها الحالي. أما بالنسبة للكتابة الهيروغليفية المصرية فقد توقفت. ولدينا في سوريا آخر الوثائق المكتوبة بالهيروغليفية والتي تعود إلى 77 سنة قبل الميلاد.

الكتابة الأبجدية الأوغاريتية كانت أفضل لسهولتها، سهولة تعلمها، لاقتصارها على ثلاثين رمزاً أو حرفاً بالإضافة إلى سهولة التعامل فيها مع المواد الجديدة للكتابة كالرقع والبردى، وهي تعتبر من أفضل المواد للكتابة

رغم أنها لم تكتشف في سوريا بسبب المناخ غير المناسب لبقائها وحفظها بعكس مناخ مصر الملائم لذلك. وطبعاً هذا لا يدل على عدم استعمالها في سوريا فقد وجد من هذه الرقع والبردى في منطقة صور بكتابات فينيقية ولكنها ليست جيدة.

✦ من خلال قراءتكم للتاريخ السوري القديم، هل يمكن أن ندرس تاريخ بلاد الشام بمعزل عن تاريخ الرافدين ـ أقصد هل يمكن اعتبار هاتين المنطقتين تشكلان وحدة حضارية متكاملة ؟.

هناك تشابه كبير بين المنطقتين. وهذا نستقيه من الأدلة، فالمسمارية نجدها هنا وهناك، كذلك لدينا نصوص متشابهة ولغات متبادلة، الآرامية في الرافدين وهنا مثلاً، لذا فالمنطقتان متصلتان ببعضهما البعض اتصالاً قوياً ومتيناً. ولكن في دراسة التاريخ نجد تقسيمات، فهناك أخصائيون في تاريخ الرافدين وآخرون في تاريخ بلاد الشام. في بلاد الشام ثمة خاصية مهمة عند دراسة

التاريخ، حيث أنه على المؤرخ أن يدرس الهيروغليفية المصرية لأن هناك كتابات الملوك المصريين. ويجب تقييم الكنعانية والآرامية والإبلائية. فبما أن لبلاد الشام هذه اللغات القديمة الكثيرة وأنماطاً للكتابة في تاريخها فيجب عند دراسة تاريخها تقييم مصادر مختلفة وبلغات مختلفة.

في الرافدين اعتبرت الكتابة المسمارية كأهم مصدر لدراستنا، بينما في بلاد الشام كان هناك تحول في حوالي 1000 قبل الميلاد حيث أنه بعد هذا التاريخ كانت لدينا مصادر غير المسمارية. وبالطبع كانت هناك مصادر من الرافدين وهي عبارة عن معاهدات عقدها ملوك الرافدين مع بلاد الشام وكتبوها بلغتهم الخاصة. لدينا في بلاد الشام أيضاً الفينيقية والآرامية كمصادر مهمة جداً ولكنها لا تعتبر بهذه الأهمية بالنسبة للرافدين.

لهذا، في البدايات كانت تعتبر منطقة واحدة من حيث الكتابة، ولكن بلاد الشام طورتها وبطريقتها الخاصة، حيث أن بلاد الشام كانت

تتميز بالثقافة والكتابة المتطورة بشكل أسرع وهذا بسبب الاتصالات الخارجية والتفاعل الحضاري الأوسع. ومن أهم معالم تطورها هو وضعها الأبجدية الأوغاريتية التي تعتبر متطورة جداً.
ولأضرب مثلاً: فإذا أردت أن تتعلم السومرية يتوجب عليك أن تتعلم حوالي 2000 شكلاً. والأكادية850 شكلاً. أما الأوغاريتية فثلاثون حرفاً. وهذا طبعاً اختلاف كبير وهو اللبنة الحضارية الأولى للأبجدية المستعملة اليوم في أوروبا.

✦ هناك عدة نظريات، بعضها يطرح مفهوم البؤرة الحضارية التي شعت على العالم، وبعضها يطرح مفهوم البؤر الحضارية التي شعت كلها على العالم بتفاعلها وبدون تفاعلها. أين تقفون من هذا التصنيف ؟ وهل لكم رأياً مخالفاً لهذا الطرح ؟.
أعتقد أن هناك ثلاثة مناطق هي مركز الحضارة الإنسانية، وهي الحضارة المصرية وحضارة الرافدين وحضارة بلاد الشام (

الحضارة السورية). هذه كلها تفاعلت في المنطقة ومنحت الإنسانية الثقافة والتمدن، مع كون " الحضارة السورية " متوسطية فقد منحت العالم الأبجدية. على هذه البؤر الثلاث تشكَّل مهد الحضارة الإنسانية رغم أن ما منحته الحضارة السورية كان زخمه أقوى وأنضج.

✦ العالم أندريه بارو قال: لكل إنسان في العالم وطنان، وطنه وسوريا فما رأيكم بذلك ؟ صحيح تماماً..فكل منا يبحث عن الأصل ويسعى إليه وسوريا هي الأصل. ودعني أقول أن الأصل هنا يعني الحضارة والعلم. فسوريا وفق هذا تعتبر مهداً للحضارة والمعرفة الإنسانية وبالنسبة لي أعتبر سوريا وطني الآخر.

الدكتور فرانسوا فيلنوف-
FRANCOIS VILLENEUVE

✦ هل لنا أن نعرف على أعمالكم واختصاصكم ؟

حصلت على شهادة الدكتوراة في الآثار من جامعة باريس. وكان تخصصي أولاً في التاريخ بشكل عام ثم في التاريخ القديم وآثاره ولا سيما في منطقة الشرق الأدنى.

بدأت العمل في سوريا عام /1977/ في مجال التنقيب الأثري وبحوثه. وفي عام /1978/ عملت في حقل التنقيب في جنوب بلاد الشام، في الأردن، وبالذات في القرى الزراعية القديمة بالإضافة إلى بعض القلاع التي تعود للفترة الرومانية وما بعدها.

في جنوب الشام عملت في حوران وجبل العرب بإدارة البروفسور " جان ماري دانزر "، ثم اشتركت في مشروع ضخم يشتمل على إجراء مسح شامل لأبنية قرية

قديمة تعود للفترة الهلينية ولأقل بدقة، للفترة الرومانية والبيزنطية وهي قرية تقع شرق جبل العرب.

في الأردن عملت في موقع مهم هو " عراق الأمير " الذي يعود إلى الفترة الهيلينية.

والآن لدي مشروع كبير مع " إيفابو " I.F.A.P.O في " خربة الضريح " والتي تعتبر موقعاً نبطياً – رومانياً مهماً في جنوب الأردن حيث يقع بين الكرك والطفيلة.

والآن أشغل مدير المعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى (دمشق – بيروت – عمان).

✦ على ذكر المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى. هل لكم أن توضحوا لنا مهمات هذا المعهد، أعماله، ومشاريعه ؟

هذا المعهد تابع للقسم الثقافي في وزارة الخارجية الفرنسية. ومهمته الرئيسية إقامة علاقات مع دوائر الآثار في كل من الشام ولبنان والأردن. بالإضافة إلى علاقات مع الجامعات في أقسام التاريخ والآثار، والآثار بالتحديد.

المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى أنشئ عام /1946/ في بيروت وبعد اندلاع الحرب اللبنانية قرر البروفسور (آرنست نيل) وكان مديراً للمعهد آنذاك. قرر أن تفتتح مراكز أخرى في مدن أخرى في هذه المنطقة، بالإضافة إلى تطوير أعمال البحث والتنقيب في كل من الشام والأردن.

وأستطيع القول بأن المعهد قد تطور عمله بشكل كبير منذ عام /1975/.

بالنسبة للأعمال التي قمنا ونقوم بها، فقد قمنا ونقوم بمشاريع ميدانية كبيرة وذلك بالتعاون مع دوائر الآثار في تلك " البلدان " وبالتحديد: هناك مشروع كبير في شمال الشام لدراسة القرى والمدن، هندستها، فخا رياتها، وكل أنواع الأبنية الموجودة من كنائس وحمامات.

وثمة مشروع ثان في جنوب الشام أقوم فيه بالتعاون مع البروفسور (دانزر) بدراسة المدن والكنائس والعمارة وكل الآثار

المتبقية من العصر البرونزي وحتى الفتح الإسلامي.
وهناك أيضاً مشروع صغير لمسح منطقة الخابور جغرافياً. ومشاريع تنقيب عن آثار الفترة الرومانية في الشام وخصوصاً في بصرى ودمشق وتدمر ولنا بعثة في موقع " تل محمد دياب " والتي تعود للعصر البرونزي في منطقة الجزيرة الشامية في الأردن. لدينا مشروع ضخم في " جرش " منذ /8/ سنوات وبالتعاون مع مديرية الآثار هناك للكشف عن معبد المدن الرومانية ونعمل على دراسة معبد بترا النبطي.
طبعاً لا بد أن نذكر كل ما يُقدم لنا من تسهيلات في الشام للعمل في هذا المجال. أما بالنسبة للمعهد فلدينا أرشيف جيد سيفتح في المستقبل القريب لكل البعثات السورية والأجنبية التي تعمل في المنطقة. بالإضافة إلى وجود مكتبة كبيرة، لكن القسم الأكبر منها موجود في بيروت. ولدينا في دمشق قسم لا

بأس به عن جنوب الشام سوف يفتح للجميع
في المستقبل القريب.
✦ كيف تقرأون الخصائص والمميزات
الحضارية في التاريخ السوري القديم، وماذا
أعطى الفتح الثقافي الإسلامي للثقافة
السورية. وأيضاً ماذا قدمت الثقافة السورية
للحضارة الإنسانية.
أعتقد أن هذا السؤال صعب، لكنه مهم. حسناً:
أعتقد أن دخول الإغريق والرومان لبلاد الشام
أدى إلى حدوث تغييرات مهمة في الحياة
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولأقل
الحياة الثقافية بصورة عامة ولكننا لا نستطيع
تحديد هذه التغييرات بدقة.
ولكن لو أننا أخذنا المدن الكبرى مثل جرش،
أفاميا، اللاذقية.. الخ. فلربما وجدت أنها
خضعت لتغييرات كبيرة منذ بداية الفترة
الإغريقية.
أما بالنسبة للمدن المبكرة من العصر
البرونزي والحديدي، مثل دمشق، حلب،
حماة، فلقد بقي أهلها محافظون على

سوريتهم بالرغم من السيطرة الرومانية على مدنهم، مع الانتباه إلى نقطة مهمة وهي ذاك التغير في التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي حصل بحسب النمط السياسي للعالم الروماني – الإغريقي.

طبعاً بالنسبة للحياة خارج المدن الكبرى الأمر يختلف. هناك تأثر بالثقافة الإغريقية ولكن هذا يتراوح من حيث شدته بين منطقة وأخرى، أو موقع وآخر.

ولأضرب مثلاً: لقد بقي سكان تدمر يتحدثون ويكتبون بالآرامية بالإضافة للإغريقية بينما في جنوب الشام استعملوا الإغريقية في المخطوطات.

أما عن الشق الثاني من سؤالكم فيما يخص الثقافة الإسلامية والثقافة السورية، فأنا أتحدث من وجهة نظر مبنية على الآثار وليس من وجهة نظر النصوص العربية لأني لا أستطيع ذلك تفصيلاً.

فيما يبدو، وليس هناك تغيير قوي – وعلى الأقل ليس مباشراً – على الحياة الاجتماعية للمدن والقرى السورية مع بداية الإسلام. فمثلاً، لو أخذنا الكنائس لوجدنا أن الكثير منها أعيد بناؤها، كما بُني الجديد منها في العصر الأموي وحتى العباسي ومثال على هذا كنيسة في شمال الأردن. طبعاً هذا يدل على حياة مشتركة بين الدينين وتقبل كل منهما للآخر.

والآن إذا شئت الحديث عن الوضع السياسي، فسوف أجد أنه من ناحية الصلات والعلاقات مع الغرب انخفض هذا الأمر إن من ناحية العلاقات التجارية والتقليدية مع مدن المتوسط أو الاقتصادية. وهذا يعود إلى رجحان الإسلام السياسي في الشرق. ولربما لاحظنا تغيرات طفيفة في مخططات بعض القصور ولا سيما قصر " جبل السايس " و" قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي وقصر الحلابات ".

✦ ماذا يعني هذا " الغنى " الأثري في سورية وما مدلولاته ؟

أعتقد أن علماء الآثار يعتبرون الحضارة (على الأقل في الطرف الشرقي للعالم – أوروبا – آسيا – أفريقيا)، آتية من الهلال الخصيب ومصر.

والقدر الأكبر أتى من سورية نفسها، فكانت البدايات في منطقة الخابور والفرات وإبلا وحلب وغيرها..ولا ننسى التأثير القوي " للحضارة " الفينيقية على العالم. لماذا كل هذا ؟ لا أعرف. .قد يكون هناك عوامل مناخية وطبيعية ولا سيما في وادي الفرات الذي يعتبر عاملاً هاماً في الثقافة الزراعية وحياة الاستقرار. وبرأيي أن غنى سورية يكمن في هذا وأهميتها في الحضارة بشكل عام.

كما أننا لا نخفي موقع سورية الحضاري بين الحضارات المختلفة، وهذا يعتبر أمراً هاماً من ناحية الصلات والعلاقات التجارية والاقتصادية وحتى الاجتماعية وأيضاً

الحربية. ربما كان هذا أحد الأجوبة على غنى سورية.

الدكتور شوقي شعث – فلسطين، سوريا

✦ **إلى أي حد يمكننا اعتبار الهجرات السامية من الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب حقيقة تاريخية موثوقة؟ وهل لديكم تصور جديد حول هذا المفهوم؟**

إن الآراء تختلف حول هذه المسألة، فالبعض يرى أن كل الشعوب السامية (العربية القديمة) خرجت من الجزيرة العربية وهناك من يرى أن العموريين وهم فرع من الساميين من سورية (الفرات الأوسط).
كما أن هناك أراء عتيقة تقول أنهم جاءوا من أماكن في أسيا الوسطى. إلا ان الرأي الذي

يتفق عليه معظم العلماء ويتلخص في أنهم جاءوا من الجزيرة العربية عموماً. نحن نقول أن مستقبل البحث التاريخي الأثري في شبه الجزيرة العربية قد يلقي أضواء جديدة على هذه المشكلة.

✦ برأيكم، هل اهتزت مداميك النظرية التوراتية، ولأقل، المدرسة التاريخية التوراتية، بعد ثبوت أن التوراة في أسفارها الأساسية الأولى منحولة ومأخوذة عن تراث الهلال الخصيب وتاريخه؟

لا بد لي في البدء أن أوضح أن لا أحد ضد التوراة ككتاب سماوي يعترف به المسلمون والمسيحيون!! ولكنني ضد استخدامها كوسيلة يستخدمها البعض لانتزاع حق شعب آخر. وما أراه هو أن تبقى الكتب السماوية بعيدة عن الخلافات السياسية لتبقى لها قدسيتها. أما بالنسبة لسؤالك عن المدرسة التوراتية في التاريخ فأقول أن هناك بعض الباحثين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وجلّهم ممن درسوا التوراة

وتخصصوا فيها، وقد حاولوا في البدء بحسن نية تفسير كثير من المكتشفات الأثرية لتدعيم وجهة نظر التوراة لأغراض دينية محضة. ولكن من المؤسف أن يعمد بعض الباحثين وبعض العلماء الصهاينة إلى استخدام تلك البحوث لأغراض سياسية ولتدعيم دعاوى سياسية.

وما أرى من بديل لهذه المدرسة فهو المدرسة العلمية النقدية المتحررة من الأثر العاطفي للتوراة. واعتماد النتائج الأثرية كما هي دون محاولة زجها وتفسيرها لخدمة أغراض سياسية.

✦ د. شوقي، هل أنتم من أنصار فلسفة التاريخ أم علم التاريخ والأدلة الأثرية المرتبطة بنتائج محددة؟ وهل لديكم رأي آخر؟

يمكنني القول أن فلسفة التاريخ شيء وعلم التاريخ شيء آخر، وإن كان ثمة تلاق بينهما في بعض الأسس. على هذا أستطيع القول أنه لا يمكن أن يحل أحدهما مكان الآخر، والحاجة قائمة إلى الاثنين معاً.

ففلسفة التاريخ قائمة على النظر في الحوادث التاريخية وتعليلها تعليلاً علمياً يصل إلى الأسباب التي تتحكم في مسارها وأشياء أخرى. أما علم التاريخ فهو قائم على تدوين الحوادث التاريخية وجمع الوثائق والمصادر المادية والمكتوبة. واللقى الأثرية التي تظهرها التنقيبات الأثرية مصادر هامة جداً من مصادر كتابة التاريخ.

✦ د. شوقي هل بإمكانكم أن تحدثونا ولو بإيجاز عن الآثار السورية في فلسطين، منذ الاغتصاب وحتى الآن. وما الذي يفعله اليهود من أجل تزييف الحقائق التاريخية أحياناً وطمسها أحياناً أخرى.

إن الحديث عن الآثار الفلسطينية وما أحاط بها من ظلم. حديث طويل ومؤلم. وقد لا يتسع المجال هنا للإحاطة بكل جوانبه، ولكن، يمكن القول باختصار أن العدو قد خالف الاتفاقيات الدولية بإقدامه على إجراء تنقيبات أثرية في فلسطين المحتلة ونقل نتائج تلك التنقيبات إلى متاحفه محاولاً استنسابها إليه. كما أنه ينقل

الآثار المكتشفة صدفة إلى متاحفه أيضاً، وأنه ساعد على تهريبها مع أثار أخرى إلى خارج الكيان العبري محاولاً التخلص منها.
على كل قد يكون الحديث مستقبلاً عن هذا الموضوع هو عنوان مقال طويل.

✦ درج بعض الباحثين والمؤرخين في كتاباتهم، على اعتبار أن منطقة الهلال الخصيب هي عبارة عن وحدة حضارتين ـ حضارة بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين ـ ما رأيكم بهذا ؟

بالواقع، إن حضارة العالم العربي كلها هي حضارة واحدة وإن اختلفت في بعض التفاصيل الهامشية بسبب المناخ أو الطبيعة الجغرافية.
قد تكون هناك وحدات حضارية تؤلف في مجموعها حضارة واحدة موحدة في خطوطها الرئيسية. ومن هذه الوحدات ـ شبه الجزيرة العربية ـ بلاد الشام ـ بلاد ما بين النهرين ـ شمال أفريقيا. وقد قسّم العلماء العالم العربي إلى مناطق تسهيلاً للدراسة والتوثيق. وهذا

قد ينطبق على الحضارة العربية قبل الإسلام. أما بعد الإسلام فخفت حدّة تلك الاختلافات الهامشية، حيث تتوفر الآن في العالم العربي مقومات قيام الوحدة العربية. ولا ضير في أن تتوحد بلاد الشام وتتوحد شمال أفريقيا وتتوحد بلدان شبه الجزيرة العربية ثم تأتي الخطوة الكبيرة وهي وحدة العالم العربي الكبير.

الدكتور فواز الخريشة - الأردن

✦ **دكتور فواز هل تتكرمون بتقديم نفسكم للقراء، اختصاصكم، أعمالكم...إلخ..؟**

فواز الخريشة، دكتور في اللغات السامية من ألمانيا الغربية، من مواليد الأردن، في البدء درست اللغة العربية في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً)، ثم التحقت في قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة قسم اللغات السامية.

حاصل على دبلوم في الدراسات العليا، عملت في جامعة اليرموك في الأردن من عام /1978/ وحتى/ 1980/ كمساعد باحث في التدريس مع الدكتور المرحوم محمد غزال أستاذ اللغات السامية، ثم التحقت ببعثة للماجستير والدكتوراة، إلى ألمانيا الغربية وانتهت عام/ 1986/. ومن حينها أعمل في جامعة اليرموك كرئيس لقسم النقوش في معهد الآثار والأنتربولوجيا في حقل الآثار والتنقيبات الأثرية. فأنا شاركت وأشارك في

الحفريات في الأردن. ومنذ ثلاث سنوات وأنا أعمل في أعمال مسح ميدانية لمنطقة الصحراء الأردنية حيث لنا فيها ثلاثة مواقع أثرية.

ولدينا مشروع نطلق عليه اسم مشروع مدورة النقوش الأردنية وهذا العمل بُدء به عام/ 1980/. وحالياً توقف هذا المشروع بسبب وفاة المشرف عليه وهو الدكتور محمود الغول.

ومن أعمالنا الحديثة إصدار سلسلة لأعمال ميدانية لنقوش جديدة مكتشفة في الأردن، ولا سيما النقوش الثمودية في جنوب الأردن والتي تمتد أحياناً إلى شماله. والنقوش الصفوية التي اكتشفت في شمال إربد.

✦ طالما أنكم مختصون في اللغات " السامية " أريد أن أسأل إلى أي حقبة تاريخية يعود أقدم نص باللغة العربية ومتى ذكرت العرب لأول مرة في التاريخ ؟

العرب كلغة ومن خلال المعطيات المادية تبين أن هذا يعود إلى / 328/ ميلادية حيث

عثر على نص واضح، وفيه لغة عربية فصيحة ومعروفة. هذا النص هو نقش على قبر امرؤ القيس في جنوب الشام. وإذا قرأنا ما نُقش لوجدنا الفصاحة والسهولة والوضوح حيث نقرأ: (فلم يبلغ ملك مبلغه).

أما الأبحاث الأثرية أو الدراسات اللغوية وهذا أصح فقد أثبتت شيئان:

الأول: عثر عليه في الجزيرة العربية، رغم أن وسطها لم تجري فيه تنقيبات حتى الآن إلا في (الفاو) التي هي حاضرة دولة كندة العربية.

في منطقة الفاو هذه أجرى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري تنقيباته وأصدر كتاباً بعنوان " الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في الجزيرة العربية ". فالنقوش التي وجدت مؤرخة ليس من خلالها نفسها، وإنما من خلال أسماء ملوك عرب جنوبيين نستطيع تأريخ زمن وجودهم. هذه النقوش تعود إلى القرن الثاني الميلادي.

كما عُثر على نصوص عربية شمالية وهي قريبة من الفصحى، كاللهجات العربية الشمالية مكتوبة بالخط المسند، ونلاحظ هنا أنه بين /328/ م تاريخ نقش امرؤ القيس وبين تاريخ هذه النقوش هناك حوالي خمسة قرون.

أيضاً هناك نص نبطي مصنف على أساس نبطي، وهو موجود في مدونة اللغات السامية، هذا النقش مؤرخ بتاريخ يعود إلى سنة /264/ ميلادية وهي أقدم من نقوش النمارا.

هذه النقوش الشمالية قرأنا مجموعة منها، ونشرها الدكتور الأنصاري في كتابه: " مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام " الجزء الأول. حيث تبنى المذكور فكرة أنها نقوش عربية جنوبية. لكنه تراجع عن رأيه بعد أن أكد علماء آخرون أنها ليست بجنوبية. هذا موضوع اللغة أما موضوع تاريخ العرب، فالعالم وينك، عالِم النقوش الثمودية والصفوية، يعيد النقوش الثمودية

الأولى إلى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد. ولكن المادة الخام التي بين أيدينا لا تسمح لنا بالقول أن هذه النصوص عربية شمالية، رغم أن أسماء الإعلام الواردة فيها هي عربية شمالية.

هناك نقوش عربية مبكرة كالنقوش اللحيانية التي تعود إلى القرن الأول والثاني الميلادي. وثمة نقوش كالحسائية والصفوية تحتاج لدراسات مستفيضة.

✦ المدرسة التاريخية التوراتية، بعد ثبات قيامها على مداميك مهتزة وواهية، برأيكم، هل تتوقعون استمرارها أم تقهقرها أمام الحقائق العلمية الموضوعية ؟

هذه المدرسة من اختراع العلماء الأمريكيين، والمشكلة أنها ما زالت موجودة وما زالت تحاول تسويغ كل اكتشاف أثري لصالح التوراة وما ورد في متنها.

ونحن شئنا أم أبينا، فالتوراة هو كتاب تاريخي أكثر مما هو كتاب ديني، وهو سجل لتاريخ اليهود في نسبة كبيرة منه. فالتوراة

يبقى كتاباً تاريخياً ونحن لا نستطيع أن نحكم عليه كشيء مُنزل. وبرأي أن أي كتاب ديني لم يأت ليكون كتاباً تاريخياً، لأنه حينها ينتفي عنه شرط الدين.

✦ هل من أدلة تثبت أن الهجرات " السامية " إلى منطقة الهلال الخصيب هي حقيقة علمية أم أنها مجرد افتراضات دخلت حيّز اليقينيات ؟

إذا أردت إجابة شافية وافية فالنفي حتماً.

✦ ما البديل إذن ؟

هناك ثلاث نظريات حول هذا وأنا أميل لواحدة منها. أقوى هذه النظريات هي التي تقول أن العرب جاؤوا من أواسط شبه الجزيرة العربية، والنظرية الثانية تقول أنهم جاؤوا من جنوب شبه الجزيرة العربية، باعتبارها منطقة خصبة. وكلما ازداد السكان فإنهم يهاجرون بسبب الحروب أو الجفاف أو لظروف سياسية. النظرية التي تقول أنهم جاؤوا من أواسط الجزيرة العربية تستند على أن المنطقة كانت في ما قبل التاريخ وفترات

التاريخ الأولى منطقة خصبة وطبعاً وجود البترول حالياً يدل على خصوبتها السابقة.
أما النظرية الثالثة وأراها أضعف النظريات فتقول، أن " الساميين " قد جاؤوا من منطقة أفغانستان إلى بلاد الرافدين وهذه النظرية تتكئ على التوراة.
طبعاً اعتقادي هو أنهم جاؤوا من أواسط شبه الجزيرة العربية. والدليل الأقوى أن هذه الهجرات لم تتوقف بل استمرت حتى الفترات التاريخية المتأخرة. وأكبر مثال على ذلك هو أن أكثر " القبائل العربية " الموجودة الآن في سورية الكبرى تستطيع أن تعود بجذورها قبل قرنين أو ثلاثة إلى الجزيرة العربية.
✦ دكتور فواز اسمح لي بأن أقاطعك قليلاً، ترى لو كانت البيئة في الجزيرة العربية سابقاً هي بيئة خصبة وإيجابية.. بدليل وجود البترول حالياً كما تفضلتم، برأي أن تشكل البترول هذا استغرق ملايين السنين فكيف يمكننا أن نقتنع بأنه قبل ملايين السنين هاجرت تلك الأقوام ـ هذا يخالف الحقائق

الموضوعية عن وجود الإنسان، أيضاً، حين أتت تلك الهجرات بسبب الجفاف أو الحروب، إلخ.. – طبعاً الجفاف محض افتراض وكذلك الحرب – إلى منطقة الهلال الخصيب " الخصيبة " ترى ألم يكن في هذا المكان الخصيب بشر ووجود إنساني ؟ وأزيد السؤال فأقول لو أتت تلك الأقوام من مناطق خصبة فأين آثارها المعمارية والفنية والزراعية وأدواتها ؟!

لا أعتقد أن منطقة الهلال الخصيب كانت فارغة فالوجود البشري متواصل فيها. ولكن اسمح لي بتبسيط الأمر. فالقبائل حينما تأتي إلى أطراف الدول في البداية تكون باحثة عن الكلأ والمرعى. ثم تستفيد من العملية التجارية، وتبدأ في بناء علاقات مع هذه الدول، حتى تأتي فترة من الفترات تتناحر فيها الدول القوية – ولدي أمثلة على ذلك – فتضعف الدولة وهذا ما يضطرها للاستعانة بالقبائل هذه في حربها.

وهذا ما فعله الآشوريون حين استعانوا بالقبائل العربية وكذلك استعانة الفرس بالقبائل العربية حين مهاجمتهم لمصر.
هذه القبائل بعد أن تقوى وتتحد مع بداية اضمحلال الدولة القوية فيهاجمونها ويستفيدون بعد سيطرتهم عليها من الصرح الحضاري ويصبحون قوة جديدة لإعادة بناء هذه الدولة.

✦ دكتور فواز، الوجود البشري الذي تكلمتم عنه في الهلال الخصيب حين حصول الهجرات " السامية " ما هي طبيعته وممّ يتكوّن ؟

هذا سؤال محرج جداً.. حسناً.. لنأخذ مثلاً " حضارة الرافدين " من كان قبل السومريين ؟

✦ هناك أدلّة عن وجود بشري في تل العُبيد هو سابق لنشوء سومر.

قبل السومريين هناك الآشوريون !.

✦ قبل السومريين ؟! هناك " العبيديون ".

الآشوريون قبل حضارة سومر وآكاد !

✦ لننتقل إلى موضوع آخر يختص بالآثار السورية التي تكتشف في فلسطين المحتلة منذ اغتصابها وحتى الآن، برأيكم وحسب إطلاعاتكم ما هي الطريقة التي يستخدمها اليهود لإقناع العالم ورجال العلم والتاريخ والآثار الغربيين، بأنها آثار يهودية كما حصل في قصة اكتشاف " العجل الذهبي الكنعاني ".. ؟

أراك تحمّي النقاش..؟!

هل تريد أن أحكي رأيي بصراحة ؟ بعد ذلك أنت حر في أن تنشر ما أقول أو لا تنشره..

✦ أعدك بنشر كل ما تقوله..

هل هذا سؤال سياسي أم تاريخي ؟! لأن طرح السؤال يوحي بأن اليهود لم يكن لهم وجود في فلسطين وهم كانوا موجودين. بالنسبة لليهود ولأن دولتهم قامت على زعم تاريخي، فإنهم يهتمون بالآثار والتاريخ لإثبات زعمهم. ولا تستغرب أن (إيغال يادين) رئيس أركان جيشهم السابق، هو عالم آثار معروف وله كتابات عديدة في مجال الآثار. ولا تستغرب

أن (إبراهام نيجيف) وهو ميجر في جيشهم وكان في عصابة الهاغانا قد كتب في الأنباط وتاريخهم.

ولا تستغرب أن هناك عشرات الدوريات التي تصدر كل شهر عن اليهود وبمختلف اللغات.

ولا تتفاجأ عندما تكون في مؤتمر للآثار أو التاريخ في بلاد العالم، وترى أن هناك ما لا يقل عن عشرة أخصائيين يهوداً في مجال الآثار والتاريخ.

فاليهود نشطون في هذا المجال وأحب أن أقدم لك معلومة وهي أن علماء اليهود في الآثار يتعمدون دائماً أن يذهبوا إلى الجامعات الغربية لأقسام التاريخ والآثار، ليدعوا طلبة الدراسات العليا والدنيا للمجيء إلى فلسطين المحتلة من أجل التنقيب عن الآثار. ولو استطاعوا صنع واحد من عشرين مدعواً حسب ما يريدون فإنه سيتكلم بلسانهم وعقلهم وزعمهم، رغم أنه غير يهودي وللأسف هذا نحن لا نفعله ونحن أقل الناس كتابة في تاريخنا وآثارنا وحضارتنا.

✦ وما هي الآلية التي يستطيعون بها طمس الحقيقة العملية وإثبات أن ما يظهر هي آثار يهودية ؟

عند علماء الآثار والمؤرخين قناعة بأنه لا توجد آثار يهودية قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد في فلسطين. فالتاريخ اليهودي في المنطقة هو بدءاً من القرن الثاني عشر قبل الميلاد كأبعد مدى.

✦ وهل هو متواصل ؟

لا، لم يكن متواصلاً. فالدولة اليهودية الأولى لم تستمر لأكثر من قرنين والثانية انقسمت فتاريخهم ضعيف مثل أية دولة ضعيفة.

✦ وهل شكّل اليهود دولة في تاريخهم أمة أم كانوا عبارة عن قبائل؟ لأنني لاحظت أنكم تستخدمون مصطلح الدولة.

الدولة اليهودية يا سيدي معروفة وموجودة في فلسطين في فترة سليمان وهذه قضية علمية مئة بالمئة ! ولا أحد يستطيع نكرانها إلا إذا أردنا الجحود ! وأريد أن أعود إلى موضوع معالجة اليهود للآثار في فلسطين،

لأقول أن هناك خطة لدى اليهود لإلغاء كل المعالم الإسلامية الآثارية، ويتذرعون أحياناً بغية إلغائها بأن تحتها آثاراً يهودية. لاحظ أن كل دورياتهم خالية من آثار الفترة الإسلامية وحتى الهلنستية والفارسية.

الدكتور نائل حنون- العراق

✦ لو شئنا الحديث عن حضارة المشرق العربي، وحسب دراساتكم، أين معالم الافتراق والتلاق بين الثقافة الرافدية والثقافة الشامية / بلاد الشام / ولا سيما في العصور التاريخية ؟

أعجبني في السؤال دقة التسميات التي استعملتها. فالنتاج الحضاري لبلاد الرافدين والشام يندرج تحت مصطلح حضارة المشرق العربي. فهذه الحضارة استندت إلى الواقع الجغرافي والسكاني نفسه وواجهت عالماً " خارجياً " كانت على تفاعل مستمر معه. والباحث في هذه الحضارة يتابع سلم تطور حضاري موحد من خلال العصور المشتركة التي مرت بها. فالمشرق العربي مسرح

لنقلات حضارية واسعة الامتداد عميقة الجذور، ولتفاعلات لغوية غزيرة المدونات والأدبيات، ولخصائص معمارية وفنية واضحة الأبعاد وفيرة الشواهد. وتبعاً لهذا كانت معالم التلاقي في أسس هذه الحضارة وفي نتاجها على اتساع آفاقه. أما معالم الافتراق فلا بد أن تكون موجودة بحكم التنوع الجغرافي والبيئي ضمن المنطقة وبتأثير اختلاف سرعة النمو والتراكم الحضاري، وهو ما لم يكن عملاً مجزئاً لوحدة الحضارة بقدر ما كان محركاً لقدرتها على تنويع نتاجها. فهناك تنوع محلي اقتران بذلك مثل تكاثف المدن في السهل السوري وتوزع مدن مناطق المطر الدائم وخصوصية مدن السهول في المناطق الجبلية وطبيعة مستوطنات حوض الفرات وملامح مدن الساحل في مقابل مدن أطراف البادية وحياة البادية نفسها. وكان في هذا التنوع غنى وقوة لحضارة المشرق العربي. وبالطبع لم يكن التنوع أو التوحد مقتصراً على العمارة والفنون وإنما

كان يشمل الجوانب الفكرية والأدبية أيضاً. فأساطير متداولة في مناطق عماد حياتها النهر والري، لا بد أن تأخذ مسارات مختلفة في بنيتها وواقعها، عن المسارات التي تأخذها أساطير متداولة في مناطق تعتمد على المطر أو تطل على البحر.
ولكن التوحد يكون على أسس الفكر، إن كان من نتاج حضارة واحدة مثل حضارة المشرق العربي. وفي هذه الحالة تبرز خصائص مشتركة في أرجاء مختلفة من المنطقة كما في العمارة والفنون، أو يبرز نتاج فكري أو أدبي ليلاقي قبولاً في المنطقة كلها مثلما حدث لملحمة جلجامش.

✦ بصفتك متخصص في حقل الآداب واللغة الأكادية، هل يمكننا مقاربة العلاقة بين اللغة الأكادية واللغة العربية، وهل هذه العلاقة تعكس بعداً مجتمعياً تاريخياً يحمل سمة " الهوية " بما يؤدي للقول أن الأكاديين عرب.
اللغة الأكدية واللغة العربية شقيقتان من عائلة لغوية واحدة. أي أن هاتين اللغتين

تفرعتا، مع شقيقتيهما الكنعانية والآرامية، من أصل واحد يتمثل في لغة أمّ لم تصلنا، لأن استعمالها سبق اختراع الكتابة. ويتميز المشرق العربي في أنه البقعة التي استعملت فيها هذه اللغات الشقيقة تكلماً وتدويناً، وكذلك استعملت اللهجات المتفرعة عن كل منها.

هنا نجد أنفسنا أمام مسألتين أساسيتين ينبغي التعامل معهما، الأولى تخص التسلسل التاريخي والانتشار الجغرافي لهذه اللغات. الثانية، عن هوية القوم الذين استعملوا كل منها.

إن تحديد التسلسل التاريخي يعتمد على التدوين، إذ من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ لغة قبل تدوينها. وفي ضوء ذلك نستطيع القول أن اللغة الأكدية هي الأقوى، فقد دونت في الألف الثالث قبل الميلاد، ثم تلتها الكنعانية في الألف الثاني، والآرامية في الألف الأول قبل الميلاد، وأخيراً العربية في الألف الأول الميلادي.

أما من ناحية الانتشار الجغرافي فإن تحديده يعتمد على انتشار النصوص المدونة بتلك اللغات. أي أنه يعتمد على وجود قوم معينين في بقعة محددة. وهنا سنلاحظ تزامن وتداخل لا حدود لهما. فالنصوص الأكدية (البابلية والآشورية) غطت المنطقة كلها، والآرامية انتشرت في بلاد الرافدين والشام أيضاً، وهذا ما حدث للعربية أخيراً.

أما الكنعانية فقد دونت لهجاتها محلياً مثل الأوغاريتية، المؤابية، الأدومية، والعبرية، ذلك أن اللغة الرئيسة التي سبقت اللهجات، وكانت أصلاً لها، لم تدون بسبب الميل في حينها إلى التدوين بالأكدية. وإذا أتينا إلى موضوع تحديد الهوية سنجد أن أي لغة من اللغات الشقيقة لم تكن، بخلاف ما هو متوقع، معياراً لفصل قومي. فالأصل الواحد والحجم الكبير لما هو مشترك فيما بين تلك اللغات قدّم لنا واقعاً لغوياً متعدداً، مع مرونة هائلة للانتقال من استعمال لغة إلى أخرى دون أن يكون هناك فرض أو غضاضة. وهكذا نجد أن

ملوكاً كنعانيين (آموريين) مثل حمورابي، يستعملون الأكدية في تدوين نصوصهم في الألف الثاني قبل الميلاد، وملوك آراميين، مثل آشور بانيبال ونبوخذ نصر الثاني، يستعملون الأكدية أيضاً (الآشورية والبابلية) في الألف الأول قبل الميلاد. وكذلك نجد تعددية لغوية في مدينة متطورة ثقافياً وحضارياً مثل أوغاريت، ونصوصاً ثنائية اللغة مثل النص المدوّن على تمثال هدد يسعي (بالأكدية / الآشورية والآرامية). ولا ينبغي أن ننسى أنه لعدة قرون، قبل الميلاد وبعده، كانت اللغة الآرامية هي السائدة في المشرق العربي، ثم أخذت اللغة العربية هذا الدور لاحقاً.

✦ ثمة ترجمات عديدة لملحمة جلجامش، قام بها باحثون عرب، ثم قمتم بترجمتها وتحقيقها وفق استنادكم على الكتابات القديمة. هل توصلتم إلى ما ينقض الترجمات السابقة، وما هي الإضافات الجديدة في هذا المجال. ؟

ملحمة جلجامش عبارة عن نص أدبي طويل دوّن على اثني عشر لوح واستنسخ عدة مرات، ولا بد من حدوث بعض التعديلات في تلك النسخ التي أنجزت في زمن تجاوز الألف عام. وتفرقت تلك النسخ وانضمرت تحت أنقاض العشرات من المواقع الأثرية في أرجاء المشرق العربي القديم وبلاد الأناضول لألفي عام. ومنذ ما يربو على مئة عام فقط، بدأت عملية اكتشاف كسر تلك الألواح بشكل متفرق، ولم تزل هذه العملية مستمرة. فالملحمة مدونة على ألواح من الطين تهشمت مرّ عليها ما مرّ، واختلطت بآلاف الكسر والرقم الكتابية في المواقع التي تركت فيها. ومع اكتشاف أجزاء من ألواح الملحمة تجري عملية قراءة وترجمة لكل جزء على حدة. ولما كان علم المسماريات علماً حديثاً لم ترسخ قواعده تماماً ولم يزل في تطور مستمر، فإن قراءة أجزاء الملحمة بحاجة إلى تصحيح وإعادة مستمرة وخصوصاً للقراءات والترجمات التي مضى عليها عدد من العقود.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن اكتشاف كسر جديدة من ألواح ملحمة جلجامش لا يقتصر على المواقع الأثرية وإنما يشمل مخازن المتاحف العالمية في عدة بلدان حيث توجد آلاف الكسر التي لم تنسب إلى نصوص معينة ولم تقرأ حتى الآن. وقد جرت في عام /1930/م محاولة مهمة لجمع الكسر المتفرقة من ألواح الملحمة ونشرها وذلك على يد كامبل طومبسن. ولكن نسبة ما اكتشف من الكسر، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم يفوق في حجمه ما استطاع جمعه ونشره.

إن هذا الأمر معروف في الغرب حيث تجري عملية قراءة وترجمة الكسر المكتشفة من النص المسماري مباشرة إلى اللغات الأوروبية الحديثة. ولكن المشكلة تكمن عندنا في موطن الملحمة الأصلي، فبعد فقدان دور المؤلف والمبدع للنص مع غروب شمس حضارتنا القديمة، فقدنا دور الناقل من النص الأصلي إلى لغتنا في العصر الحديث. وهكذا اقتصر دورنا على ترجمة الترجمات

الأوروبية لملحمة جلجامش إلى اللغة العربية. والأنكى من هذا أن مختصينا ابتعدوا حتى عن متابعة إعادة تشكيل الملحمة وتواصل اكتشاف أجزائها. وكانت النتيجة تكوّن تصور بأن الترجمات العربية التي ظهرت لملحمة جلجامش هي ترجمات للنص المسماري وليست نقلاً عن ترجمات أوروبية متفرقة وغير كاملة للملحمة. وهذه الترجمات العربية تمت بالطبع دون أي إدراك إلى ما يشوب الترجمات الأوروبية من نقص أو ابتعاد عن النصب المسماري أو مدى التصرف فيه. وهكذا تحولت ملحمة جلجامش في الترجمات العربية إلى متاهة لم يصرّح بها صانعوها ولم يعرفها قراؤها.

لذلك فقد قمت في ترجمتين لملحمة جلجامش /2006/م بجمع كل الكسر المكتشفة حتى الآن وقراءة نصها المسماري وترجمته مباشرة إلى اللغة العربية. ويمثل مجموع هذه الكسر حالياً ما نسبته أربعة أخماس نص الملحمة والبقية ما زالت غير مكتشفة. والآن نستطيع

أن نقول أنه أصبحت لدينا ترجمة عربية مباشرة للنص المسماري لملحمة جلجامش.

✦ تحدثتم إلينا / بشكل شخصي / عن أدلة كتابية أدت إلى تحديد أولي لمكان وجود قبر جلجامش هل يمكنكم إفادتنا من جديد حول هذا الأمر.

كانت هناك كسر من نص مدون باللغة السومرية عرف عند علماء المسماريات بعنوان " موت جلجامش " ولكن النص غير كامل والكسر في حالة سيئة وقد لخصت مضمونها في كتابي / عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة / (بغداد 1978،1986). ونشر الأستاذ الراحل طه باقر الترجمة العربية للأسطر الموجودة في تلك الكسر في الطبعة الرابعة من كتابه/ ملحمة جلجامش / (بغداد 1980 م). وكانت تلك الكسر قد اكتشفت في موقع مدينة نفر في جنوب العراق. وكاد الأمر ينتهي عند هذا الحدّ، ولكن حدث أن كنت أقوم بالتنقيب في تلول السيب وحداد في منطقة حوض حمرين

في ديالى، شرق العراق، في الأعوام 1978-1980م. وكشفت تلك التنقيبات عن أن ذلك الموقع يضم بقايا مدينة ميتورناة التي ازدهرت في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد واستمرت حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد. وقد استخرجت من هذا الموقع مئات الرقم المسمارية، وكانت مفاجأة كبيرة أن تكون بين تلك المكتشفات ألواحاً تحمل النص الكامل تقريباً لقصة موت جلجامش الذي نشرت ترجمته العربية في كتابي الأخير / ملحمة جلجامش: ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي / (دمشق، 2006م). والجديد في الأجزاء المكتشفة من هذا النص أنها تصف الأيام الأخيرة في حياة جلجامش والظلال التي كانت لم تزل تكتنف مفهومه للموت حتى رضخ له. ويذهب النص إلى أبعد من ذلك ليصف لنا لحظة موت جلجامش وتشييد ضريحه ومراسم دفنه. ونعلم من النص أن موضع الضريح كان في قعر نهر

الفرات بعد أن حول مجراه ليشيد الضريح بالحجر وتختم فتحاته ويغلق مدخله ثم أن النهر أعيد لمجراه السابق ليخفي الضريح عن العيون.

✦ في مؤلفكم " المعجم المسماري "، يبدو أنكم اتجهتم إلى محاولة تأسيس قراءة جديدة لكتابتنا القديمة.. هل يمكننا معرفة ما توصلتم إليه ؟

بصراحة، نحن متخلفون كثيراً في مجال قراءة النصوص المسمارية ودراسة اللغتين السومرية والأكدية. وهذه الدراسة مقتصرة على الأجانب ونحن الطرف المتلقي فحسب. السبب وراء هذا التخلف هو انعدام وجود الوسيلة لدى الباحثين الذين تتوفر لديهم الرغبة في تطوير قدراتهم على دراسة النصوص المسمارية. ثم أن عدداً منم المختصين، وهذا ما حدث بوضوح في العراق، حاولوا أن يخفوا ضآلة ما تعملوه في الغرب بهذا التخصص عن طريق إبعاد

الآخرين عنه أو حصر تعلمه على جزء مما تعلموه، وما تعلموه يستحق الرثاء حقاً. على العكس من ذلك في الغرب، فالباحثون لديهم كل الوسائل المساعدة من مصادر ومعاجم ومؤسسات، وليس أمامهم من أبناء جلدتهم من لا يريد لهم التعلم، ولا من الأجانب عنهم من يريد أن يدمر لهم متاحفهم ومؤسساتهم الثقافية والعلمية على رؤوسهم بكل وسائل القوة المدمرة واستباحة دماء المتعلمين. من هنا بدأت في العمل على تأليف المعجم المسماري، الذي صدر الجزء الأول منه في بغداد عام /2000/م ، ليقدم للباحث والقارئ العربي الكثير مما يمكن لكل المعاجم الأجنبية أن تقدمه، وبذلك يمكن أن تغير المعادلة غير المنطقية التي حكمت باقتصار قراءة النصوص المسمارية وترجمتها على الخارج. وأنا الآن بصدد إعادة كتابة الجزء الأول ليطبع بشكل جديد وأكثر فائدة مع الأجزاء التسعة الأخرى التي لم تزل غير منشورة.

✦هناك إشكالية عرفت بحقل الدراسات التاريخية / بالإشكالية السومرية /.. لغة وكتابة ووجوداً. هل ثمة أفكار جديدة حول هذا الأمر ؟.

هناك فعلاً ما يمكننا تسميته بالإشكالية السومرية. ولعل أعقد ما في هذه الإشكالية أننا كنا نواجه السؤال الخطأ ونبحث عن الجواب الصحيح. وهذه حلقة مفرغة لا حل لها، ويبدو أن هذا هو ما أريد لنا. فالسؤال الذي واجهناه دائماً، وأعطت جامعاتنا فصولاً دراسية عنه، هو: من أين جاء السومريون ؟ وتراوحت الإجابة على ذلك ما بين شبه القارة الهندية والفضاء الخارجي !!.

والخطأ في السؤال يتمثل في عدم التثبت أولاً من وجود السومريين أو دخولهم إلى المنطقة قبل السؤال عن أصلهم. إنه موضوع بحث طويل ألقيت خلاصته في ندوة أقامها مجمع اللغة العربية في طرابلس بليبيا في عام /2005م/ وسينشر في كتاب جديد في هذا العام.

إن الدليل الوحيد على وجود السومريين هو وجود اللغة السومرية ولكن هل يمكن أن نستدل من وجود لغة خاصة بالتدوين فقط، ولا يمكن استعمالها في التخاطب، على وجود قوم؟ وكيف أغفلنا حقيقة أن ما يعرف بالأدب السومري، أي الأدب المدوّن بتلك اللغة، لم يدون قبل العصر البابلي القديم، أي بعد الاختفاء المفترض للسومريين ؟
إن البحث الذي ذكرته يثبت بأدلة واضحة أن السومرية هي طريقة للكتابة استعملها الأكديون قبل أن يتوصلوا إلى تدوين لغتهم وأن ما دوّن بالسومرية كانوا هم أصحابه، ولا أدري كيف فاتتنا، نحن تصديق أن أسماء الأعلام المصاغة بالسومرية كانوا هم أصحابها، إن أنخيدو – أنّا صاحبة الاسم السومري الصيغة، هي ابنة سرجون الأكدي، أي إن الملك الأكدي أنجب في وقته ابنة سومرية. وهناك العشرات من الأدلة التي يتضمنها البحث بخصوص ما نطرحه.

✦ كيف يمكننا تقديم رؤية موضوعية وشاملة لحركة التاريخ في المشرق العربي / الرافدين وبلاد الشام / استناداً إلى النصوص وما الإضافات التي قدمتها ثقافة إبلا في هذا المجال.. وكذلك اكتشاف مدينة حمو كار التي يبدو أنها ستعيد قراءة التاريخ المشرقي لجهة نشوء المدن الأولى.

إذا أردت تلخيص قصة التدوين في المشرق العربي بكلمات، يمكنني القول أن حضارة هذه المنطقة ابتكرت طريقة للتدوين الأول وهي الكتابة المسمارية بالطريقة السومرية، وهذه الطريقة أوصلتهم إلى تملك المقاطع، أي العلامات ذات اللفظ الصوتي. وهذه النقلة العبقرية مكنتهم من تدوين لغتهم الأكدية بكل تعقيداتها من صرف وإعراب واشتقاقات. وقد ظهرت مراكز فكرية قادت الانتقال إلى هذا المستوى من الإبداع سواء في جنوب العراق أو في سورية. ففي جنوب العراق قامت مدن كيش، شروباك وأدب بهذا الدور، مثلما قامت به إبلا في سورية. وفي إبلا يتجلى ذلك

الانتقال السريع من طريقة التدوين السومرية إلى تدوين الأبلائية الأكدية. ولكن هذا الموضوع المثير لم ينل حظه من الاهتمام. إذ انصرفنا كالعادة، أو صُرفنا، إلى البحث عن أجوبة على أسئلة خاطئة وتركنا القضية الأهم بلا سؤال ولا جواب.

✦ من خلال الكتب التي نشرتها مؤخراً، ومنها المعجم المسماري وشريعة حمورابي وملحمة جلجامش وكتاب الحياة والموت وكتاب المعابد والمدافن، ما الذي تهدف إلى تحقيقه ؟

تتوزع هذه الكتب على ثلاثة مجالات هي اللغات القديمة، الدراسات الآثارية، والدراسات الحضارية. وهذه المجالات الثلاثة هي عماد تكوين فهم عميق وصحيح لحضارة المشرق العربي القديم، ولا يمكن للباحث في هذه الحضارة إلا أن يتعامل معها. لذلك فإنني أحاول تقديم بعض الوسائل للبحث العربي وللقراء عموماً بما قد يساعد على معالجة هذا الخلل المأساوي المتمثل في فقر المكتبة

العربية، إلى درجة قريبة من الإفلاس في دراسة واحدة من أكثر الحضارات الإنسانية أصالة وعمقاً وثراء ومساهمة في بناء التطور الحضاري للعالم الحديث، في مقابل ما أنجز عن هذه الحضارة في أوروبا وأمريكا. وهذه الكتب هي جزء من مشروع ضخم بدأت العمل به قبل ثلاثة عقود وستكون حصيلته أكثر من ثلاثين كتاباً أطمح إلى أن تكون أساساً لاتجاه عربي جديد في دراسة آثار المشرق العربي القديم وحضارته، وهو اتجاه لا يقوم على ما نتلقاه ونكرره وإنما على ما نبحث فيه وما نتفاعل معه ونتوصل إليه.

البروفسور نقولا زيادة- لبنان

✦ دكتور نقولا...
اقرأ لي كل الأسئلة بالأول...!

✦ السؤال الأول عن تفاعل الثقافات عبر طريق الحرير، بين حضارات الشرق الأقصى وحضارة بلاد الشام..هل يمكننا الإضاءة على طبيعة المبادلات والعلاقات الثقافية بين كلتا الحضارتين ؟

الحقيقة أن هذا الطريق المسمى طريق الحرير، تسميته متأخرة، فالطريق هذا كان موجوداً من أواسط آسيا وحتى البحر المتوسط، عبر التاريخ، التاريخ القديم جداً. بمعنى أن أشياء كانت تُنقل من مكان إلى مكان ثم يتبادلها التجار كما تتبادلها القوافل في المرحلة الثانية. ما في شيء المقصود منه أنه كان بضاعة تُحمل. حتى الحرير ما كان يحمل من الصين إلى تدمر رأساً بنفس القافلة، دائماً كان هناك تغيير...

✦ محطات ؟

محطات أولاً لأنه كان هناك جماعات سياسية مختلفة، بعضها يسمح وبعضها الآخر يعارض، بعضها يريد أن يستفيد هو نفسه من النقل، ولذلك يُفضل أن يكون التجار محليين.

فالتحدث عن شيء اسمه طريق الحرير، طريق القطن، أو أي طريق آخر، بمعنى أن البضاعة تشحن من الصين وتفرغ في طرابلس أو حمص أو تدمر ..لا.. ما عمره كان في رأيي كذلك..
هذا الطريق، " الحرير "، طوله 11 ألف كيلو متر، ونحن نتحدث عن أيام الدواب، حتى الجمل لم يكن معروفاً فالجمل جاء متأخراً كما نعرف.
حتى الحجاج في القرن الماضي / التاسع عشر/ وأوائل القرن الحاضر / العشرين / قبل أن تبدأ سكة الحديد كانوا ينتقلون من دمشق إلى المدينة على مراحل ويبدّلون الدواب، فأهل معان كانوا يجمعون الخيل والإبل حتى يؤجرونها أو يبيعونها..
فإذا كنا هنا أمام /1500/ كيلو متر وحج، ونحتاج إلى تبديل فما رأيك بالبضائع والسلع التجارية التي تحتوي كميات كبيرة ومختلفة. فإذا قبلنا هذه الفكرة.. يترتب علينا عندئذ، أن لا نتساءل عن تأثير الشرق الأقصى في

البادية السورية، ولكن نفتش إذا كانت تنقّلت هذه الأشياء مع الزمن من مكان إلى آخر. مثلاً، سأتحدث بشكل عام...
أنا زرت بخارى وسمرقند وطشقند، في بخارى تجد حالياً فيما تبقى من الآثار الإسلامية السامانية التي تعود للقرن الرابع الهجري / القرن التاسع والعاشر الميلادي / تجد آثار الصين في الألوان..فهناك يبدأ اللونان الأصفر والأزرق يتجاوران في البناء. هنا في المنطقة عندنا نحن، لا يوجد تجاور أزرق وأصفر، هناك تجاور ألوان أخرى، القضية قضية جو ومناخ وشمس، لذلك تلاحظ حضرتك أنه حتى الآن الأماكن التي فيها ضوء ساطع، الألوان التي تستعمل فيها هي الألوان الفاقعة، حتى تخفف من حدة الضوء، على عكس الأماكن التي تنعدم فيها الشمس، حيث نجد استخداماً للألوان الفاتحة، كي تفتح لك قلبك.. هذه مهمة..
لما شاهدت هذا في بخارى، كنت من قبل زرت أصفهان، وهذه الأماكن ليست على ما يسمى

بطريق الحرير، ولكن على الطريق الذي
يؤدي من أواسط آسيا إلى بلاد الشام.
في أصفهان انعدم الجوار بين الأزرق
والأصفر، صار المسجد الأكبر في أصفهان،
مدرسة لطف الله أيضاً وهذه في أوائل القرن
السادس عشر / الصفويين / حيث
تجدها زرقاء إنما لون أزرق لطيف. أما
التجاور الذي جاء من الصين ويوجد في
بخارى، فلم أجده في أصفهان، يمكن أن يكون
في أماكن أخرى لم أزرها. لكن الذي أريد أن
ألفت النظر إليه، أن هذا التجاور ينعدم عندما
نصل إلى أصفهان ونغرّب، ننتقل إلى الغرب.
فإذن أي نوع من التأثير أو التأثر، يكون قد
انتقل عبر قرون طويلة ونتيجة شيء شمل
هذه المنطقة في وقت ما شمولاً تاماً، وهذا
معناه بالدرجة الأولى بعد نشوء دولة الخلافة
الإسلامية.
فلما قامت الدولة العربية الإسلامية، فتحت
طريقاً أكثر من قبل، وهذه الدولة لها
شخصيتها، في جوامع، مدارس، أماكن

عبادة، قصور للخلفاء، قصور للسلاطين هنا وهناك.. فصار هناك شيء جديد، هنا صار مجال جديد للاستعارة والاستفادة من الجوار. فمثلاً، حين زُينت سمرقند في أيام تيمور، كان المزينون لها، صناع دمشق، حيث لما جاء تيمور إلى دمشق، أخذ كل الصنّاع المهرة في دمشق وحلب وغيرها لتزيين عاصمته، فمن الطبيعي عندئذ أن تجد آثاراً شامية، / شامية بمعنى الشام الواسع /، وهذا رأيته أنا..وموجود بعض آثارها، تبيّن بوضوح من أين قادمة. على سبيل المثال، بعد غزو تيمور لدمشق، لم تعد دمشق تصنع الزجاج لأنه أخذ كل صنّاع الزجاج، فصارت بلاد الشام تستورد الزجاج من البندقية، / تصوّر إلى أين وصلنا /.. فهذه أمثلة عامة.. فكل ما كان لديك دولة ولو تجزأت فيما بعد، ولكن بقي اسمها العالم الإسلامي، ينتقل فيه الناس على الأقل الصناع والتجار بشيء من الحرية / بلاش نقول حرية /. الانتقالات أو الاستعارات هنا ممكنة أكثر، ولكن مع هذا كله، قندهار في

أفغانستان تُمثل نموذجاً بعيداً بعيداً جداً عن بلاد اليونان في الفن اليوناني، إثر حملة الإسكندر، ليست إثر الإسكندر، إثر من جاء بعده.. وهذا ينطبق على أشياء كثيرة.
لذلك أرجو من الذين يفكرون في التفاعل الحضاري على درب الحرير، أن لا يفكروا بانتقاله مثل شوية شاي انتقلت من هناك فوراً كي تغليها في تدمر !!. لا..هذه أشياء انتقلت عبر قرون.
وهناك شيء يجب أن يذكر يتعلق بالتجارة، أكثر الذين يتحدثون عن التجارة يفكرون بالتاجر، ولكن هناك شيء آخر، هو الحاج، فاعتباراً من القرن الثاني والثالث الهجري، تدفق الناس إلى الحجاز للحج، وكثيرون لم يكونوا يحملوا معهم الدولار..! كانوا يأتون بمنتوجات جميلة، أنيقة من بلادهم تباع في الطريق، ويتزودون بثمنها وهذا لم يكن ضد الشرع، بل شيء مشروع. إذن هذا الحاج التاجر البسيط، قد يكون له أثر في نقل قطعة قماش من المغرب أو السنغال فيما بعد إلى

مكة أكثر من التاجر. التاجر يقول لك من يأخذ قطعة قماش من السنغال ويبيعها في مكة ؟ والحقيقة أنا معني كثيراً بالطريقة التي تنتقل فيها الآثار الحضارية. الآثار الحضارية لم تنتقل أبداً، حتى في العصور الحديثة، بشكل قوي..

✦ بمعنى أنها لم تكن تنتقل بقرار رسمي ؟

لا.. هناك شيء من هذا القبيل..فلما احتلت الولايات المتحدة الفلبين، وجدت أن أهل البلاد يتكلمون عدداً من اللغات من جهة وأكثرها غير مكتوب، فقررت أن تعلمهم اللغة الإنكليزية فأصبحت اللغة الإنكليزية لغتهم الرسمية.

إسبانيا، كانت في الفلبين مدة طويلة قبل الولايات المتحدة، لم تفرض وتقرر هذا الأمر، حيث تعلّم بعض الفلبينيين الإسبانية للمنفعة. ولكن الآن أصبحت اللغة الثقافية والفكرية والأدبية والرسمية في الفلبين هي اللغة الإنكليزية. هذا قرار لنقل أثر من الآثار الثقافية مباشرة.

إذن الانتقال، التأثير والتأثر من الشرق إلى الغرب، وبالعكس، ممكن، ولكن يجب أن يفكر به على أساس أنه قد ينتقل بشكل كبير ثم يقف هناك. يعني لم تكن هناك ضرورة أن يأتي قماش من الصين أو توابل الهند، أن كل واحد أو كل تاجر هندي يصل إلى المكان الذي يريد لتجارته، حيث لم تكن يُسمح له.

في الحجاز مثلاً، وفي غرب الجزيرة العربية، أهل مكة، لم يكونوا يسمحون لأهل اليمن بأن يتاجروا مع الشام مباشرة. كانت تجارة اليمن تنتهي في مكة. عندما كانت البتراء مثلاً، لم تكن هذه تسمح للتجار من بلاد العرب أن ينقلوا البضائع إلى غزة أو دمشق..هذه كانت تعتبر فوضى..

قد يكون في هذا ظلم للآخرين، ولكن ماذا تستفيد البتراء إذا فتحت الباب لانتقال التجار عبرها..الفائدة كانت أن البتراء كانت تؤمن للناس والتجار أماكن لخزن البضائع، وهذه معروف عن البتراء ومن أشيائها المهمة.

هذه الأشياء يجب أن تذكر لذلك نستطيع أن

نجد أثراً دون أن يفرض عليها أنها جاءت على جمل واحد من أواسط الصين حتى وصلت إلى تدمر وحطت حمولتها.

✦ هل يمكن أن تحدثنا عن طبيعة حركة التجارة وانتقال السلع بشكل عام بين بلاد الشام ومناطق الشرق الأقصى ولا سيما في فترة الفاعلية الرومانية.

في فترة الإمبراطورية الرومانية، كانت هذه الإمبراطورية تشمل على مجموعة كبيرة من البشر..فيها كثير من الحضارة والرغبة في الرفاهية، ولذلك كانت تحتاج إلى أشياء كثيرة غير موجودة فيها. وأنا أقصد الإمبراطورية الرومانية هنا، حين احتلت كل البحر الأبيض المتوسط. الآن الخمور والدهون واللحوم موجودة، ولكن العطور قليلة، فالنباتات العطرية في البحر المتوسط كانت قليلة ولم يكن هناك تصنيع لها، التصنيع جاء متأخراً. التوابل لم تكن موجودة ولا الفلفل ولا القرفة ولا الزنجبيل.. ولا جوزة الطيب، وهذه الأشياء عندما يتعودها الناس في الأكل يصعب

عليهم الاستغناء عنها..آنذاك اعتاد الناس على اللآلئ، على المجوهرات، على أنواع من الأقمشة كانت تصنع في الشرق الأقصى ومنها الحرير.

وهنا أودّ أن أشير إلى طريق الحرير غير البري، فالحرير في القرن الخامس والسادس الميلادي كان يأتي إلى الإمبراطورية الفارسية والبلاد المجاورة، أكثره عن طريق سيلان، كان يأتي من الصين إلى كسيلا في غرب الهند، وهناك ينتقل إلى الموانئ الهندية فسيلان ومن سيلان ينقل. والدولة التي سمحت لنفسها باحتكار تجارة الحرير رسمياً كانت دولة الساسانيين، التي لم يسمح للحرير أن ينتقل بعد سيلان إلى الغرب إلا عن طريقها.

جرّبت الإمبراطورية البيزنطية في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس أن تجذب شيئاً من تجارة الحرير، لأنها كانت من المناطق التي تستهلك كميات هائلة من الحرير، أن تأتي بالحرير عن طريق أكسوم

الحبشية، فلم تنجح لأن التجار اعتادوا، ويبدو أنه كانت هناك شبه اتفاق فيما بعد بين الجماعات المؤثرة اقتصادياً أو تجارياً بالدولة البيزنطية، والجماعات المؤثرة اقتصادياً في الدولة الساسانية إما رأساً أو بالواسطة أن يتم التقاسم، فالحرير لنا وخذوا ما تشاءون. فكانت الطيوب والبخور والمجوهرات كلها تأتي من سيلان إلى الغرب بأي طريق شاءت ولا سيما عبر البحر الأحمر أو الطريق البري. فالحرير كان يصل عن طريق الساسانيين.. الآن، ما الذي كان يدفعه الغرب مقابل هذا ؟ كان الغرب يبعث بكميات كبيرة من الخمور التي كان مرغوباً فيها في الهند، خمور اللاذقية حيث كانت هذه مركز التصدير. فالخمور الطيبة في بلاد الشام هي في المناطق الجبلية، من اللاذقية إلى جنوب لبنان إلى شمال فلسطين. وهنا أقصد بالخمر النبيذ وليس العرق، لأن العرق بقي مشروب داخلي وطني. وكانوا يرسلون كميات كبيرة من الزيوت، زيت الزيتون كان مرغوباً في الهند..

الهند ليس فيها شجرة زيتون واحدة، الصين تحتوي قليلاً على أشجار الزيتون لكن لا يعرفون قيمتها.
والعالم الروماني كان مشهوراً بصنع الأدوات المعدنية، وتستغرب إن عرفت أن الحديد كان مثلاً يُنقل من شرق أفريقيا إلى الهند حيث يصنع فولاذاً ثم يؤتى به من الهند إلى اليمن لصنع السيوف.
السيوف الدمشقية / حيث كانت دمشق مشهورة بصنعها / كانت ترسل إلى الهند، وبالمناسبة، كانت ترسل أنصال السيوف فقط، حيث أن اليد والغمد يصنعان محلياً، لأن هذا يأخذ حجماً واتساعاً في التجارة. سيوف بلاد الشام عندما كانت ترسل إلى مكان آخر، كان يرسل النصل فقط وهناك يتم تركيب اليد والغمد. وكانت هناك حاجة لدى الرومان للموازنة بين صادراتهم ووارداتهم، ولذلك الإمبراطورية الرومانية فقرت بقدر ما أرسلت من الذهب والفضة ثمناً للأشياء التي كانت تستوردها. ويُخيّل إلي / حيث لا وثيقة لدي

تثبت ذلك / أن الحرير الذي كان يأتي عن طريق البر، ويأتي إلى منطقة إيران حيث أن في إيران كانت هناك دولة مهما كان نوعها، ولكن فيها دولة فيها شيء من الرتابة، هذه الدولة هي التي كانت تتولى الأمر، وهي التي كانت توازن التجارة ولعل كمية كبيرة من الأشياء التي جاءت، كانت تسدد فواتيرها بالذهب وإذا لم يكن بالذهب فبالفضة. ولم تكن هناك بضائع كافية تذهب إلى الصين، فالصين بالنسبة للعالم القديم، هي البلد الذي يصنع تقريباً كل شيء. فأرضهم واسعة وشعبهم كثير وإمكانياتهم هائلة... بشكل عام الأشياء التي كانت تصدر من هنا إلى الصين كانت قليلة. وكان تصدير البضائع إلى الهند أسهل لأن البحر يحمل البخور والزيوت أسهل من ظهور الدواب. فمن البحر الأحمر إلى الهند. لذلك في القرن الأول والثاني الميلادي، بدأت تصدر قرارات في الإمبراطورية الرومانية بمنع استيراد أشياء من الخارج، لعدم وجود الذهب لديهم ومصادر الذهب التي كانت في

أفريقيا، يبدو أن الرومان لم يستطيعوا الوصول إليها، لأنه كان معروف شيئاً عن هذه المصادر منذ أيام الفينيقيين حيث كانوا يحصلون عليها من المناطق المدارية في أفريقيا.

لهذا لم يكن مورد للذهب لدى الرومان..وعرفت هذه المصادر بعد ذلك في أيام العرب لما أصبح الجمل وسيلة للنقل والتجارة فعاد الذهب يستخرج لأن سكان المنطقة المدارية يحتاجون للملح، وهذا كان يُنقل إليهم مقابل الذهب وكانت التعرفة بينهما وزناً لوزن، فصار هناك مورد جديد للذهب. لذلك فالدولة العربية الإسلامية في أول الأمر استولت على مصادر كثيرة للذهب، منها هذه، عن طريق التجارة، والتجارة كانت قوية سواء في السودان، أو في المناطق الجبلية الأخرى، ومنها أيضاً الذهب القليل الذي كان يأتي عبر التجارة من أوروبا، وظل هذا حتى جاءت الغزوة الهلالية / في أواسط القرن الخامس الهجري، الحادي عشر

الميلادي / حيث سدت طريق الذهب من أفريقيا إلى الشرق. حتى الدولة الفاطمية في مصر، لم يعد لديها ذهباً في ذلك الوقت. / وبهذه المناسبة، دعني أعود إلى الساسانيين فتسديد ثمن البضائع كان يتم بالفضة وليس بالذهب، لأن الساسانيين لم يستعملوا الذهب نقداً // عفواً أنا غلطت بهذه سابقاً // فهذا الآن الوضع الذي يمكن تصوره.

✦ اسمح لي أن أنتقل إلى الفترة الإسلامية.. ممكن ؟

طبعاً.. أنت تسأل وأنا بجرّب جاوب..

✦ المعروف في علم الاجتماع أنه حين تكون هناك ثقافة صحرواية / في الجزيرة العربية /، في مقابل ثقافة زراعية، تجارية، رعوية، / في بلاد الشام/.. فحين تأتي الثقافة الأولى إلى هذه المناطق.. حسب قوانين علم الاجتماع، نكون أمام عدة احتمالات.. فإما أن تقضي الثقافة الأدنى على الثقافة الأعلى بالمرتبة الحضارية، أو أن يتم استيعاب الثقافة الأدنى من قبل الثقافية الأعلى حضارياً..

الآن .. هل يمكنكم تحليل العلاقة بين ثقافة الفتح العربي الإسلامي / الجزيرة العربية / وثقافة بلاد الشام.. بمعنى هل كانت علاقة تصادمية، أم علاقة تناغم وانسجام أم علاقة تنافر في البدء ثم تناغم ؟

أنت ورطتني في أنك بدأت بقضية علم الاجتماع.!! أنا لا أعرف عن علم الاجتماع شيئاً !.. ولتترك السؤال كما هو.. ودون أن نحدده بقواعد علم الاجتماع.. وغيره..

هناك شيء كان اسمه الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام.. / حتى لا نوسّع البيكار /.. هذا تمَ في سنوات قليلة.. وهذه من الأشياء التي في رأيي كان فيها ضرر للعرب وللإسلام عامة، هذا الفتح السريع. حيث لا هؤلاء استطاعوا هضم أولئك وكذلك العكس..ويبدو أن هذا ما تريد الوصول إليه أنت !.

الآن نأتي لبلاد الشام.. هناك فتح سريع. .لكن في هذه البلاد ما كان الفتح الإسلامي، فتح جماعة أجانب بالمرّة، فأولاً: هناك عنصر عربي في الأجزاء الداخلية من بلاد الشام،

جنوب فلسطين حتى قيسارية..كان في هذه المنطقة توجد قبائل عربية..فهناك شيء موجود.

ثانياً: كانت اللغة التي تستعمل في بلاد الشام عامة في ذلك الوقت، عكس كل ما يقوله الآخرون ليست اليونانية ولا اللاتينية بل اللغة الآرامية التي صار اسمها السريانية.. بهذه المناسبة اللغة الآرامية واللغة السريانية هما شيء واحد.. الآرامية تنصرت فأصبح سريانية. والسريانية نسبة لسورية...

✦ هل تقصد أن اسم سورية منحوت عن السريانية ..؟

لا .. السريانية من سورية.. الآن كان هناك عناصر تخفف من التصادم.. هما العنصر العربي واللغة الآرامية القريبة من العربية، يضاف إلى هذا، عنصر السكان الذي كان يغلب على بلاد الشام..وهذا العنصر الذي تكون من شعوب سامية..يعني الرومان ثم اليونان الذين جاؤوا لبلاد الشام كان عددهم

قليل نسبياً.. فهذا أوجد شيء من الانسجام بين الناس ويسّر هذا الأمر.

ثم أن المتعارف عليه بين المؤرخين إذا صدقت رواية الطبري وإخوانه على أن الروم تركوا البلاد..

✦ من كان يقصد بالروم ؟

الروم، البيزنطيين..فالعرب لم يسمونهم بيزنطيين إلا فيما ندر.. ولا يوجد علاقة بين الروم والتسمية المسيحية، الروم.. فالروم كانت العرب تقصد بهم اليونانيون التابعون لبيزنطة.

إذن بلاد الشام لم يبق فيها عنصر أجنبي قوي.. من هنا.. وفيما يتعلق بالناس..لا تجد صداماً قوياً بين الجماعات القادمة والجماعات الموجودة في أيام الأمويين.

تجد الصدام بين الذين جاؤوا فيما بينهم، ومن يريد أن تكون السلطة له. من جهة أخرى.. في بلاد الشام بالذات، تلاحظ أنه لم تنشأ مدينة جديدة أبداً..لا البصرة ولا الكوفة ولا القيروان ولا واسط ولا سامراء، لم تنشأ في

أيام الأمويين ولا بعدهم. أنشئت بعض القصور للنزهة كالرصافة.. سبب هذا، أن خروج الروم ترك فراغاً في المدن، في البيوت فتم الاستقرار فيها.
عمر بن الخطاب منع تقسيم الأراضي لكنه لم يقل شيئاً عن البيوت، ربما لم يكن يعرف أن هناك بيوتاً إلى هذه الدرجة..ما لنا..هو رجل حكيم ويعرف أشياء كثيرة. فالتمازج بين الفئات القادمة والفئات الموجودة كان هناك ما ييسّر حصوله، أكثر مما كان بين العرب حين فتحوا العراق. ولما فتحوا فارس كان الأمر ألعن وألعن. ففي فارس.. العنصر فارسي، اللغة فارسية، الدين مجوسي.. فالعرب حين أتوا بلاد الشام كان هناك مسيحيين.. وعلى الأقل كانوا يقولون " لا إله إلا الله ".. وبيتركوا التتمة معليش ما نختلف عليها.. فهذه كلها عناصر يسّرت هذا النوع من التمازج وأدت إلى قيام مجتمع جديد يختلف عن بقية المجتمعات التي قامت في ظلال الدولة العربية الإسلامية كلها.

وانتشار اللغة العربية في بلاد الشام كان أسرع من غيرها من المناطق لأن اللغة في هذه البلاد هي لغة سامية. وأريد أن آخذ مثلاً خارجياً كي أوضح فكرتي.. جزيرة مالطا، أول من استعمرها استعماراً وثيقاً هم الفينيقيون عن طريق قرطاجة، لذلك اللغة التي استعملت في البلاد كانت لغة سامية أصلية.. ثم جاء الرومان وغيرهم.. ثم جاء العرب واحتلوها لمدة، بعض السكان في مالطة يستعملون لغة من حيث التركيب هي سامية، اللغة العربية من حيث التركيب هي لغة سامية، / ركبتْ عليها /..راح العرب، ثم جاء الطليان وفرسان القديس ماريو حنا وبريطانيا.. الخ..اللغة المالطية أخذت من كل هذه اللغات.. لغات الشعوب التي حكمتها، ألفاظاً ولم تأخذ تركيباً جديداً.. وحتى الآن إذا ذهبت إلى مالطا وأخذت صحيفة.. تجد الألفاظ مكتوبة بالحرف اللاتيني..ولكن يمكنك أن تقرأها مع شيء من التمعن وتفهم كل ما فيها. لا لأن الألفاظ العربية كثيرة فيها فقط، ولكن لأن التركيب

اللغوي هو الشيء الذي اعتدته أنت في بلدك ولغتك.
أنا أتحدث معك وفق تجربة شخصية، حيث كنت مسافراً عام /1949/ من مالطا إلى دمشق بالطائرة..لما وصلت إلى المطار..قيل أن الرحلة الجوية ألغيت.. كان عندي أربعة أيام.. في اليوم الثاني صباحاً.. أخذت صحيفة ورحت أقرأ فيها..فكان فيها منشور خطاب سياسي، ألقاه في مؤتمر الحزب المعارض للحكومة قبل يوم واحد، زعيم الحزب وهو منشور باللغة المالطية بالحرف اللاتيني.
أمسكت قلماً وورقة وصغت الخطاب/ المقال بالعربي../ الباترّية معناها الوطن/، هذه أخذوها من الطليان، أو يجوز مما قبل لكن هذه الكلمة طليانية.. الباترية هي /لبت/ يعني الأرض، إليّ فيها تولدنا، فيها إشنا وهبينا. / الوطن، الأرض التي فيها تولدنا، فيها عشنا وحبينا /..
وهكذا.. وفي أحد كتبي أوردت هذا الأمر وهذه القصة. فهذه تجربة شخصية.. لهذا أقول أن

الناس في كثير من الأحيان لا ينتبهون إلى تفاصيل صغيرة من هذا النوع.
كما علينا التذكر أن الدولة الأموية كان موقفها من الناحية هذه، موقف جماعة لم يأتوا إلى بلاد الشام ليبتزوها، لا لأنهم أقاموا دولتهم فيها، بل لأن قريش كانت تعرف تجارة الشام، فبني أمية حين أصبحوا في السلطة، أرادوا أن يتركوا للبلد شيئاً من حرية التعامل، لأنهم يعرفون قيمة هذا فهم تجار، والآن أصبحت التجارة تمتلك محاور جديدة.. فهم يستفيدون ونحن نستفيد.. فكل هذه عناصر.. ونحن لا نعرف أن الريف السوري أتلف في زمن الأمويين، حيث أتلف بعد ذلك.. كان هناك عقوبات شخصية. لذلك الشاعر العربي كان بعد خمسين سنة، شعره يفهم في أكثر المدن العربية على الأقل..فهنا الدولة الأموية كانت مدتها قصيرة.. ولو كانت مدتها أطول، فبتصوري أنه كان يمكن أن تنشأ حضارة ولكن من نوع آخر.

✦ ماذا تقصد بحضارة ولكن من نوع آخر ؟

لا أعرف.. ولكن..المهم أن الأسس وضعت لقيام نوع من الحضارة والثقافة في بلاد الشام، التي هي مزيج من حصة القادم، وهي الإسلام واللغة العربية في الدرجة الأولى.. وحصة أهل البلاد، الذين كان لديهم شيء من اليونان، وشيء من الرومان، إنما هذا في المدن، ولكن الريف بقي ريفاً.

الآن الذي حدث بالنسبة لبلاد الشام أنه حين انتقلت الخلافة إلى العباسيين، انتقل كل مركز الثقل إلى مكان آخر، وانتقلت الثروة الرسمية إلى مكان آخر. وأصبحت بلاد الشام ولاية عادية.. ومهملة حتى.. فبدلاً من أن يتابع العباسيون سياسة الأمويين في تقوية الأسطول في البحر المتوسط، شيء طبيعي أن ينصرفوا إلى الخليج.. طريق الهند. .فتصرفهم لم يكن خطأ بل كان يساير الواقع الطبيعي، ولم تكن لديهم سياسة.. فلم يشتغلوا بها.. وفجأة.. ألقي العالم كله وأعبائه على كاهلهم.. فبلاد الشام عانت من الركود.. ولكن بقي أهلها يشتغلون حيث كان لديهم خميرة.

.خميرة أحسن من خميرة العراق بالنسبة للثقافة اليونانية.. كانت أحسن من خميرة مصر، لأن مصر كانت محدودة في الإسكندرية. البطالسة لم يبنوا مدناً كبيرة في مصر، وركزوا على الإسكندرية. في بلاد الشام كان هناك أربع مدن رئيسية بُنيت في زمن أنطيوخس الكبير حول 300 ق.م. وبعده، كل خليفة له كان يبني مدينة له.. وفي أيام الرومان كل واحد كان يبني مدينة للإمبراطور يسميها طبرية..قيسارية..إلخ.. هذه كلها كانت مراكز فيها شيء كثير من هذه الثقافة القديمة الكلاسيكية. فحين تجمع كل هذا من بعضه البعض..وأهل البلاد نشطوا..ولكن نشاطهم حُدّ بسبب انتقال الثروة إلى العراق العباسي. وظلت بلاد الشام من هذه الناحية، ليس لها أثر كبير في الحضارة العربية..لماذا..لأنها تركزت في العراق.. فهناك دار الحكمة، دار العلم، كل من يريد خدمة أو أي شيء يذهب إلى بغداد.. ومع هذا

كله بقي هناك شيئان في بلاد الشام. الأول: هو فكر ديني شرعي يمثله الأوزاعي. الثاني: هو وجود حركة أدبية لم تمت. وظهر شعراء كثر أيام العباسيين من بلاد الشام. مثل شعراء بنو حمدان والمتنبي.

الدكتور محمد محفّل ـ سوريا

✦ دكتور محفل، إذا كان المزيج السلالي المتجانس، الذي امتزج على أرض الهلال الخصيب وتفاعل معها. أقصد، السومريون، الأكاديون، الكنعانيون، الآشوريون والبابليون والعرب... الخ. فكيف يمكننا اعتماد هوية حضارية لهذا المتحد الأتم، مبتعدين عن الطروحات الإيديولوجية التي أطّرت التاريخ في هذه المنطقة وحرفته عن محوره؟

نحن نلاحظ أن لمنطقة الهلال الخصيب حدوداً ـ لنقل جغرافية ـ تدعم ما ظهر من تفاعل بين الأقوام التي سكنته. فحدود الهلال الخصيب الممتد من الخليج والمتجه إلى شمال غرب حتى حدود دلتا النيل، هي حدود قديمة وأصيلة، جعلت أو فرضت على شعوبها التفاعل بل التكامل. بحيث نلاحظ حين دراستنا لتاريخ هذه المنطقة بأن أي حدث في مركز منها ينعكس حكماً على المراكز الأخرى. ومعروف أن هذه المنطقة شهدت استقراراً يعود إلى ما قبل التاريخ ـ أي قبل اختراع الكتابة ـ بمعنى أن إنساننا انتقل من البداوة

إلى الاستقرار النسبي، ولا أقصد بالبداوة ما هو متعارف عليه الآن.
مع هذا الاستقرار النسبي بدأ الإنسان يقلد الطبيعة ويحاكيها. فابتكر الزراعة. وهذا ما سمي بالانقلاب الزراعي الذي حدث في حدود الألف العاشر قبل الميلاد في منطقتنا. هذا الاستقرار النسبي بدأ من الألف الخامس قبل الميلاد، حيث يلاحظ نشوء مجتمعات أخذت تستقر وتكتب وتشرّع إضافة إلى بعض المظاهر الحضارية كالفنّ والمعتقد الديني... الخ.
الآن، إذا أردنا تحديد هذا المزيج، لقلنا أنه في بلاد الرافدين نجد السومري والبابلي والآشوري والأكادي، وفي بلاد الشام نجد الكنعاني والأموري والآرامي.
طبعاً كل هذه تسميات. وما نميز منها هو السومري الذي كانت لغته تختلف عن لغات المنطقة. فاللغة السومرية هي لغة لصيقة وليست اشتقاقية وهي ليست من أرومة

اللغات التي أطلق عليها تجاوزاً اسم اللغات
" السامية ".
ومع هذا فقد ذاب العنصر السومري في المجموعة المحلية. وهنا أحب أن أشير إلى مسألة هامة وهي أن أسماء المدن لدينا لم تكن تدل على عنصر أو قوم بل كانت تعبر عن المحيط والبيئة، فنحن نقول بابل أي باب إيل أي باب الله. فهذه التسمية ليست عرقية وإنما تحمل مدلولاً لمفهوم قدسي. والبعض يظن أن هناك قوماً متميزاً عن غيره هو البابلي وهذا ليس صحيحاً. فآشور تدل على اسم إله وكذلك آرام وغيرها.
بل حتى أسماء الملوك الآشوريين والبابليين كانت تتماهى بأسماء الآلهة، وكما نقول كنعان حيث نجد في العربية: كنعت الشمس بمعنى مالت أو غربت فالتسمية لا تدل على سلالة أو عرق أو عنصر.
في التوراة ترد كلمة كنعان بمعنى كَنَعَ أي انخفضَ، أي تدل على الذين عاشوا في المناطق المنخفضة. أو خَنَعَ أي الذين خضعوا

أو خنعوا. ولكن لمن خنع الكنعانيون؟ أليس هذا الطرح قذراَ؟.

✦ دكتور محفل، هل يمكننا الحديث عن طبيعة التمازج الرافدي ـ الشامي؟

التمازج الرافدي ـ الشامي تجلى في التمازج الكنعاني الرافدي والكنعاني الأموري. فالتمازج الكنعاني الأموري أعطى ملوكاً في بلاد الرافدين بدءاً من سرجون الأول إلى حمورابي... والتمازج الكنعاني الرافدي تجلى في إبلا تل مرديخ.

أيضاً هناك علاقات قوية بين مملكة ماري ومملكة حلب (يمحاض) والآلاخ تل عطشانة.

في العصر الآرامي الذي بدأ في الجزيرة السورية ـ كما نطلق عليها الآن ـ ثم امتد إلى أن شملت دولة الآراميين مختلف بلاد الشام. فالانطلاق كان هناك والتفاعل هنا والعكس حاصل أيضاً. هذا التداخل والتفاعل انعكس على ميادين الثقافة بعامة من لغة وحقوق

وتشريع وكتابة وفن وأسطورة وأسماء آلهة أحياناً.
ربما كان هناك بعض التمايز في كلتا المنطقتين في باب العادات والتقاليد وهذا ما يطلق عليه اليوم اسم الفلوكلور.
ولكن إذا بحثنا في العمق فإننا سنجد حقيقة واحدة تقول أنه لا يمكن أن تعيش بلاد الشام بمعزل عن بلاد الرافدين والعكس كذلك.
فهناك وحدة حياة اجتماعية ـ اقتصادية ثقافية واحدة في الهلال الخصيب. ونحن عندما نقول هذا لا نقوله اعتباطاً بل بالاستناد إلى الوثائق التي أثبتت أننا أمام جوهر واحد وحقيقة حضارية واحدة.
✦ استناداً إلى ما تم طرحه من نقطتين أساسيتين، وهما وجود مزيج متجانس، متفاعل، ووجود وحدة حضارية قائمة بحد ذاتها في منطقة الهلال الخصيب. أريد أن ننتقل إلى فكرة أخرى تتعلق بتحديد هوية هذا المزيج وكما تعلمون هناك طروحات عروبية

وإسلامية وفينيقية... الخ... فما الذي تطرحونه اعتماداً على الحقائق العلمية؟
أمام هذه التسميات الكثيرة، أجد أن علينا ألا نساهم في إحداث التشوش والاختلاط. يجب علينا أن نجتهد ونحاول الوصول إلى تسمية أو هوية نستطيع من خلالها استيعاب تاريخنا بوضوح وموضوعية، بحيث تنطبق التسمية على الواقع وتبعاً للحقيقة العلمية.
هناك من يطرح " العرب الكنعانيون " أو " العرب الآراميون"... الخ. هنا إذا شئنا البحث في كلمة عرب لرأينا أن أول ظهور لها يرقى إلى القرن التاسع قبل الميلاد عبر المدونات الآشورية... ولكن، قبل هذا الزمن ألم توجد حضارات كثيرة؟
البعض علل هذا بأنه بما أن العرب جاؤوا فيما بعد فقد جبّوا كل ما قبلهم، وما أراه في هذا الموضوع سواء في قولنا الحضارة العربية القديمة أو العرب الكنعانيون الخ... أنا لا أرى أن هذا ينطبق مع المحتوى الذي نطرحه. فحين نستعمل تسمية ما، علينا ألا نسبب في

ذهن المُتلقي بلبلة أو فوضى أو عدم فهم. فأنا لا أقرّ مثل هذه التسميات وما يطرح حالياً لا يعبر عما يجب أن يُعبر عنه ولا يشمله. وهذا الأمر أرى أن يكون مادة للحوار والمناقشة عبر ندوة تخصصية تطرح هذه المسألة.

✦ سعادة، طرح في الأربعينات من هذا القرن التسمية = الهوية " السورية " على هذا المزيج. إلى أي حد نستطيع أن نحدد مدى اقترابه أو ابتعاده عن الحقيقة العلمية؟ على أي أساس اعتمدَ في طرح هذه التسمية؟

✦ اعتمد على اشتقاق اسم سورية من آشور. آشور! آسور..!

إذن دعنا نبحث في زمن ظهور تسمية سورية في التاريخ. التسمية بدأت تظهر منذ سقوط الدولة الآشورية حوالي 612 ق.م. وهذه التسمية لم تظهر في الوثائق المحلية. وأول ذكر لها ورد عند هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وبعد سقوط نينوى عام 612 ق.م. الآن وفق ما طرحه سعادة من أن

اسم سورية مشتق من آشور فلهذا ما يبرره لأن تسمية آشور قديمة جداً. ويمكن أن أزيد على هذا بأن هناك من يقول بدراسات آشورية وهي التي تعني الدراسات الأكادية والبابلية والآشورية.

ومن هنا يكون لهذه التسمية ما يبررها. ولهذا فأنا أدعو إلى نقاش وحوار جدّي ورصين وعلمي من أجل الوصول إلى تسمية محددة تستوعب كل تاريخنا وتقوم على حقائق علمية وموضوعية. وهنا أحب أن أشير إلى أن تسميات عديدة لبعض الدول لم تكن نابعة من داخلها. ففرنسا كتسمية لم تظهر إلا حوالي القرن الثامن أو التاسع الميلادي وكذلك إيطاليا. وأود طرح مسألة تمس تاريخ الهلال الخصيب، حيث أنه خلال فترة المد الإسلامي، كان هناك مؤرخون تحاملوا على هذه المنطقة منهم الطبري وابن خلدون، حيث سببوا عبر كتاباتهم التشويش والبلبلة وهذا ناتج عن عدم اعتمادهم على الوثائق لعدم توفرها آنذاك ولاقتصار معلوماتهم على ما

سمعوه. فاختلط الخبر التاريخي بالأسطورة وتداخل الواقع مع الرواية وهذا ما سبب التشويه والبلبلة على حضارة الهلال الخصيب. إلى أن جاءت الاكتشافات التاريخية وألقت الضوء على هذه الحضارة.

✦ وتسمية " الحضارة الفينيقية "؟

البعض ظن بوجود حضارة فينيقية متميزة عن الحضارة الكنعانية. هذا سببه أن الدراسات الكلاسيكية أعني اليونانية والرومانية كانت تطرح أسماء مثل فينيقيا وكنعان. وهذا ما سبب بعض الالتباس. فالوثائق المحلية الشامية والرافدية لم تورد قط تسمية " الفينيقية "، ودائماً كان يرد اسم كنعان. حتى أن لدينا نقشاً رومانياً من القرن الأول الميلادي يعود للعصر الروماني المحلي. جاء فيه ذكر " لاوديكية " أي اللاذقية في فينيقيا بينما جاء في الطرف الآخر منه بخط كنعاني مشتق من الآرامي المربع كتابة تقول / بيروت في كنعان /.

✦ قبل أن أسألك عن موضوع الهجرات "
السامية " كما أطلق عليها. هل يمكنك أن
تحدد لنا معالم التداخل والافتراق - الجغرافي -
بين منطقة الهلال الخصيب (سورية
التاريخية) ومنطقة شبه الجزيرة العربية؟
إذا شئنا تحديد حدود واضحة تاريخياً لمنطقة
الهلال الخصيب ولمنطقة شبه الجزيرة
العربية. فأعتقد أن هذا الأمر يعتبر معقداً
نوعاً ما.
فالهلال الخصيب كتسمية، غير واردة في
المصادر القديمة بل هو تعبير معاصر. وهو
يعني المنطقة التي تمتد من الخليج العربي
منطلقة شمالاً ومنحنية نحو الغرب فالجنوب
لتشمل ساحل بلاد الشام حتى تقابل دلتا النيل.
وهي تشكل شكل هلال خصيب أخضر قياساً
للمنطقة التي تمتد إلى شبه الجزيرة العربية.
أما منطقة شبه الجزيرة العربية فبالنسبة
للجغرافيين العرب لم يحدّوا الجزيرة العربية
بتلك الحدود التي نراها اليوم - أي الحدود

السياسية، وإنما احتوت بلاد الرافدين وقسماً كبيراً من الشام.

✦ أما وقد طرحتم أن " السامية " تسمية خاطئة ووضعتم بديلاً عنها وهو " الشامية "*. فكيف يمكننا أن نسقط مفهوم الهجرات على هذا البديل؟

كما قلت سابقاً عن إقلاب الحروف في لغاتنا السابقة فالسين تبدل بالشين. هذا وارد في الأكادية والبابلية والآشورية.

وإذا قلنا الهجرات الشامية ربما أحسسنا بالانجذاب نحو هذا المفهوم. أي نسبة لشام وليس لسام.

وقد يضيء هذا الأمر لو بحثنا في حركة الهجرات من وإلى أين.

فالنظريات عديدة حول هذا الموضوع، النظرية الكلاسيكية ولاسيما ما طرحه " كيتاني " تقول ان الانتقال كان من المنطقة القاحلة إلى المنطقة المزدهرة.

---

* : بالإمكان العودة لملف السامية في هذا الكتاب لتبيان رأي الدكتور محفل في هذه التسمية.

وعندما تكون العملية متعلقة بانتقال مجموعات بشرية كبيرة فهي انطلقت نحو الشمال أي نحو ما عرفناه بالهلال الخصيب. وهناك نظريات معاكسة تقول أن الهجرات انطلقت من منطقة الهلال الخصيب إلى الجزيرة العربية.

✦ ورأيك، دكتور محفل؟

طبعاً، إذا انطلقت من مفهوم أن الهجرات كانت من الجنوب، أو من الشمال. أكون صاحب نظرة أحادية لهذا فأنا أرى الأمر بشكل مغاير.

فالمنطقة متكاملة ولا أعتقد أن هنالك شيئاً يمكن أن تحدده كما يفعل الرسام بخط واضح يقول لنا هذا أسود وهذا أبيض.

✦ وإذا عدنا إلى ما قبل التاريخ مع نشوء مدن الدول.. كيف يمكننا أن نبحث في هذا الأمر؟

ما أميل إليه حول حركة الهجرات هو أن هنالك جَوَلان في تلك المنطقة من جنوبها إلى شمالها وبالعكس. هذا ما نعرفه ولا يمكننا أن

نبرهن عليه بالنسبة للعالم القديم. ولكن يمكننا أن نستنتجه بالنسبة لما نعرفه بالوثائق العربية وما قبل العربية.
ألم ينتقل المناذرة والغساسنة وكندة وهم من اليمن بالأصل، ألم ينتقلوا نحو الشمال؟ إذن أن نجزم ونقول أن الهجرات قد أتت من الجنوب إلى الشمال أو بالعكس فهذا يحتاج إلى تحديد الفترة الزمنية. هل هي في العصر الميزوليتي أم يجب أن نغور أكثر في الزمن؟ إذا أردنا الخوض في ذلك فلدينا في الهلال الخصيب مدينة أريحا حالياً [يريحو مدينة القمر] فهي تشكل أقدم مجمع سكني دلت عليه المكتشفات الأثرية حتى الآن. وهذا عائد إلى حوالي الألف السابع قبل الميلاد. ولدينا في الشام تحديداً مجمعات سكنية ترقى إلى الألف التاسع قبل الميلاد.
والنتائج تدل على أنه في العصر الميزوليتي الوسيط كانت المنطقة قد انتقلت من القطف والصيد والرعي إلى الاستقرار حيث بدأ يمتزج نوعان من النشاط الإنساني، الرعوي

والزراعي. وهذا ما نجده حالياً في منطقة الحمّاد أو المتاخمة لها.
لدينا أيضاً في بلاد الشام مواقع ترقى إلى العصر الحجري القديم (الباليوليتي) في انطلياس والكرمل ويبرود وتدمر وفي شمال حلب.
إذن من حيث مناطق الاستقرار فنحن لدينا في الهلال الخصيب مجتمعات ومدن الدول التي بدأت تظهر بشكل واضح في الألف الرابع قبل الميلاد.
أما بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربية. فحسب علمنا، حتى الآن لم يُنقّب فيها. هناك حفريات في الأطراف من البحرين حيث جرت فيها تنقيبات. كذلك اليمن. فهذه من حيث تركيبتها المورفولوجي منحها سداً منيعاً كي تحتجز ما يأتي من البحر الأحمر حيث تأخذه وتجعله منطقة مزدهرة.
تجاه هذه الحالة ربما علينا أن نحدد الفترة الزمنية لكي نستطيع أن نجيب عن حركة الهجرات. وطبعاً النقاشات تجري دائماً حول

سبب هذه الهجرات. هل سببها هو تغيير المناخ جذرياً في الجزيرة العربية؟ بمعنى هل كان قلب الجزيرة العربية عامراً فيما مضى؟ وإذا أردنا الغوص أكثر في الماضي فإن وجود الثروات النفطية يدل على وجود حياة نباتية طبيعية مزدهرة ولكن تحول هذه العضويات إلى ثروات أكثر يحتاج إلى أكثر بكثير من 50 ألف سنة.

هناك أمور لم يستطع العلم أن يحددها.

وما لدينا يرجح أنه عندما بدأ الإنسان بأخذ تلك المظاهر الحضرية ثم المدينية فإن هذا حصل في الهلال الخصيب أكثر من الجزيرة العربية. رغم أن سومر حالياً يقع قسماً منها في العراق وقسم في بلاد الشام وقسم في الجزيرة العربية.

فإذا كان القياس هو المجمع الحضري فهو أكثر في الهلال الخصيب. ولكن بدءاً من الألف الخامس قبل الميلاد أخذت الحركة في الجولان ولم يعد ما هو في الشمال مستقراً في الشمال ولم يعد ما في الجنوب مستقراً فيه

أيضاً. هناك حركة رفد وجولان مستمرة. نابونيت الكلداني تقدم بعاصمته إلى قلب الجزيرة العربية، لذلك فأنا أرجح أن حركة الهجرات كانت حركة جولان بين الجزيرة الشامية والجزيرة العربية.

✦ " معجم الكتاب المقدس ": ما حكايته؟

دكتور محفل.

هذا المعجم هو الأخطر بين أيدينا. والطامة الكبرى هو في أن من أشرف عليه هم علماء من بلادنا ومن مصر أعتقد حوالي 25 عالماً. هذا المعجم يبحث في مفردات التوراة والإنجيل. والخطير في طروحاته هو أنهم حين يستطيعون تفسير كلمة ولتكن مثلاً " أريحا " فيقولون أنها كنعانية. وإن عجزوا أمام اسم ما لم يكن شائعاً فيقولون أنه عبري! على أية حقيقة علمية استندوا... الله أعلم! ولماذا قالوا أن الكلمات عبرية؟ وكيف توصلوا إلى أن 90% من الكلمات هي عبرية و2% كنعانية و4 - 5% آرامية. هذا ما وجدته، وأتساءل بعد هذا:

لماذا نضيف نحن على التوراة ما لم يقله... هو قال أنهم تكلموا شفة كنعان ونحن نقول أن لديهم لغة عبرية؟! كيف؟...
فتشوا... حللوا... عودوا إلى الجذر الثلاثي... وأقول لكم ستصلون إلى النتيجة... عودوا إلى الأصل، إلى تراث الهلال الخصيب اللغوي واللغة العربية الحجازية المتطورة... وستصلون إلى الحقيقة.
هذا المعجم الذي صدر في القاهرة وبيروت والتي أشرفت عليه جمعية الكتاب المقدس. (البروتستانتية بالذات). أنا لا يهمني المعتقد. ولكن ما يهمني ألا ينعكس المعتقد على الحقيقة الحضارية التي تخصنا... البروتستانتية هي التي أشاعت هذا التيار عبري... عبري... عبري!...
وأنا أعيد التساؤل: لماذا تصرون على هذه التسمية الخطأ وكل شيء واضح؟
هل لكي يقال أننا لا ساميون لأننا نعادي " إسرائيل " ولأن إسرائيل حالياً تمثل العرق السامي؟!

د. علي أبو عساف ـ سوريا

✦ درجت الأدبيات التاريخية الاستشراقية والعربية على اعتبار سكان المشرق العربي القديم " ساميين " هل الحقيقة التاريخية العلمية تؤكد مثل هذه التسمية؟ أم ثمة رأي آخر لكم؟.

إن هجرات القبائل من بوادي شبه الجزيرة العربية وباديتي الشام والعراق إلى جناحي الهلال الخصيب لم تنقطع طيلة قرون طويلة، وهي موثوقة أو موثقة بالوثائق التي تعود إلى عصور متنوعة، فمثلاً وصف السومريون، الأموريين بالغربيين (لأنهم قدموا من الغرب) أي، من باديتي العراق والشام، وتحدث سكان مدن سواحل بلاد الشام عن بدو أتوا إليهم من الشرق أي من بادية الشام.

✦ بعد أن ثبت أن أغلب الميثولوجيا التوراتية منسوخة أو مأخوذة من تراث شعوب الهلال الخصيب، من أساطيرهم الأولى، هل يمكننا القول أن المدرسة التوراتية في قراءة تاريخ المشرق العربي، قد اهتزت أركانها بعد سلسلة المكتشفات في الأوابد السورية والمشرقية بعامة؟

ليست التوراة كلها منسوخة..

فإذا كنتم تقصدون بكلمة نسخ، النقل عن الغير، يصح هذا القول أن سفر التكوين هو تكرار للأدبيات السومرية والأكادية، ولا يصح أن نقول أن أسفار الخروج، والعدد، واللاويين، والتثنية هي كذلك. وإن كانت في سفر الاشتراع آيات تقليدية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن المدرسة التوراتية قد قامت في الأصل على قواعد مهزوزة، ولم تكن أساساتها وأركانها ثابتة في يوم من الأيام.

✦ حول علاقة المؤرخ بعلم الآثار، هل نحن أمام تفسير للمعطيات المادية، أم أننا أمام

الأخذ بالمعطى الأثري دون ربطه بحركة التاريخ، بمعنى.. هل أنتم من أنصار فلسفة التاريخ أن علم التاريخ؟؟..

ما أراه هو أن التاريخ يبنى على وثائق ليست حقيقية في معظمها، بل كانت تعبر عن وجهة نظر من صاغها، وهذا ما يقودنا إلى تمحيصها والتدقيق فيها بأسلوب فلسفي نقدي.

✦ دكتور علي: لتسمح لي أن اسألك حول اكتشاف إبلا. ترى هذا الاكتشاف ماذا غيّر من المعطيات التاريخية الثابتة حول تاريخ الحضارة السورية وماذا قدم للمنظومة المعرفية التاريخية من جديد؟

الحقيقة أنه لم يكن معروفاً أن هناك مملكة كإبلا كانت في الجناح الغربي للهلال الخصيب وحتى العديد من الكتب التي صدرت في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كانت تعتبر بلاد ما بين النهرين مهد الحضارة وان بلاد الشام ليست على سويّة بلاد ما بين النهرين في الحضارة ـ أعني هنا

الحضارات القديمة التي تعود إلى الألف الرابع والخامس قبل الميلاد ـ حيث كانوا يعتبرون بلاد الشام صلة الوصل بين الشرق والغرب لا أكثر. إلا أن المكتشفات الأثرية التي حصلت في سورية منذ عام /1964/ وحتى الآن أثبتت أن الجناح الغربي للهلال الخصيب هو أيضاً مهد هذه الحضارة كالجناح الشرقي للهلال الخصيب.

فمملكة إبلا من هذه المكتشفات وقبل أن أدخل في موضوع إبلا أريد أن أعرض مثالاً آخر: هناك عصر نطلق عليه اسم عصر الوركاء نسبة إلى مدينة الوركاء في جنوب العراق، يعود إلى النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد. هذه الحضارة لم تكن معروفة في بلاد الشام أما الآن فقد ثبت بالدليل القاطع ومن خلال التنقيبات الأثرية التي جرت في مواقع أخرى على الضفة اليمنى للفرات، أن حضارة الوركاء كانت منتشرة في حوض الفرات.

فإذن هذه الحضارة لم تكن وقفاً على الجنوب العراقي. والأكثر من ذلك أن حضارة الوركاء

انتشرت إلى قلب البادية الشامية إلى منطقة السخنة والكوم حين عثر أيضاً على فخار من ذاك العصر. فإذن هناك التشابه عبر اللقى الأثرية، تشابه بين الشرق والغرب في الهلال الخصيب، تشابه بين بلاد الشام وبلاد الرافدين.

الآن أتت إبلا لتؤكد على هذا " التمازج " الحضاري من خلال الوثائق العلمية فالمعاجم الجغرافية - إذا صح التعبير - والمعاجم اللغوية المكتشفة في إبلا هي عينها في أبو صلابيخ في بلاد الرافدين. أكثر من ذلك أن مملكة إبلا عبر ماري إلى كيش في جنوبي العراق كانت تتبادل الأساتذة - إن صح التعبير أيضاً - وكانت تتبادل الكتبة وهذا يعني أن هناك علاقات ليست عابرة وإنما علاقات قد تكون علاقات وحدة. وكانت العلاقات القائمة متينة حيث أن هناك رسائل تتحدث عن أستاذ أتى من كيش إلى ماري إلى إبلا وبالعكس. طبعاً هذا له إمكانياته الكبيرة. زد على ذلك أن إبلا كمملكة كانت قائمة في الغرب وفي الشمال

من بلاد الشام. فلا شك أنها كانت الأقوى في هذه المنطقة وإلا لما حاربوها وقضوا عليها. يبدو أنها كانت تضايقهم، يبدو أنها كانت تمنعهم من الوصول إلى الأناضول أو إلى البحر المتوسط، فلذلك أرادوا القضاء عليها. بمكن أن نقول نحن الآن أنه من خلال التنافس القبلي ـ لأن هذه الممالك كلها تأسست وفق أنظمة وأنماط قبلية، وفق عادات وتقاليد قبلية، ـ ومن خلال الأسباب الاقتصادية تم القضاء على إبلا. التنافس القبلي يمكن أن يتجلى في التنافس على زعامة المنطقة.

✦ الفنّ الإبلائي، لوحظ من خلال الدراسات والأبحاث وجود تأثيرات مصرية فيه. ترى هل هذا يعود إلى انتقال الفنّ المصري إلى إبلا عن طريق الهكسوس كما طرحته الدكتورة غابرييلا ماتييه في محاضرتها أم أن لكم رأياً مخالفاً؟

العلاقات بين مصر وبلاد الشام أقدم من عصر الهكسوس بكثير. فجبيل تشهد على ذلك، وتشهد على ذلك أيضاً بعض اللقى الأثرية

التي وجدت في إبلا ذاتها. نحن لا ننكر بأن الهكسوس لعبوا دوراً كبيراً في تقوية العلاقات بين بلاد الشام ووادي النيل. والهكسوس هم من شعوب هذه المنطقة وليسوا قادمين أو عابرين إلى بلاد الشام. هذه النقطة أريد أن أؤكد عليها الآن في ذهن بعض الناس أن الهكسوس أتوا من الشرق. أما نحن فنقول أن لدينا أدلة تثبت أن الهكسوس هم من هذه المنطقة وسوف أعرضها لك:

أولاً: الفخار والأواني الفخارية التي اكتشفت في عصر الهكسوس هي صناعة محلية من بلاد الشام ومنها وصلت إلى مصر. وانتشرت في الأماكن فقط التي هي من حمص ونحو الجنوب في تلك المنطقة. فلو كانوا قدموا من بعيد لكانت هذه الأواني قد انتشرت إلى الشرق.

ثانياً: لو أن الهكسوس عبروا من الخارج لذكرتهم الممالك الكنعانية التي كانت قائمة آنذاك، وكانت هذه الممالك قوية جداً ولا

تسمح لأحد أن يمر غازياً. مثل مملكة آشور، مملكة ماري، مملكة يمحاض (حلب) ومملكة قطنا وغيرهم... هذه الممالك لم تذكر شيئاً عن هؤلاء الناس فلو كانت هناك هجرة واسعة وقوية كما يتصور البعض لذكر ذلك.

ثالثاً: وهذا مهم، هو أن من أصل 14 ملكاً من الهكسوس هناك عشر ملوك أسماؤهم " سامية " كنعانية وأربع ملوك أسماؤهم مصرية.

وهذا طبيعي فالمهاجر السوري حتى اليوم يسمي أولاده بأسماء عربية وأسماء البلد الذي يهاجر إليه كما في أسم كارلوس... الخ.. فهذا شيء طبيعي حين ينتقل الإنسان إلى بلد آخر. فعلاقة إبلا مع مصر أقدم من الهكسوس وإن كانت في هذا العصر قد قويت.

✦ وهذه العلاقة برأيكم أدت إلى امتداد تأثيرات الفنّ المصري إلى الفنّ الإبلائي ؟

هنا يجب أن نميز فيما إذا كانت القطعة الفنّية المكتشفة في إبلا مستورة أو مصنعة محلياً أو مستوردة من مدن أخرى في بلاد الشام.

وليس بالضرورة من مدينة مصرية. هناك أعمال فنية اكتشفت في إبلا من صنع محلي إبلائي ولكن زخارفها تقليد لبعض الزخارف المصرية فهذا تأثر بالفنّ المصري وتقليد لبعض عناصره.

✦ هل هناك ملامح وسمات واضحة للفن الإبلائي؟

نعم هناك ملامح خاصة للفن في إبلا من ناحية نحت التماثيل. فالملاحظ بأن التماثيل في مدينة إبلا على نوعين ولنقل صنفين من حيث الجودة. هناك تماثيل جيدة جداً من ناحية الحجم الطبيعي للإنسان، ملابسه جميلة، مزوقة، تظهر عليها كافة أنواع الزركشة وهناك ملابس بسيطة.

برأيّ أن هذا التفاوت بين التماثيل يعود إلى الدرجات بين هؤلاء الناس المُمثلين. هو تفاوت في المرتبة. فتمثال الملك أحسن من تمثال الأمير والملكة تمثالها أحسن من الأميرة وهذا طبيعي بالنسبة للعصور القديمة.

الدكتور عدنان البني - سوريا

✦ بعد أن ثبت أن أغلب الميثولوجيا التوراتية منسوخة أو مأخوذة من تراث شعوب الهلال الخصيب ومن أساطيرهم الأولى، هل يمكننا القول أن المدرسة التوراتية في قراءة تاريخ المشرق العربي، قد اهتزت أركانها بعد سلسلة المكتشفات في الأوابد السورية والمشرقية بعامة؟

مما لا شك فيه أن أركان المدرسة التوراتية مهزوزة لكنها موجودة وخطيرة، كما أن لها مؤيدين. وهناك عدد من الباحثين العرب الذين يرددون معطياتها بحسن نية، وما أراه من انهيار هذه المدرسة منوط بمقارعتها بالعلم والحجة الدامغة وليس بالخطابة والشتائم.

✦ حول علاقة المؤرخ بعلم الآثار، هل نحن أمام تفسير للمعطيات المادية، أم أننا أمام

الأخذ بالمعطى الأثري دون ربطه بحركة التاريخ، بمعنى.. هل أنتم من أنصار فلسفة التاريخ أم علم التاريخ؟؟..

نحن من أنصار علم التاريخ الذي يعتمد على المعطيات الأثرية، وكل ما عدا ذلك اجتهاد، إنه من باب الاستنتاج والادعاء.

✦ منطقة الهلال الخصيب، برأيكم هل تشكل وحدة حضارية أم أنه ثمة افتراقات واختلافات ثقافية بين بلاد الشام وأرض الرافدين؟.

مما لا شك أن الهلال الخصيب كانت فيه حضارة متشابهة، وأحياناً متماثلة في العديد من أوجه الحضارة، ولكن، ثمة لونيات وفروقاً سببها الوضع الجغرافي بكل عناصره والتمازجات الأثنية، ولكن لا نستطيع أن نقطع بهذا الأمور انطلاقاً من الرغبات بل بدءاً من الحقائق.

✦ دكتور عدنان: عدتم مؤخراً من قبرص بعد مشاركتكم في مؤتمر حضارات بحر إيجة وعلاقتها بحضارات شرق المتوسط. هل لكم

أن تحدثونا عن أجواء المؤتمر ومساهمتكم في مناقشاته؟

المؤتمر دعي إليه عدد من علماء الآثار والعاملين في حقل الدراسات الإيجية. المسينية، المتوسطية، والكنعانية. أي الحلقة الحضارية حول البحر المتوسط الشرقي. وأنا شخصياً لم أساهم في مؤتمر سابق في قبرص أو في زيارة لها. وذهبت باعتباري قد دعيت رسمياً من قبل الأستاذ راسيوس غاريورغيس مدير الآثار ومستشار رئيس الجمهورية (القبرصية اليونانية) الحالي، ومن مؤسسة ببيريدس. فأنا لم أذهب سابقاً إلى قبرص ولكن دعيت بصفتي منقباً في موقع ابن هانئ الذي يعتبر الآن من أهم المواقع التي تلقي الضوء على منطقة شرق المتوسط خلال ألفي عام بدءاً من القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى عهد جوستنيان في القرن السادس الميلادي تقريباً. فبهذا الاعتبار ذهبت وشاركت. وقد كان أكثر المدعوين ممن لم يزوروا سابقاً قبرص. فلجنة المؤتمر لم

ترغب في مساهمة باحثين سبق أن كتبوا وبحثوا في هذا الأمر لأنهم يريدون أفكاراً جديدة.

" في خلال الأحاديث الجانبية ذكر الدكتور عدنان لنا بأن التوجه العام في المؤتمر الذي عقد في قبرص والذي ظهر من خلال الأبحاث المقدمة هو أن حضارات إيجة قد أعطت حضارات شرق المتوسط / وليس تفاعلت معها /. وذكر الدكتور عدنان أنه تحدث عن دور حضارات شرق المتوسط الحضاري هذا الدور الذي كان غائباً عن أذهان بعض المؤتمرين ".

✦ من خلال تعمقكم في دراسة آثار المشرق العربي وتاريخه. هل لكم أن توضحوا لنا حركة التاريخ في هذه المنطقة من خلال المعاهدات الاجتماعية والتحالفات والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية القديمة. وهل يمكننا أن نقول أن ثمة وحدة حضارية في منطقة الهلال الخصيب؟

نحن الآثاريون لا نهتم كثيراً في مواضيع الحروب القديمة بل نهتم في مواضيع علاقات التبادل والتأثيرات الفنّية والحضارية عموماً التي تأتي عن طريق التبادل والاحتكاك وذلك من خلال الآثار المادية التي نلمسها. ونحن عادة لا نتحدث عن أشياء لا نجد لها أثراً على أرض الواقع، فمن خلال التنقيب في منطقة الهلال الخصيب نجد أنها منذ الألف السابع أو الثامن قبل الميلاد بدأت بحركة انتقالية فكانت تجلب ما يلزمها. حتى في العصر الحجري كان إنساننا يجلب نوعاً من الحجارة يلزمه لصنع أداة أو إناء يلزمه، وذلك قبل أن يصنع الفخار وكان يصدر أيضاً ما لديه من محاصيل وأشياء أخرى إلى الخارج. إنساننا ركب البحر مبكراً جداً حتى أنه ثبت علمياً أن إنسان قبرص مثلاً وكريت وحتى بعض حيواناتها ونباتاتها مصدرها بلاد الشام. هذا شيء علمي وليس عبارات تبجح. وإذا لم نقل أن هناك وحدة في منطقة الهلال الخصيب فهناك علاقات تكامل حضاري متينة. طبعاً التكامل

هذا ليس بالمعنى أنه كان هناك وحدة بين كريت وقبرص وبلاد كنعان والرافدين ففي الهلال الخصيب عموماً يختلف الوضع لأن هنا نجد اشتباكاً والتحاماً، هنا لغة واحدة. وهنا نوعية حضارية واحدة، نوعية علاقات إنتاج واحدة أيضاً، نوعية من التوجه الحضاري والتوحد بشكل عام.

✦ حسب اعتقادكم دكتور عدنان، هل يختلف التعاطي مع آثارنا وتاريخنا بين العلماء الأجانب وعلمائنا؟ ـ طبعاً لا أقصد الناحية العلمية ـ بل من ناحية تفسير حركة التاريخ في بلادنا.

بصراحة! معالجتنا نحن لتاريخنا خطابية وعاطفية وانفعالية، نعمم كثيراً.. الأجنبي جاف وموضوعي ولديه العلم علم، ولا دخل للعواطف والانفعالات والخطابية في حقيقته العلمية. طبعاً بين العلماء الأجانب من هم غير علماء أعني أن بعضهم قد يخطئ وهذا الخطأ إما هو جهل وإما عن سوء نية. ولكن أكثرهم موضوعيين من حيث المعطيات التي توصلوا

إليها وما اكتشفوه في بلادنا. يجب علينا ألا نلتزم بما يفسرون بل علينا أن نفسر ونحلل نحن فنقبل أو نرفض. وفي الحقيقة وفيما رأينا الآن في الندوة وفي مناسبات أخرى هناك جنوح إلى الموضوعية بعد أن أصبح لدينا الآن معرفة أكثر من السابق. أصبحنا نعرف حقائق التاريخ. أصبحنا من حيث التقنية والخبرة في مستواهم، ولكن أعتقد أن دماغنا بدأ يتحرك وأصبحنا نفكر أكثر من الماضي، نحلل، ونستنتج ولا نقبل أن تصلنا الحقائق إلا بعد تحليل ودراسة. والمشكلة هي أننا أضعنا الوقت الكثير في الخطابيات وفي التعميمات وفي أمور لم تكن في الواقع ضرورية.

أنا أريد أن أثبت حضارة إن كانت غير موجودة أو كانت ضعيفة أو هزيلة ولكن إذا كنتُ واثقاً من حضارتي فلا حاجة من أن أقف لأخطب وأعظّم وأقول أن حضارتي أكبر وأقدم وأعظم وأحسن. هذا تفعله الأمم ذات الحضارة الهزيلة التي تحاول أن تُكبر نفسها بأكثر مما

تستحق. لكننا نحن كبار في نفوسنا، كبار في حضارتنا فلا حاجة لنا إلى الخطابيات والانفعالات والعواطف في هذا الأمر.

✦ هل نقبتم في تل ليلان؟ وهل لكم أن تحدثونا عن عاصمة شمشي أدد الثانية أقصد شوبات أنليل؟

لم أنقب في تل ليلان ولكن بصفتي مديراً للتنقيب عن الآثار في سورية تصلني جميع التقارير وأنا أهتم بالمكتشفات الجديدة ومنها هذا الموقع المهم. وهذا الموقع لا يقل أهمية عن إبلا وماري ورأس شمرا. لهذا شئت أن أكون المُعرف عن هذا الموقع وهذه سنّة اتبعها منذ زمن طويل فأنا ملزم بصفتي الوظيفية قبل كل شيء وبصفتي مدرساً وأستاذاً في الجامعة. وأنا مكلف بأن أعطي المعلومات الجديدة ولا اختزنها في الأضابير والأرشيف لأنها تنشر في لغات أجنبية وبالتالي من واجبي أن اقرأها وأعطي وجهة نظري فيها وأنشرها للجمهور. وبالنسبة لاكتشاف شوبات انليل في تل ليلان فهذا ليس

بجديد. لماذا؟ لأن إبلا لم تكن مجهولة ولكن منطقتها وموقعها مجهول. كذلك شوبات انليل. واكتشافها في مكانها هو الشيء الجديد.

شخصياً، أنا أشارك شخصياً بتل ليلان من خلال استقبالي للبعثات الأجنبية فأنظمها واضع لها برامج سنوية. وطبعاً تصلني التقارير عن الاكتشافات وبالتالي فإني أعرفها أكثر من غيري وأنشرها. فضلاً عن وجود وجهات نظر لي شخصياً ولي أعمال خاصة بي وهذا أمر آخر.

✦ في محاضرتكم العام الماضي في مكتبة الأسد تحدثتم عن شوبات انليل كعاصمة ثانية لشمشي أدد بعد آشور هل لكم ان توضحوا لنا المزيد عن هذه المعلومة التاريخية؟

شمشي أدد ملك سوري أموري كان يعيش في آشور ولكونه فذاً ورجلاً قوي الشخصية فقد استطاع أن يصبح ملكاً على آشور وعلى أقسام تصل حتى حدود تدمر جنوباً وإلى الأناضول شمالاً. فلذلك لم تكن تكفيه عاصمة

مثل آشور وحدها أو مدينة ضخمة مثل ماري حيث كانت تابعة له فأراد عاصمة ثانية يقترب من خلالها من طرق التجارة العالمية ويستطيع أن يراقب ما يتم في الأناضول ومناطق نفوذه. فلذلك أنشأ له مركزاً هو شوبات انليل وتعني مكان أو إقامة الرب انليل.

✦ دكتور عدنان: اليهود الحاليون الذين يتكلمون اللغة العبرية - جاء في التوراة أن لغة اليهود هي شفة كنعان - أريد منكم إيضاحاً حول لغة اليهود الحاليون هل هي كنعانية الأصل أم أنها لغة لا تمت للكنعانية بأوهى صلة؟ أرجو إيضاح ذلك.

كما قلت في التوراة جاء أن اللغة العبرية هي شفة كنعان أي لسان كنعان. هم يقولون: تكلمنا بلسان كنعان، ولكن الواقع هم لم يأخذوا فقط لسان كنعان بل أسماء كنعانية فإسماعيل وإبراهيم.. إلخ كنعانية. وحتى موسى، هذا الاسم هو اسم مصري لأنهم حين طرأوا إلى المنطقة لم تكن لهم لغة من اللغات

بل كانوا قبائل رحل ولم يكن لهم لغة راقية وفي مستوى الكنعانية الرفيع والحضاري. لذلك استخدموا اللغة الكنعانية واخذوا التراث الكنعاني وقدموه على أنه تراث يهودي.
اليهود الحاليون من حيث اللغة لا علاقة لهم باللغة العبرية لا بشكل ولا بآخر وليس هناك من أصول واحدة. وليس للغة العبرية الحالية أية علاقة باللغة العبرية القديمة وثمة اختلاف كبير جداً بينهما. فاليهود الحاليون ليسوا أولئك ولا علاقة للغة الحاليين بلغة القدامى.
اللغة التي يتكلمها اليهود الآن هي لغة كنعانية سيئة ومشوهة فقد دخلتها تعابير كثيرة من أوروبا ومن بلاد الخزر وألمانيا ودخلها الأيدش، كما أن هناك مصطلحات دخلتها بحسب المناطق التي جاء منها اليهود الحاليون. فلم يعد فيها نقاء. حتى اليهود أنفسهم حالياً، اليهودي الحديث لا يفهم اليهودي القديم بينما عندنا الإنسان يفهم لغته القديمة منذ ألف وخمسمائة عام وحتى ألفي عام.

✦ بحدسكم الأثري والتاريخي وطبقاً للمدونات المكتشفة. هل تتوقعون اكتشاف مدن جديدة في الشام، وتكون في المستوى الحضاري لإبلا وماري وشوبات انليل ورأس شمرا؟ وهل هناك أسماء مدن وردت في المدونات الأثرية ولم تكتشف بعد أو لم يعثر عليها بعد؟

لا شك فالآن بين أيدينا أسماء كثيرة ولمدن لم تكتشف وأهمها " واشوكان " في الجزيرة الشامية وسنجدها يوماً وهذا شيء بديهي. هناك حلب القديمة التي تحت القلعة وكذلك هناك حماة القديمة بقلعتها وهناك أيضاً حمص القديمة تحت قلعتها.. هناك مدن ضخمة لم تكتشف بعد. أيضاً المشرفة هذه المدينة أكبر من إبلا بمرة ونصف (حوالي 90 ألف هكتاراً). أسوارها والخنادق حولها وضخامتها لا يوجد في العالم إلا قلّة في هذا المستوى من ناحية الحجم.

هناك أكثر من 5 تلال في الجزيرة مقاييسهم كل واحدة 100 هكتار. فتصور حجم هذه المدن التي لم تكتشف بعد.
الآن نحن نتوقع اكتشاف الكثير من المدن. هناك مثلاً دمشق القديمة.. هناك تلال في الغوطة كثيرة. تحت دمشق هناك أثاراً كثيرة أيضاً. فدمشق ذكرت منذ أيام الأموريين. كذلك هناك مدن كثيرة ستظهر على الفرات وعلى الخابور. نحن قبل حملة الفرات في السبعينات كنا نتوقع الكشف عن مدن تحت التراب، فاكتشفت إيمار بشكلها الكامل وحبوبة الكبيرة وحبوبة الصغيرة وعرودة وسلنقحية وتلال لا تعد ولا تحصى وكلها ذات أهمية. الآن لدينا مدينة تنقب في تل الشيخ حمد. مدينة من أضخم المدن الآشورية. هناك مدينة عجاجة تحتا. هذه المدن مذكورة في النصوص ويفتش عنها. ولكن أحياناً العلم الأثري تلعب فيه الصدفة دوراً كبيراً وواضحاً والمنقب يحتاج لأن يكون موجوداً تحت نجمة خير. وأيضاً يجب أن يكون له حظ - إذا صح هذا

التعبير ـ لأن هناك علماء أجلاء قضوا عمرهم في التنقيب ولم يعثروا على شيء وهذا لا يقلل من مجدهم، ولكن الاكتشاف مثلاً له وقع خاص. ولأعطك مثالاً.. باولو ماتييه عالم لا نشك في علمه وله زملاء في العالم على أمثاله، ولكن حظه أنه وقع على موقع كنا نحن الذين سلمناه إياه وبقي عشر سنوات ينقب ولم يعثر على شيء.. حتى اكتشف المدينة فتفجرت له أمور كثيرة وهذا الكشف أفاده وطوره وقواه وأعطاه بعداً أثرياً مثل مكتشف جبال الهمالايا مثلاً. هذا أمر يتعلق بطبيعة المهنة وبالإضافة إلى لعبة الحظ، هناك المهارة والعمل بمحبة وإخلاص.

✦ دكتور عدنان في مواجهة هذه المواقع الكثيرة والتلال الغزيرة ـ ويقال بأن عددها يفوق المئة ـ هل هناك خطة موضوعة من قبل مديرية الآثار من أجل الكشف المنظم عن تلك المواقع؟

طبعاً هناك خطة، ولكن لو قلت أن بإمكاننا أن نكتشف النفط السوري في عام واحد فهل هذا

الكلام منطقي ؟ نحن لدينا كادر وهذا الكادر يحتاج إلى تقوية ودعم دائم حيث يستطيع أن يبدأ بالقليل ويصل إلى الكثير. فالتلال التي عندنا كثيرة جداً وتفوق إمكانياتنا وحتى إمكانيات عشر دول مجتمعة. زد على ذلك أن طبيعة العمل الأثري بطيئة فلا يمكن أن أنقب بالجرافات وما شابه. فبطء هذا العمل يجعل مهمة الكشف عن الأثر طويلة وشاقة أيضاً. أنا لست مكلفاً أن أعرف كل شيء عن الآثار دفعة واحدة وأكشف عن كل الآثار دفعة واحدة لأني إنسان ولي حدود ومحدودية. أنا معني أن أعطي كل ما عندي وأن أستثمر كل ما تعطيني بلادي خير استثمار حتى أعطي النتائج.

لكن بعدي هناك رجال آثار آخرين، وهناك أجيال أثرية ستأتي وهؤلاء كلهم سيعملون، فالعمل الأثري مهمة الأجيال السورية الآتية والآثار السورية وديعة بين أيديهم. أيضاً أحب هنا أن أعرج إلى نقطة مهمة وهي أن طرق التنقيب تتطور وتتقدم من هنا يمكن أن يساعد

هذا التطور إلى أعطاء نتائج موضوعية أدق. وكذلك بالنسبة للتطور العلمي الذي يحصل في طرق التنقيب، في التحليل المخبري يمكن لكل هذا أن يؤدي إلى نتائج متطورة ودقيقة وموضوعية أكثر.

فلأترك هذه المواقع وتلك الآثار الغزيرة كاحتياط أثري. وهذا الاحتياطي هو احتياطي استراتيجي هام جداً وحضاري واقتصادي وقومي بكل معنى الكلمة.

✦ متى نستطيع أن نعتمد على كوادرنا في التنقيب والكشف، وهل تؤدي البعثات الأجنبية الدور المرسوم لها بأمانة وإخلاص؟

نحن ننقب أكثر مما نستطيع ونستجلب البعثات الأثرية ونشاركها مؤقتاً ولكن في ظل إمكانياتنا الحالية لا يمكن أن نستغني عنها. في مرحلة يمكن أن يتم هذا الاستغناء كما هم استغنوا، ولكن وجوهم يساعد في عدة أمور منها: تطوير كوادرنا وإعدادها الإعداد العلمي الصحيح وكذلك الخبرة التي يتمتعون بها بالإضافة إلى طرق التنقيب المتطورة. فنحن

في مرحلة نقوم بالتنسيق معهم. ونحن أيضاً ننسق مع وزارة الثقافة والجهات العليا في الدولة، وحين تقرر الجهات العليا عدم الحاجة إلى هذه البعثات نستطيع عندئذ أن نستغني عنها. ولكن حتى الآن لا يوجد مثل هذا التوجه. وانتم تلاحظون الآن نتائج هذا التعاون معها وفوائده.

الباحث وحيد خياطة – سوريا

✦ إلى أي حدّ يمكننا اعتبار الهجرات السامية من الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب حقيقة تاريخية موثوقة ؟ وهل لديكم تصور جديد حول هذا الموضوع ...؟

إن الجزيرة العربية ستبقى لغزاً غامضاً يستعصي علينا فهمه طالما أنها بعيدة عن معاول ورفوش التنقيب الأثري. وبرأيي أن ما طرحته حول الهجرات السامية من الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب يبقى مجرد افتراض نظري وليس ثمة ما يدعمه من أدلة مادية أثرية.

طبعاً أنا أستغرب إلحاح بعض المؤرخين على أن الجزيرة العربية هي الخزان البشري الذي كان يمدّ منطقة الهلال الخصيب بالموجات البشرية المتتابعة، علماً، أن الثابت والأكيد هو الهجرات البدوية في مرحلة قبل الاستقرار، التي كانت تنطلق دائماً من البادية السورية وتستقر بعد مخاض عسير في موطن الحضارات في بلاد ما بين النهرين. وكل عظماء الرافدين الذين نعرفهم مثل سرجون الأكادي وحمورابي البابلي كانوا من أصل بدوي، وصلوا جنوبي الرافدين من البادية السورية ثم وصولوا إلى سدّة الحكم

ووحدوا منطقة الهلال الخصيب تحت راية مركزية.

من هذا المنطلق أجد أن البادية السورية هي الموئل الأول للعرب في حضرهم ومدرهم، في عروبتهم وأعرابيتهم. وقد تعرفنا عليهم بشكل أوضح باحتكاكهم مع الآشوريين منذ القرن التاسع قبل الميلاد، عندما كانوا يسببون قلاقل ومشاكل تقلق الدولة الآشورية، مما أجبر الاشوريين على ملاحقتهم وتتبعهم حتى صحراء الجزيرة العربية، ثم يكرّ الآشوريون عائدين إلى بلادهم خيفة أن يضيعوا في متاهة الصحراء الضخمة التي لم تكن كذلك بالنسبة للعرب والأعراب المقيمين في البادية السورية منذ آماد طويلة، والذين كانوا يستخدمون الإبل كوسيلة ناجعة من وسائل حرب الصحراء.

✦ بما أنه ثبت أن التوراة منسوخة ومأخوذة عن تراث الهلال الخصيب وتاريخه، هل يمكننا القول بأن المدرسة التوراتية التاريخية قد اهتزت أركانها وأساساتها إثر السيل الهائل من المكتشفات الأثرية في جميع أنحاء سوريا الطبيعية ؟.

لقد خضع تاريخ الهلال الخصيب فترة طويلة لمنظور ميتافيزيقي في ضوء نصوص التوراة، قبل الاكتشافات الأثرية الضخمة، وقبل أن يتأسس علم الآثار الذي يُعنى بدراسة حضارة المنطقة في ضوء ما تكشفه

التنقيبات الأثرية من كتابات وأوابد. ولم يعد هناك شك في أن الأصل الحضاري انطلق من الهلال الخصيب بفضل شعوب عديدة امتزجت وانصهرت في بوتقة حضارية واحدةٍ ولم يشذ عنها سوى اليهود الذين أساؤوا قبلاً وما زالوا يسيئون إلى شعب هذه المنطقة وحضارته بنظريتهم العنصرية البغيضة.

✦ حول علاقة المؤرخ بالمعطيات الأثرية هل نحن أمام تفسير للمعطيات المادية أم أننا أمام الأخذ بالمعطى الأثري فقط دون ربطه بحركة التاريخ؟ بمعنى، هل أنتم من أنصار فلسفة التاريخ أم علم التاريخ بما أتى من حقائق موثقة فقط ؟.

إن الآثار هي التاريخ وهي الشاهد الناطق بالأدلة المادية على حوادث الماضي وحركته، ولكن هذا لا يعني أن يتحول علم الآثار إلى علم جامد ذي منظار جامد أحادي لا يرى في كسر الفخار إلا مادتها وتركيبها وتحليلها، دون أن يأخذ بعين الاعتبار الشعوب التي أوجدت هذا الفخار. هذا مثال فقط لكنه ينسحب أيضاً على كل المعطيات المادية التي يعثر عليها المنقب الأثري. فالتاريخ لا يكتب في المكاتب بمعزل عما يجري في ميدان البحث الأثري. ولا يمكن أن يقدم منقب الآثار مواداً ميتة لا روح فيها.

وباعتقادي أن المنقب هو الأقدر على التحليل والتركيب، لما كان يحدث في عوادي

الزمن بما يملكه من شواهد ومكتشفات. وأنا لست ممن يحب أن يفلسف التاريخ بنظريات مجردة وإنما أحب أن أنطلق من منظور ما تقدمه المكتشفات الأثرية من معطيات. فهناك كثير من الحقائق التي كانت غائبة عنا حتى وقت قريب، اتضحت بعد المكتشفات المذهلة في " تل مرديخ " إبلا. فهذه المكتشفات لم تكن متوقعة وعند اكتشافها أجبرت الكثيرين من علماء التاريخ على إعادة النظر في كل ما كتبوه عن تاريخ المنطقة.

✦ منطقة الهلال الخصيب هل تشكل وحدة حضارية واحدة ؟ أم أن ثمة فروقات بين حضارة بلاد الشام وبلاد الرافدين ؟

لا يوجد حضارة اسمها حضارة الرافدين وأخرى اسمها حضارة بلاد الشام. هناك حضارة واحدة للمنطقة كلها وإذا كان ثمة فروقات فيه كالفروقات المحلية في القطر الواحد.

الأستاذ بشير زهدي– سوريا

✦ **أستاذ بشير زهدي، اسمح لي أن أطرح عليكم سؤالي الأول ويتعلق بخصائص ومميزات تاريخنا الحضاري والرسولي..ترى..هل ثمة ميزاتٍ لتاريخنا وخصائص تجعلنا نكرر دائماً أن منبع الحضارة الإنسانية كان في سورية ؟**

طبعاً. وهذا مبني على حقائق وأدلة فأولاً:
ما يتميز به تاريخنا هو قدم نشوء الحضارة في بلادنا، حيث نشأت منذ مليون سنة. وثانياً: ما يلاحظه الدارس لتاريخنا، هو هذا التواصل الحضاري والاستمرار غير المنقطع حيث نجد استمراراً حضاريا منذ عصور ما قبل التاريخ مروراً بالعصور الحجرية فالبرونزية فالحديدية والموجات العربية إلخ...

وثالثاً: نلاحظ أن ثمة وحدة حضارية في هذه المنطقة، فلا يمكن دراسة تاريخ بلاد الشام دون دراسة تاريخ بلاد الرافدين. ولا أستطيع دراسة الحضارة السورية دون أن أدرس تاريخ قرطاجة وتاريخ بلاد النيل وتاريخ الجزيرة العربية واليمن.

ورابعاً: أن الموقع الجغرافي والإستراتيجي لسورية جعل هذا الشعب منفتحاً ساهم في المثاقفة والتفاعل مع الحضارات الأخرى، أفاد واستفاد ولم يكن الشعب السوري في مرحلة من تاريخه شعباً منغلقاً على نفسه.

بناء على هذا، نجد هذا العطاء الفاعل لحضارتنا منذ قدموس الذي علم اليونان الأبجدية وهانيبعل وسبتموس سفيروس وزينون الرواقي وفيليب العربي ولوقيان السميساطي وغيرهم. فلسورية صلات حضارية قديمة مع روما واليونان وصقلية وإسبانيا ومرسيليا. واسمح لي أن أذكر حادثة طريفة حصلت معي أثناء حضوري لمؤتمر

في مدينة المنكب في جنوب الأندلس. حيث قال لي مدير متحف المنكب السيد " الفاخارتو " بعد أن عرفني من سورية: " كل ما أحلم به هو أن أزور بلاد أجدادي، بلاد الفينيقيين " فهو يعلم أن مدينته قد أسسها الفينيقيون وكانت أول مدينة يدخلها عبد الرحمن الداخل فيما بعد.

طبعاً بعد فترة يأتي السيد الفاخارتو إلى أوغاريت ويعبر عن اعتزازه لوجوده في مدينة أجداده. وإذا عدنا الآن إلى موقع سورية الجغرافي، لقلنا أن طريق الحرير قد خلق صلات حضارية بين سورية والصين والهند وكذلك بين سورية وأفريقيا.

وحتى عصرنا الحاضر، نجد أن السوري بمعناه الكبير يحمل مشعل الحضارة. صحيح أننا لم نبتكر الصواريخ والديناميت – ولا فخر في هذا – لكننا ابتكرنا الأبجدية، ابتكرنا الأدب الإنساني، ابتكرنا العلوم، الفن والأسطورة وبواكير الفلسفة.

وبهذه المناسبة فإني أردد دائماً قولاً لشاعر سوري عاش في القرن الأول الميلادي، واسمه ملياغر حيث كان يقول: " لا تظنوني غريباً، فلكنا من وطن واحد هو العالم ". هذا الشعار الجميل الذي قيل قبل ألفي سنة تقريباً، ألا ترى أنه يصلح ليكون شعاراً للأمم المتحدة في القرن العشرين. أعيد القول، صحيح أنه لم نبتكر أدوات

الموت ولكننا أسهمنا بامتياز في نشوء الحضارة وتطورها.

✦ بعض المستشرقين، حين يتحدث عن حضارة سورية، فإنه يُغفل فعلها الحضاري ويحاول إظهار انفعالها الحضاري بسبب وقوعها في وسط الحضارات والقارات وعلى هذا يتحدث بعضهم عن سورية كمعبر حضاري بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ويعتمون على كونها مركزاً حضاريا، كيف تحللون ذلك؟

لا شك أنه حين نجد هذا العدد الهائل من المستشرقين الذين تحدثوا عن سورية، فلا بد أن نجد بعض المنصفين وبعض المسيئين سواء بحسن نية أو عن سوء نية. ولكن، ما أراه أنا هو أن كل إنسان يتحدث عن بيئة غير بيئته فإنه قد لا يصيب وربما لم يستطع أن يعبر عنها كما أبناء البيئة نفسها.

فإذا طرح بعضهم أن بلادنا هي معبر، فليطرح ما يشاء، لأننا نحن نعرف تاريخنا ونعرف موقعنا ونعرف ماذا أبدعنا وماذا قدمنا.

ربما لا تلزمنا أحياناً هذه الشهادات لما قدمناه. ويكفي أن ما قدمناه هو الدليل، فسورية ضرورة إنسانية وحضارية لأنها تحمل خصائص الحضارة وجوهرها وروحها.

✦ أستاذ بشير، كيف تنظرون لعلاقة الفن مع البيئة ؟ وبمعنى آخر: إلى أي حدّ تلعب

البيئة دوراً في إعطاء الفن خصائص بيئية = مجتمعية ؟

طبعاً الفن هو أعظم إنتاج إنساني فهو المحور. والفن أقدم من التاريخ [يقصد الأستاذ زهدي بكلمة تاريخ أي بدء الكتابة – المحاور] . وكما تعلم أن الفن نشأ حين أصبح الإنسان بحاجة للتعبير فكان الرسم والنحت واللحن ثم كانت الكلمة. الآن، نحن نعلم أن كل إنسان هو ابن البيئة التي نشأ فيها. فهي التي تساهم في تكوينه النفسي والاجتماعي والإنساني.

فإذا قلنا أن كل عمل فني يحتاج إلى ثلاثة ركائز، هي المادة والموضوع والتعبير، فنحن الآن إزاء علاقة المادة بالبيئة والموضوع بالبيئة والتعبير بالبيئة. فالمادة هي التي توجه الحضارة ولأطرح مثلاً، إن المنطقة الفقيرة بالأخشاب والغنية بالأحجار نجدها ابتكرت وسائل الكتابة على الحجر ووسائل العمارة بالحجر. وبعض المناطق الغنية بالطين والفقيرة بالأحجار تكون مادتها طينية.

فالبيئة تقدم الإمكانيات. وترى أن منطقة جنوب الشام قدمت لإنسانها البازلت الصلد والصعب التعامل معه. ومع هذا فقد استطاع إنساننا التعامل معه والسيطرة عليه. إذن البيئة تقدم للإنسان العنصر الأساسي من عناصر العمل الفني – أقصد المادة – وكذلك ارتباط الموضوع بالبيئة. فضمن النظام

المعرفي الذي اكتسبته من بيئتي الإجتماعية، لا بد أن يكون موضوعي منبثقاً من هذا النظام المعرفي = الاجتماعي وإلا أصبحت لا أخاطب بلغة إجتماعية نشأت بها وعليها.

أما طريقة التعبير وارتباطها بالبيئة فهذا عائد إلى مدى التطور الفني والاجتماعي والثقافي للمجتمع وتطور نظرته في الحياة والكون.

فالفن إذن هو ابن البيئة وهو مرآة المجتمع. كما أننا لا ننسى دور الفن وتأثيره في البيئة والمجتمع، من ناحية تنمية الحس الجمالي والأخلاقي فيه.

وإذا لاحظت معي أنه حتى الدين، بل كل الأديان اعتمدت على الفن وكذلك كل الأفكار. فالنشيد الوطني لكل أمة هو عنوان فني وفكري للأمة وكذلك عَلَمُ كل أمة.

طرحت في كتابي " الفن السوري في العصر الهلنستي والروماني " نظرية تتعلق بهذه الناحية أقصد علاقة الفن بالبيئة. فقد درج البعض على اعتبار أن الآثار المكتشفة في سورية في العصر الروماني هي آثار رومانية. لكنني توصلت بعد دراسة هذا إلى ما مفاده أنها آثار سورية من العصر الروماني وعبّرت عن ذلك بالأدلة التالية:

أولاً: من ناحية المادة المستخدمة: نجد أن المادة محلية وليست مستوردة – كالبازلت مثلاً.

ثانياً: لا يوجد في بلاد اليونان أو الرومان آثار كالآثار الموجود في بلادنا.

ثالثاً: معلوم أن الحضارة السورية تعود إلى مليون سنة قبل الميلاد. ومعلوم أيضاً أن حضارة اليونان تبدأ من القرن التاسع ق.م. وحضارة الرومان بدأت بعد انتهاء الحرب الفونيقية، فإذن بما أن الشعب السوري قد أبدع آثاراً منذ مليون سنة، وكون أن هناك تواصل حضاري فيمكن أن يحصل بنتيجة المثاقفة تأثر وتأثير بالميثولوجيا وحركة الفكر العامة لعصر من العصور، مع وجود صبغة محلية ومادة محلية.

✦ ضمن السياق العام لما تطرحه علوم الاجتماع حول علاقة الثقافة الرعوية أو الصحراوية مع الثقافة الزراعية. ترى ماذا قدم الفتح الإسلامي لمنطقة الهلال الخصيب وماذا قدمت له هذه المنطقة؟

أعتقد أن هذا السؤال مهم. ولكن قبل أن أجيبك عليه اسمح لي أن أبين رأيي في موضوع الصحراء. فأنا أرى أن الكثيرين يحملون فكرة خاطئة عن الصحراء وأبناء الصحراء. أما أنا فقد أتيح لي أن أذهب إلى البادية في تل الخويرة أثناء تنقيبات البعثة الألمانية في شمال الشام بين رأس العين وتل حلف. وقد اطلعت بشكل جيد على حياة الصحراء، حياة البادية!! التي كنت أجهلها تماماً. فقد استنتجت أن الصحراء ذات حضارة

متميزة وهامة جداً. فالبادية هي مدرسة للفروسية وهي بمثابة كلية حربية وبمثابة ملعب رياضي كبير.

في البادية هناك منتديات أدبية جميلة جداً، هناك موسيقى وشعر وعلوم، هناك علوم كنت أجهلها كمعرفة ساعات النهار، معرفة الكواكب، معرفة الفلك. وهناك دراسات عن الزراعة. والآن إذا أردت أن أجيب عن سؤالك فلا بد من القول أن المسلمين حين أتوا إلى سورية لم يكونوا غرباء عنها، لأنه كان هناك موجات عربية سبقت فتحهم لسورية. وهناك كثير من المؤرخين المنصفين الذين أشاروا إلى هذه الناحية منهم ونكلر وكيتاني. ففي العصور القديمة كانت شبه الجزيرة العربية منطقة خصبة ثم أصيبت بالجفاف والقحط مما دفع بأبنائها إلى الهجرة نحو سورية ومصر. وهذه الهجرات كانت إما بشكل إفرادي أو جماعي. فهذه الموجات الجماعية كان منها الأكاديون والعموريون والكنعانيون والآراميون / ورغم أن الآشوريين قضوا على الممالك الآرامية إلا أن الانتشار الثقافي الآرامي كان له طابعاً مميزاً حيث أن اللغة الإرامية انتشرت حتى كوريا / هذا بالإضافة إلى الأنباط والغساسنة. ثم جاءت موجة المسلمين. إذن، هذه اللمحة التاريخية تدلنا على شيء مهم تجاهله الكثير من المستشرقين وهو أن المسلمين حين أتوا إلى

سورية لم يأتوا كغرباء فقد كان لهم صلات طويلة وكثيرة تعود إلى جذور تاريخية عميقة.

✦ أستاذ زهدي، اسمح لي أن أوضح..

مقاطعاً: لا شك أنه حين أتى المسلمون على سورية فإن هذا أدى إلى اكتساب الإسلام مركزاً وبعداً حضارياً متميزاً، مما جعله ينطلق بإشعاعه الحضاري عبر سورية إلى العالم. وبرأيي، أن وصول الإسلام إلى سورية يعتبر نقطة تحول تاريخية مهمة جداً من حيث ازدهار الرسالة الإسلامية وانتشارها.

وأعتقد أن مجيء الإسلام بدعوته الإنسانية إلى سورية لاقى ارتياحاً من أبنائها لأنهم بالأساس يؤمنون بالانفتاح الحضاري والإنساني. وهذا مستمر حتى الآن في نفسية الإنسان السوري.

✦ ما هي الخصائص أو المعايير الفنية والجمالية للفن السوري عبر العصور ؟

إذا عدنا إلى ما طرحته سابقاً من ركائز العمل الفني في المادة والموضوع والتعبير، لقلت أن خصائص الفن السوري القديم تتجلى في: أولاً: قدم الحضارة السورية إلى ما قبل المليون سنة.

ثانياً: وجود تواصل واستمرار حضاري بين العصور.

فالخبرات الإبداعية لم يهملها الأبناء والأحفاد بل حفظوها وتوارثوها وأغنوها عبر

الزمن. ولأضرب مثلاً: إن الأيقونات السورية التي تمثل السيدة العذراء ويسوع، هذا الإبداع الجميل لم يكن وليد المسيحية فقط بل هو يعود لعصور ما قبل التاريخ، لكنه أخذ طابعه العصري أو المرحلي – أقصد بظهور الرسالة المسيحية. فكما هو معلوم أن فناننا في عصور ما قبل التاريخ قد أبدع تماثيل الربة الأم التي كانت تعبد آنذاك. وهذه – عبادة الأم – هي أقدم ديانة في العالم.

وأعتقد أن هناك مدارس فنية في سورية عبر التاريخ. نشأت وتفاعلت مع المدارس الأخرى لإغنائها. لهذا نجد في كل عصر من العصور شيئاً من التجديد الذي يعطي ذلك الأثر بعداً جديداً وحياة جديدة.

فالإنسان لا ينفصل عن تراثه بل ملتصق به، يستلهم منه ويضيف إليه ما يغنيه وما يرفده بدم جديد ويحياة جديدة.

التراث يمنح المجتمع قوة معنوية. وذات يوم خاطب أندريه مالرو أحد الكتاب " العرب " قائلا: " إن من درس تاريخكم يستنتج في بعض اللحظات الحرجة أن هذا الشعب سينقرض وإذا به ينبعث بقوته الذاتية من مرحلة الهزيمة إلى مرحلة الانتصار على الهزيمة ". واليهود يعون هذه المسألة لهذا فهم يقومون بعمل تخريبي غايته طمس تراثنا ومحوه. لأنهم يدركون ما للتراث من أهمية في إعطاء دفق معنوي وحضاري وانساني. وأعتقد أن موضوعة التراث هذه ملتصقة بنا

وبتكويننا العقلي والنفسي وها أنا أعود إلى فيلسوف المعرة، أبو العلاء المعري، الذي كان ماراً في قرية سياس قرب المعرة وكان ثمة رجل ينقل بعض الآثار من بناء أثري فقال أبو العلاء:

" أتتلفها ؟ شلت يمينك، خلّها
لمعتبر أو زائر أو سائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم
أرَ أحلى من حديث المنازل

فالمعري سكنته الرؤيا، لعلها صوت الصمت **LA VOIX DE SILENCE** كما يقول أندريه مالرو.

✦ طالما أن حديثنا – أستاذ زهدي – قد مال نحو التراث.. هلا حدثتنا عن الميثولوجيا السورية من حيث ما تضمنته من نظرات إلى الحياة والكون وما شكلته في سياق تطور الفكر الإنساني نحو الفلسفة ؟

أعتقد أن ما تطرحه مهم جداً، فالأسطورة التي تعتبر التفجر البدئي للذهن الإنساني والتي تتضمن أفكاراً وتأملات في الحياة والكون لأجدادنا. كل هذا كان له دوره في وضع الفكر الإنساني في سياقه الذهني الصحيح. كذلك تتجسد في الأسطورة الرغبة في المعرفة والسعي لمعرفة الظواهر الكونية والطبيعية والمحاولات العلمية لاكتشاف الحقيقة.

كان أجدادنا يقدسون كل شيء في الكون والطبيعة. وأعتقد أن ابتعادنا عن الطبيعة خلق حالة قحط نفسي مخيف، وهذا مشكل من مشكلات الحضارة المعاصرة والإنسان المعاصر. وما أراه أن نعود إلى طبيعتنا من أجل أن نعيد توازننا الحقيقي ومن أجل أن نعود إلى طبيعتنا الحقيقية. فالإنسان المعاصر إنسان غير طبيعي لأن الإنسان الطبيعي لا يتصرف تصرفاً غير طبيعي.

فالأسطورة السورية تجسد الفصل الأول في تاريخ الفلسفة الإنسانية وتجسد الفصل الأول في تاريخ العلم الإنساني وتجسد الفصل الأول في تاريخ الآداب الإنسانية.

✦ إذا توصلنا إلى القول أن الفلسفة إنبثقت عن الأسطورة، هل نستطيع أن نميل أكثر إلى تحديد علاقة الدين بالأسطورة ؟

حسن لنحاول أولاً أن نحدد معنى بعض المصطلحات كالأسطورة والدين. فإذا كانت الأسطورة عبارة عن قصة خيالية ابتكرها الإنسان القديم في سبيل معرفة الحقيقة، وترافق هذا مع جهد علمي يتناسب وإمكانات ذلك الإنسان. وإذا كان الدين هو الرغبة في معرفة المطلق والكون، ومعرفة الخالق والمخلوق، فهذا يؤدي إلى القول أن ليس هناك فارقاً بين الأسطورة والدين. فالأسطورة يمكن أن نسميها الديانة القديمة. والديانات

الحديثة هي أحدث ما توصل إليه الإنسان من خلال أقوال الأنبياء الملهمين.

فالإنسان حين يطّلع على كتب الأساطير وعلى الكتب المقدسة، لا بد أن يلحظ هذا التواصل الإنساني والفكري والحضاري بين تلك وهذه. فإذا كان إنسان الميثولوجيا قد أبدع الأسطورة فإن إنسان ما بعد الميثولوجيا أتى بشيء جديد. وميزة الإنسان أنه رب صغير على هذه الأرض.

ولا أرى أي فرق بين الميثولوجيا وأحدث الأفكار الكونية، وأعتقد أن هذا الأمر بحاجة للدراسة بشكل واسع وجيد بعيداً عن التعصب والتحجر والفكر الضيق أو المحدود. لهذا فكل الأساطير الإنسانية، السورية واليونانية والمصرية والهندية الخ... تشكل مخزوناً إنسانيا وذاكرة إنسانية تمثل سعي العقل البشري إلى الحقيقة والمعرفة.

✦ أستاذ بشير، أثناء تجوالنا على آثار منطقة السويداء، طرحت عليكم سؤالاً يتعلق بالأدوات التي استخدمها فنان تلك المنطقة وبالتالي استطاع السيطرة على مادة البازلت الصلبة فكيّفها واستطاع أن يخلق منها أثراً فنياً مميزاً. طبعاً السؤال كان حول العثور على الأدوات تلك خلال التنقيبات الأثرية. هل لكم أن تعيدوا الإجابة – مشكورين – لتعميم الفائدة؟

مما لا شك فيه أن فنان تلك المنطقة – وأقصد جنوب الشام – قد عرف مادته جيدة – أي ما قدمته له البيئة – إن من ناحية طبيعتها أو خصائصها وبعد أن وضحت صورة المعرفة أمامه نراه قد ابتكر الأدوات الكفيلة بالسيطرة على المادة تلك – وهي البازلت.

طبعاً، إلى الآن لم نعثر على الأدوات كلها. عثرنا على بعض الأسلحة وبعض الأدوات البسيطة جداً. عثرنا أيضاً على قالب حجري لصب قناديل الإضاءة، وفي مناطق أخرى عثرنا على قوالب لصبّ الذهب للحصول على أطواق ذهبية – هكذا اكتشفناه في أوغاريت –

ولعلي أقول أن كل الاكتشافات أكدت لنا بأن أرباب المهن كانوا هم الذين يصنعون ويبتكرون أدواتهم. حتى أننا عثرنا على أختام اسطوانية من البازلت بحجم الأصبع وهذا ما يدفعنا إلى الدهشة أيضاً. أما بالنسبة للأدوات فلم نكتشف إلا القليل. ربما أنهم كانوا يصهرونها بعد استهلاكها وربما ضاعت كون المنطقة تعرضت لهزات أرضية ولغزوات وحروب كثيرة.

✦ بعد كتابكم " فيليب العربي " هل ثمة جديد ؟

بالطبع، فأنا أعمل الآن في كتاب عن شخصية سورية تدعى تيودورا. وهي من

مدينة منبج (هيرابوليس). هذه الشخصية تعود إلى العصر البيزنطي. وقد لفتت انتباهي لأنها تشكل ظاهرة مميزة من ظواهر حضارتنا وعطاءاتنا.

واسمح لي أن أوجز لمحة عنها.. فقد كانت تيودورا متميزة بعقلها وجمالها وذكائها. وأثناء مرور الأمير جوستنيان خلال حربه على الفرس، من مدينة هيرا، لفتت نظره تلك الفتاة وحين طلبها من والدها، اشترط الأب أن تبقى على مذهبها، وهو مذهب المونوفيزيين الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح. وتم زواجها وذهبت مع زوجها إلى القسطنطينية. وكالعادة ولكونها غريبة تبدأ الألسنة باختراع التلفيقات والقصص عنها حتى أن بعض أساتذة الجامعات يرددون ذلك في كتبهم.

ولكن لدى دراستي لهذه الشخصية بموضوعية تاريخية، تبين أنها شخصيةً ناضجة ومحترمة ومخلصة، لأضرب مثلا على هذا، فحين بدأت بذور الفتنة في الملعب الرياضي بالقسطنطينية بين الحزب الأخضر والحزب الأزرق. اجتمع مجلس الإمبراطورية لمناقشة الوضع، ونصح بعضهم الإمبراطور جوستنيان بمغادرة المدينة والنجاة بحياته، وحين أوشك الإمبراطور على الرضوخ اقتحمت زوجته قاعة المجلس صارخة: " أيها الإمبراطور، إذا أردت أن تنجو بحياتك فهذه المراكب جاهزة، أما أنا فالأفضل لي أن أموت

وعلى جسدي ثوب الأرجوان ". هذه الصرخة جعلت الإمبراطور يتراجع عن استسلامه ويطلب من قائده بليساريوس الصمود وبالفعل استطاع في النهاية الانتصار على الفتنة.

من هذا نستنتج أن الإمبراطور جوستينيان يدين بالكثير من حكمه وحكمته لزوجته تيودورا السورية.

وبالإضافة إلى هذا الكتاب، هناك كتاب آخر عن شخصية تاريخية محلية – شامية – تدعى عرنوس. ويوجد الآن في دمشق ساحة باسمها. أيضاً سأضيء في هذا الكتاب عن أبعاد ومضمون هذه الشخصية التي وجدت في فترة الحروب الصليبية.

ولدي مشروع كتابة عن " علم الجمال في العالم العربي " حيث لاحظت أن هناك تجاهل من قبل علماء الجمال في العالم لما أسهمنا به في نشوء علم الجمال وتطوره. وقد صدر كتاب " لريمون بايه " بعنوان " استطيقا القرن العشرين " وما آلمني هو عدم تحدثه وذكره عن علم الجمال في العالم العربي. رغم أن لدينا إسهام كبير في هذا المجال.

ولدينا لونجين الحمصي وزير زنوبيا الذي كتب في السمو. وإذا ما تفحصنا كتاب " الاستطيقا البيزنطية " لميشيليس، لوجدنا كيف أن هذا المفكر السوري في العصر الروماني، كان ينادي بقيمة السمو في الجمال. وطبعاً كان لهذه الفكرة الجمالية أثرها في ذلك العصر. فالجمال الإغريقي الذي كان

يعتمد على الجمال المادي أصبح في العصر البيزنطي يعتمد على جمالية جديدة هي الروح، هي السمو.

لهذا أعيد القول، إننا أسهمنا في تاريخ نشوء الفكر الجمالي وتطوره. وان لم نكتب نحن عن عطاءاتنا فلا ننتظر أن يكتب الآخرون عنا.

الأستاذ محمد الخولي – سوريا

✦ ماذا عن دور الشام وبلاد الشام في الحضارة الإسلامية ؟

كان للشام دور مهم في حمل رسالة الإسلام إلى العالم أجمع. منها انطلقت جيوش الفتح الإسلامي إلى الجهات الأربع. وبهذا امتلكت بلاد الشام، بحاضرتها دمشق،

القول الفصل في العقيدة والحضارة والسياسة. وكل حاضرة إسلامية قامت بعدها، اقتبست من روحها وأخذت من مدرستها الحضارية والاجتماعية. استمر لها هذا الدور كاملاً خلال العصر الأموي وعندما انتقلت عاصمة الإمبراطورية الإسلامية إلى مدينة السلام (بغداد)، انحسر عن دمشق فقط دورها السياسي، وبقيت على زخمها الحضاري المركزي في العالم الإسلامي من دون منازع.

✦ هل يمكننا الإيضاح أكثر حول هذه النقطة، أعني مسألة الزخم الحضاري الذي استمر على رغم انحسار الدور السياسي المركزي ؟

بقيت دمشق تلعب دورها الحضاري في مناح عدة، فهناك البيوتات الغنية جداً وفي قبضتها الأنشطة التجارية خلال العصر الأموي، حين كانت كنوز الشرق والغرب تنصب في دمشق، من خلال طرق التجارة الدولية ومنها طريق الحرير. وهذه البيوتات ساهمت، مع أرستقراطية المدينة، في رعاية النتاج الفني لمدينة دمشق وإغنائه، حتى أصبحت له الحظوة الأولى بين فنون العالم الإسلامي. وحتى في العصر العباسي بقيت دمشق مهوى أفئدة الحكام من خلفاء وأمراء. وهناك عدد من الخلفاء العباسيين كان لا يجد الراحة إلا في رحابها، ومنهم المعتصم والمتوكل والمعتز، بل إن المتوكل عمل على

إرجاع العاصمة السياسية إلى دمشق بين عامي 243- 245 هـ. وهكذا نرى أن دمشق لعبت دوراً حاسماً ومركزياً في احتضان راية الإسلام ونشرها في بقاع واسعة من العالم.

✦ توقفنا عند العصر العباسي، فهل يمكننا إلقاء الضوء على دور بلاد الشام في العصور اللاحقة ؟

الزخم الحضاري الأصيل الذي تحدثت عنه لم يكن آنياً، بل استمر استمراراً متطوراً وليس جامداً. فهذه البلاد كانت تتفاعل دوماً مع المعطيات الحضارية الوافدة، ولكن بتحفظ يؤمن لها ريادتها وجوهرها الصميم، حتى كانت بمثابة صمام الأمان للعروبة والإسلام. وكانت تأخذ من الجديد ما يمكن أخذه من دون غلو وإسراف ثم تعيد تقديمه بأسلوبها المميز متلائماً مع روح مدرسته الفنية. هذا الشيء حصل في العهود العباسية والطولونية والإخشيدية والفاطمية. ولم تخرج من هذه العهود إلا وفي جعبتها الأصالة والجوهر.

✦ .. وماذا عن عصر السلاجقة ؟

السلاجقة أدخلوا بعض المعالم الفنية والحضارية الغريبة، فأخذت بلاد الشام منهم بحذر وطورت الهندسة المعمارية وأغنت مدرستها الزخرفية بألوان جديدة تناولت الخطوط والصور. وأسبغت شخصيتها على ما أخذت، فتمثّل للناس وللسلاجقة أنفسهم أنهم

أدخلوا شيئاً، ولكنهم لم يغيروا شيئاً. وهذا بالضبط ما فعلته مع الأتابكة والأيوبيين الذين عاصروا غزو الفرنجة، وكذلك مع المغول. وفي كل هذا، بقيت دمشق، أم بلاد الشام، تمثل المنهل الفني والحضاري الأول.

ولم تستطع أي مدينة إسلامية مجاراة صناعة الزجاج والخزف والأقمشة والمعادن والأسلحة. وصار الحرفيون الغرباء عن دمشق أصلا، يفتخرون بنسبتهم إليها، مثل عنيبي التوريزي، صانع الخزف الشهير الذي كان يعمل في دمشق في القرن السادس عشر، وبعدها ذهب للعمل في القاهرة وفي تركيا عرّف نفسه باسم عنيبي الشامي. هذا إلى جانب دور بلاد الشام ودمشق في حضارة الأندلس. فقد أطلق المسلمون اسم دمشق على مدينة هناك، ونقلوا إلى الأندلس ياسمينها وأشجارها وعمارتها.

✦ ننتقل إلى مسألة التوثيق لنتحدث عن أهم المجموعات الأثرية التي تحتويها المتاحف بشكل عام وتمثل حضارة بلاد الشام وفنونها في الفترة الإسلامية.

لا أدعي المعرفة بكل محتويات المجموعات العالمية، ولكن ثمة واحدة أميزها عن غيرها. وهناك أيضاً مجموعة النميات الأميركية التي قلّ أن تضاهيها مجموعة أخرى من النقود الإسلامية الشامية، أو ذات الصلة ببلاد الشام. وهناك مجموعة الكابينه دو ميداي في

باريس. ثم المجموعة البريطانية، فالمجموعة الدانمركية DAVID COLECTION في كوبنهاغن. وهناك مجموعة الميتروبوليتان في نيويورك. أما المجموعة المتوازنة بمحتوياتها الشامية، فهي مجموعة متحف ألبرت وفيكتوريا في لندن. وعلى حد علمي هناك مجموعات قليلة ولكنها مهمة في برلين وأخرى في متحف إبراهيم باشا في إسطنبول.

✦ قلت أن هناك مجموعة تميزها عن كل ما ذكرت، هل تريد تعريفنا بها ؟

هي مجموعة الآثار الإسلامية في الكويت. فدار الآثار الإسلامية هناك تحتوي من آثار بلاد الشام على اختلاف أنواعها، أفضل مما تحويه أية مؤسسة متحفية أخرى، ما خلا متحف دمشق، وكأمين لمتحف الآثار العربية الإسلامية في دمشق أشعر بالارتباط القوي مع دار الآثار الإسلامية في الكويت.

الدكتور محمد حرب فرزات– سوريا

✦ نحن نقول الحضارات العربية القديمة، الشرق العربي القديم، الأكاديون العرب.. الكنعانيون العرب..الخ..

الآن إذا كان أول ذكر للعرب حسب علمي، هو في ألقرن التاسع ق.م، فبأي حق علمي يمكن إطلاق التسمية " العربية " على منطقة يعود تأريخها..وتاريخها الكتابي لما قبل الفترة بآلاف السنين ؟

يعني، كما هو معروف، بدأ يظهر اسم العرب في الوثائق المكتوبة بكلمات تدل من حيث اللفظ على عرب أو ما شابه ذلك في النصوص الآشورية كما تفضلت / زمن سلمانصر الثالث في صراعه مع الآراميين / ولكن ليس معنى ذلك أن العرب لم يكونوا موجودين. العرب كانوا موجودين ولكن بأسماء أخرى، كما أن العرب في زماننا الآن موجودين بأسماء أخرى وهويات متعددة، ونقول عن ذلك أن هؤلاء كلهم عرب وإن حملوا هويات وأسماء مختلفة.

نحن الآن في ندوتنا هذه / طريق الحرير /، نتحدث عن التدمريين، ولكن اللغة التدمرية ليست ثقافة منفصلة وقائمة بذاتها، وليس التدمريون قوماً منفصلاً عن بقية

سكان سورية أو عن بلاد الشام، أو حتى عن هذا المشرق العربي، وعندما نستخدم هذا الاصطلاح، فنحن الآن في بلاد يتفق أنها تمثل وحدة تاريخية ثقافية مشتركة..هو هذا الوطن العربي ذي الجناحين المغرب العربي الذي لا يوجد أي اختلاف على وجوده إنما يقال مغرب عربي، فكل الناس متفقين على الغروب، نحن نريد أن نعزز اصطلاح الشروق فنقول المشرق العربي. ومصر على الأرجح هي في المشرق العربي لأنه في واقع الأمر، الوضع الحضاري فيما بين مصر ووادي الرافدين والجزيرة العربية هو متصل تماما.

✦هل هو متصل في دورة حياة واحدة أو في علاقات اقتصادية – وتجارية ؟ ..

عندما تدخل جغرافياً في هذا العالم العربي القديم، بمشرقه ومغربه، وفي القديم طبعاً كان أكثر وضوحاً في المشرق منه في المغرب، لأن الدخول في المغرب في هذه الدائرة الثقافية جاء وتعزز في وقت لاحق. أما في المشرق فالحقيقة، أن هذه المنطقة لم تنقطع الصلات فيما بينها إطلاقاً، أنا لا أستطيع أن أفهم تاريخ مصر دون ارتباطه بتاريخ الشام، هناك أسر سوريّة حكمت في مصر..

✦ الهكسوس ؟ !

ليس الهكسوس فقط حكموا مصر، ولا أستطيع أن أفهم تاريخ بلاد الرافدين دون سورية، ولا أستطيع أن أعرف أين يوجد خط يفصل بين بلاد الرافدين وبلاد الشام.

✦ عودة لسؤالي.. ولكن هناك علاقات بين المشرق العربي والأناضول وإيران.. هل هذا يعني أنه يشكل معها وحدة حضارية ؟

هناك علاقات ولكن توجد خطوط فصل واحدة مع تلك الحضارة. حيث أستطيع أن أحدد خطوطاً، بأنني خرجت إلى عوالم طبيعية، وبيئات مختلفة وإلى عوالم بشرية وثقافية، اجتماعية، وإلى تكونات سياسية تختلف عن هذا العالم الذي يخصنا والذي هو المشرق العربي.

✦اسمح لي أن أنتقل إلى الحضارة المصرية، فكما هو معلوم أن ذهنية مجتمع ما، هي حاصل تفاعل جماعته البشرية مع بعضها البعض، وتفاعل هذه البيئة الاجتماعية مع بيئتها الطبيعية.. وطالما أننا في تدمر، وبمقاربة لفلسفة الموت لدى التدمريين، إن كان من ناحية موقفهم منه، أو تقاليدهم الدفنية وشعائرهم، نلاحظ أن التدمريين كانوا يحترمون الموت ولكنهم لا يخافونه أو يرهبونه، في موازاة هذا نجد مثلاً في مصر، أن حضارتها، أخذت في بعض وجوهها طابعاً دفنياً / وهذا اصطلاح أستعيره من الدكتور عدنان البني / حيث رهبة الموت

تغطي تفاصيل الحياة المصرية وحتى وثائقها القديمة.. هل هذا انعكاس للبيئة الطبيعية؟، أم خاصية من خواص الشخصية المجتمعية المصرية ؟.

أعتقد أنه لا تجوز المقارنة بين تدمر وشواهدها التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي، والحضارة المصرية، التي تعود الشواهد المعمارية فيها إلى الألف الثالث قبل الميلاد والألف الثاني قبل الميلاد. الإنسان كان أمام أسئلة كبيرة، يبحث عن أجوبة عنها، ويخشى الإجابة عنها.. هو ليس لديه أي تجربة سابقة.

عندما نصل إلى تدمر فنحن أمام فرق زمني كبير جداً.. فهنا، فلسفات.. وهنا مفكرين، زينب ملكة تدمر، كانت إنسانة مثقفة بالنسبة لعصرها، ومن المرجح أنها كانت تتقن الكثير من اللهجات المحلية " العربية "، التي تتكلم بها القبائل حول تدمر.. وتتقن اليونانية.. واللغة التدمرية التي هي لغة ما بين العربية والارامية، وغير ذلك..

✦حسناً.. لنأخذ ما يعاصر تلك الفترة الألفية، ففي الألف الثالث قبل الميلاد والثاني أيضاً، لم تكن في سورية، هذه الظاهرة الرُهابية من الموت، وليس ثمة هالة مقدسة حوله.. بما يؤدي إلى صبغ الحضارة السورية بالسوداوية، أو الدفنية.. وأذكرها قولاً للباحثة الإيطالية غابرييلا مانييه حيث تقول أن

الموت عند السوريين كان نهاية مفتوحة للحياة...

الحضارة كلٌ متكامل، متصل مع بعضه البعض.

في مصر.. الطبيعة الهادئة للبيئة المصرية، وتمكن المصريين من إقامة سلطة راسخة، فرضت شيئاً من الأمن ونظاماً سياسياً واقتصادياً اجتماعياً، أدى كل هذا إلى شيء من الاستقرار، كان العامل الديني جزءاً منه. ولكن في فترات الاضطراب.. حيث يجب ألا نظن أن التاريخ المصري كان تاريخاً راكداً هادئاً مثل حركة نهر النيل. فمصر مرت في فترات اضطراب طويلة جداً.

لندرس تاريخ مصر في الفترات الانتقالية مثلاً في زمن الأسرة السادسة، السابعة، الثامنة. حيث نجد القلق الكبير والشديد جداً، والذي لا يمكن تصوره سوى الانتقال لتغيير العقائد الدينية وتدخل السلطة مثلاً والدولة في رسمها. مثل محاولة أخناتون.

✦هل تنظر إلى محاولة أخناتون الفكرية – الثقافية – الدينية هي نتيجة تأثره باعتقادات بلاد الشام ؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالتفاعل موجود، يعني مثلاً بعض الفراعنة المصريين في علاقاتهم، هي علاقة لها جذور بعيدة جداً مع جوانب من الحضارة المحلية في بلاد

الشام وسورية بشكل عام. ولكن هنا في سورية لم تكن هناك سلطة مركزية للتعامل..

✦كانت مدن – دول !

تماماً. مدن – دول، والناس الذين يدخلون إلى مصر من سورية، كانوا يحملون معهم ثقافتهم وأفكارهم وأسمائهم. وأنا دهشت في دراستي لتاريخ سورية في العصر الآرامي، أنني وجدت أن معظم الوثائق التي نرجع إليها في هذه الفترة موجودة في مصر، وأكبر مجموعة من الوثائق المكتوبة بالآرامية نجدها في مصر.

معنى هذا أنه كان هناك نوع من الوحدة الثقافية أكبر مما كنا نتصور، هناك 200 ألف وثيقة آرامية في مصر. فأريد أن أقول هنا، أن مصر لم تكن بعيدة عن هذا المحيط، فمثلاً عندما وقعت اضطرابات هنا في سورية، وأدت إلى خروج السكان نتيجة للأوضاع السياسية بسبب اجتياح دول قوية ذات صفة عسكرية محاربة كالآشوريين ومن جاء بعدهم، فكثير من السكان لجأوا إلى مصر، ويمكن لك أن تستغرب ذلك أن هناك سكاناً من منطقة إدلب...هاجروا إلى مصر..

لهذا لا أود أن أخرج مصر من دائرة المشرق العربي، هناك خصوصيات لكل حضارة، فحضارتنا، حضارة المشرق العربي تتميز بالتنوع. لهذا إذا درست تاريخ مصر على حدة لوجدت حضارة مصرية محلية، ولو

درست حضارة الرافدين على حدة لوجدت نفس الشيء، وكذلك المنطقة الساحلية لبلاد الشام...

ولكن حين أنظر هذه النظرة الشاملة فأنا أجد أن الحلقات تتسع من دوائر متداخلة، لتتحد هذه الدوائر كلها في دائرة كبيرة تحيط بكل مراكز هذه الحضارات، عندئذ تصبح حضارة بلاد الشام وحضارة مصر وحضارة جنوب الجزيرة العربية كلها، حلقات متطابقة ومتداخلة ومتصلة عبر العصور، وهذا ما يسمح ويعزز قناعاتنا ويقوي عوامل وجودنا في هذا العصر الذي نمر فيه.

✦ من يقرأ روايات الإخباريين العرب والمسلمين، فيما خص الفتوح الإسلامية لبلاد الشام يلحظ أن معظم الجيش الإسلامي الفاتح، كان من القبائل البدوية.. حتى تحضرني الآن وقائع لما ذكره الواقدي في كتابه فتوح الشام، حيث يذكر أن الكتائب الإسلامية المقاتلة كانت تتجمع أمام أبو بكر استعداداً لفتح الشام، حيث وقفت قبيلة حميّر / وهي من اليمن / وانطلق رجل القبيلة وهو ذو الكلاع الحميّري في إنشاد أبيات من الشعر منها:

" دمشق لي دون كل الناس أجمعهم
وساكنيها سأهويهم
إلى العطب "

الآن، واستناداً إلى علم الاجتماع الإنساني، فنحن أمام ثقافة صحراوية، تسعى لفتح بلاد الشام، ذات الثقافة المتحضرة في سياقاتها المتعددة / زراعة – المدنية التجارية – الرعوية /. بناء على ذلك ماذا قدمت ثقافة الفتح الإسلامي لبلاد الشام، وماذا استطاعت حضارة بلاد الشام تقديمه للأولى .. ؟

هذا سؤال شائك، وأنا لا أريد أن أخوض في تفاصيل الحديث عنه، لأنه لا يدخل في دائرة بحوثي الخاصة. لذلك لا أعتقد بأني سأضيف أشياء كثيرة ذات أهمية بالنسبة لهذا الموضوع. ولكن ما أود أن أشير إليه هو أن خلافاً للتصور، أولاً، من حيث تنوع البيئات في البلاد العربية، في الجزيرة العربية. المجتمعات العربية التي وجدت قبل الإسلام لم تكن مجتمعاتٍ بدوية وحسب.

يثرب، المدينة مثلاً، مكة، تيماء، دومة الجندل.. إلخ.. هذه مدن ومواقع مدنية تجارية، دومة الجندل.. تيماء، شبيهة بتدمر، ولكن على نطاق أضيق، يثرب مركز حضاري مهم جداً. مكة، مدينة ذات معبد، صحيح أن النظام هو نظام عائلي قبلي، صنعاء مدينة حضارية.

هذه البلاد لها تجارة ولها علاقات ولها اتصالات ولم تنقطع الصلة بين الشام وبين اليمن، يعني بين الشمال وبين الجنوب. حتى

لغوياً، هناك مثلاً بعض البحوث اللغوية تبين أن اللغة العربية الجنوبية تركت آثارها في اللغة العربية الشمالية. تحرك اليمنيين واستقرارهم في بعض المناطق على طرق القوافل المؤدية إلى الشمال، ترك آثاراً للثقافة اليمنية على الطريق، معين وهي معان، جَرْشْ وجَرَشْ مثلاً.. الأشياء موجودة..

✦عفواً.. إن سؤالي هو تحديداً..

يعني أنا بدأت بمقدمات وأظن أنني فهم ما تقصدون.. وطبعاً أريد أن أشير إلى أن هناك عرباً خلافاً للتصور، عرب بحارة أيضاً، فالعرب كان لهم علاقات بحرية بعيدة جداً مع بلاد المحيط الهندي والشرق الأقصى. فعندما خرج العرب من جزيرتهم إلى بلاد الشام، فإنهم تحركوا إلى بلاد كانت لهم صلة بها.. فبلاد الشام كانت في طريقها إلى التعريب قبل قرون من وصول العرب المسلمين إليها.

هيرودوت كان يسمي منطقة الجزيرة " أريبيا " **AREBIA**.

الرومان كانوا يسمون جزءاً من البلاد السورية.. بالجزيرة السورية. العرب كانوا يقيمون في مناطق الجزيرة السورية الشمالية من بني طيّ، وكانت تسمى هذه البلاد بالسريانية " بلاد طيّ " والعربي كان يقابل اسمه الطائي حيث ينتمي إلى طيّ.

الرومان سمّوا جزءاً من البلاد السورية " أريبيا باتريه ". فأنا أعتقد هذه الصلات قديمة

جداً ولكن ربما يكون في الجزيرة العربية، نوع من الذاتية والخصوصية التي تختلف عما لحق ببلاد الشام من تأثير خارجي كبير جداً وقوي هدّد شخصية البلاد، إلى درجة أنه لفترة قريبة جداً كان الكثير من الباحثين عندما يتحدثون عن سورية يقولون، سورية البيزنطية وسورية الرومانية، وسورية اليونانية، ويقولون مسرح يوناني، مسرح روماني.. إلخ.. وكأن هذه البلاد ليس فيها سكان، وكأننا لم نصنع شيئاً!. فحقيقة الأمر أنه كان هناك في الجزيرة العربية شيء من الخصوصية، هناك تأثير هيلنستي في داخل الجزيرة العربية / كالحجاز مثلاً /، بيزنطي وتأثير فارسي. ولكن كانت الجزيرة العربية ما تزال تحتفظ بشيء من خصوصيتها، وهكذا فإنه عندما قامت الرسالة النبوية المحمدية فيها، فإن هذه الرسالة كانت بمثابة ردّ على هذا الهجوم الثقافي الخارجي الذي رافق التوسع / يمكن أن نقول الاستعماري الخارجي / لثقافات ولدول كبرى في منطقة البحر المتوسط على هذه المنطقة منذ زمن الإسكندر المقدوني إلى زمن الرومان والبيزنطيين.

ولزيادة في التوضيح مثلاً.. هزيمة هانيبال عام /146/ ق.م..هذا السقوط الحضاري، اجتياح روماني لمنطقة المغرب العربي، بعد ذلك لم تقم للعرب قائمة، يعني للمشرقيين الذين وصلوا إلى المغرب العربي. لو بقيت

حضارة قرطاجة قائمة وحرة دون أن تسقط تحت وطأة الرومان، لكان المغرب العربي بقي محتفظاً بخصائصه الحضارية المتصلة بحضارة المشرق بشكل أعمق. ولكن استرد المغرب صلته بالمشرق بعد قدوم الإسلام.

كذلك نلاحظ وحدة المصير بعد سقوط قرطاجة، فحين دخل الرومان إلى سورية، ذهب هانيبال الذي لم يعرف سورية من قبل، ذهب إلى سورية، وأصبح مستشاراً عسكرياً للملك السلوقي الذي هو يوناني الأصل، ووضع كل خبرته العسكرية لمقاومة التوسع الروماني في المنطقة.

✦الكثير من الدراسات والأبحاث الاستشراقية وبعض الدراسات العربية، ما زالت تنظر إلى منطقة المشرق العربي على أنها منطقة عبور حضاري.. ويلاحظ أنها في تلك الأدبيات تعامل كمكان وليس كانسان أو مجتمع.. علماً أن هذه المنطقة شهدت القفزات التطورية الحضارية الكبرى إن كان في ابتكار الزراعة أو الأبجدية أو الكتابة.. إلخ..

كيف يمكننا تعميق الاتجاه في النظر إلى هذه المنطقة بما تستحقه حضارياً ولا سيما نحو الغرب ؟..

أعتقد أن اهتمامكم بهذا الموضوع وطرح هذه المسألة عبر هذا السؤال.. يثير لدي ولدى الكثيرين من المعنيين بالموضوع الكثير

من الأفكار. نحن بحاجة إلى مضاعفة الاهتمام بتأسيس المراكز الثقافية، أقصد مراكز البحوث، مراكز الدراسات التي تُعنى بالدراسات المعمقة والمقارنة بين الحضارات التي قامت على أرضنا.

الآن وبعد أن صيغت التصورات حول حضارتنا بأيد خارجية نجد أنفسنا ملزمين باللحاق بهذهً الدراسات بصورة أو بأخرى.. وفي بعض الأحيان لمتابعتها..وقد نتوقف في بعض الأحيان عند بعض النقاط التي لا توافقنا.. ولكن نحن وبعد الدراسات التفصيلية بحاجة إلى الدراسات التركيبية.. إلى تكوين الصورة، قبل أن نمسك بالألوان.. وقبل أن نقبض على الدوائر وقبل أن نمسك بالأدوات والمعطيات التي تتحكم بالأوساط العلمية بكل ما يخص هذه الدراسات، أعتقد أن في ذلك الكثير من الخطورة، وخاصة عندما تأتي التعليمات والتركيبات من باحثين لديهم أفكاراً مسبقة دون أن يكونوا متابعين أو مطلعين إطلاعاً كافياً على الدراسات التفصيلية الموجودة الآن في أنحاء العالم وفي مراكز كثيرة.

نلاحظ ذلك الآن في ندوة طريق الحرير هنا.. الباحث الياباني يهتم بتدمر والأمريكي هنا..وكذلك الأوروبي، فهذا تراث عالمي، ولكن كل بلد ينظر إلى الموضوع من زاويته الثقافية، من الموقع الموجود فيه هو.. فنحن لا نطالب الاخرين بأن يصححوا نظرتهم، لأن

قدرتهم على الرؤية وحاجتهم إلى الرؤية محكومة بالموقع الجغرافي الموجودين فيه..

واسمح لي أن أقول لك أنه في لقاء مع مفكر فرنسي قبل فترة وجيزة وهو الأستاذ الباحث " إيف لاكوست " كان يتحدث عن المؤرخ الفرنسي " فرنان بروديل " صاحب كتاب عالم البحر المتوسط في عصر فيليب الثاني، يعني أنا من المعجبين بفرنان بروديل وبنظرته ومتأثر بمنهجيته.. ولكن في الحديث مع الأستاذ لا كوست قلت له أن بروديل نظر إلى الشرق وهو واقف على شاطئ الغرب ولو أن باحثاً آخر في المقابل كان يبحث في عالم البحر المتوسط وحضاراته وتفاعل ثقافاته وهو واقف على شاطئ الشرق / المشرق العربي / لو كان واقفاً مثلاً في صور.. في اللاذقية أو في بيروت.. إلخ.. لكانت قد تغيرت الرؤية.

الإسكندر المقدوني حين جاء إلى المنطقة هنا.. أول عمل قام به هو تهديم المدن القائمة.. وقد حاولت خلال مناقشات هذه الندوة أن أشير إلى دخول مادة الحرير إلى السوق كمادة أولية لصناعة بعض الأنسجة، بمعنى أن هذا كان على حسب تجارتنا المحلية. فالمادة الأولية الموجودة هنا كانت الكتان. فالمنطقة أخضعت لمقتضيات السوق العالمية، وطالما أن عالم إمبراطوري مثل روما في ذلك الحين، فالوسط الروماني بحاجة كي يتحكم بسرّ هذه التجارة التي كان

لتدمر دور في رعايتها ونشرها والاستفادة منها. وعندما حاول السوريون القدماء / إذا استخدمنا هذا المصطلح / أن يقيموا وحدة سياسية إلى جانب الواقع الاقتصادي، فإن الإمبريالية الرومانية تدخلت بكل قوتها، أول الأمر لإعطاء درس للتدمريين إلى الحد الذي يجعلهم جزءاً من دائرة الاقتصاد الروماني، ولكن عندما لم يقبلوا ذلك مع وجود حامية عسكرية رومانية، فإن الإمبراطورية الرومانية تدخلت حتى القضاء على التراث التدمري ولتدمير الإنجاز التدمري الجميل.. حتى نجد الآن تدمر.. أطلالاً وقد كانت مدينة عامرة بعشرات الألوف من الناس.

✦ كأن التاريخ يعيد نفسه.. أقصد صراع المصالح الدولية الذي يؤدي إلى هلاك الحضارات..

وان كنت لا أوافق على أن التاريخ يعيد نفسه.. فالتاريخ القديم متصل بالتاريخ المعاصر باستمرار.. وكوننا مجتمع يعيش على هذه الأرض.. وفي هذه البقعة.. وفي هذا الموقع، فشرطنا الإنساني وشرطنا الجغرافي المحكوم.. يجمعنا في دوامة صراع للمصالح بين الدول وفق نسق متشابه.

✦ دكتور فرزات، برأيك ما انعكاس اتفاقية سايكس بيكو على الواقع التاريخي والأثري القائم منذ آلاف السنين في منطقة المشرق العربي، إن كان لجهة مقاربة تاريخ هذا

المشرق، وحضارته في كافة سياقاتها ؟ أسأل هذا السؤال لأننا بالتأكيد قد تصفحنا مئات الكتب التي تُعنى بتاريخ منطقتنا إن كان لمؤلفين أجانب أو سوريين أو عرب، فمثلاً نجد كتاباً يتحدث عن آثار الجمهورية العربية السورية وتاريخها..كما يمكننا أن نقرأ مثلاً أن مدينة ماري السورية هي رافدية وفق دراسات عديدة.. فإلى أي حدّ سببت هذه الفوضى المعرفية تشتتاً في النظرة إلى حضارة المشرق العربي القديم؟

وحقيقة ما نخشاه أن نجد بعد فترة مؤلفات لكتب تحكي عن تاريخ الأردن – تاريخ العراق – تاريخ سورية – تاريخ فلسطين وكأن كل بلد قائم بذاته ولذاته.. كما نجد أيضاً أن أراضي سورية احتلت.. وجرى التنقيب فيها من قبل الاحتلال.. حيث ضُمت آثار تلك المواقع المُنقب فيها إلى آثار الاحتلال كما جرى في الالاخ في سهل العمق من قبل تركيا..

هناك مواقع أثرية الآن هي خارج حدود الجمهورية السورية، ولكنها جزء من تاريخ سورية القديم وأحياناً في حديثنا مع الزملاء المعنيين بدراسة التاريخ أقول أن مدينة الرها.. هي مركز انطلاق اللغة الارامية التي هي السريانية، هي الان في تركيا. عاصمة سورية لقرون طويلة أنطاكيا هي خارج حدود سورية، نصيبين، المدينة المعروفة بدورها

الثقافي الكبير في منطقة الجزيرة هي خارج الحدود.
فكما يلاحظ وكما تفضلت.. فالحدود السياسية لا تتطابق مع ما يمكن أن نقول الخطوط الحضارية الفاصلة ما بين عالم حضاري ثقافي معين وعالم حضاري ثقافي آخر، ولا أدري إذا كان هذا معروفاً، ولكن المتابعين يعرفون هذا تماماً أنه كان من جملة بنود نظام الانتداب المفروض على البلاد العربية في المشرق، توزيع الآثار التي تُكتشف عندنا، على متاحف البلاد الأوروبية، وكان من جملة الاتفاقيات أن بعض حصيلة التنقيبات الأثرية في منطقة الانتداب البريطاني تمنح لفرنسا، وبعض حصيلة التنقيبات الأثرية في منطقة الانتداب الفرنسي تمنح لبريطانيا. وهذا مقصود به أن الآثار تمثل شيئاً مهماً بالنسبة لهذه الدول التي تتحكم بأعمال التنقيبات الأثرية لتزيين متاحفها التي كانت في طور الإنشاء ولإغنائها لتصبح معلماً سياحياً.
وهناك بعض القصص الشهيرة ولكن في مرحلة متأخرة، بأن المغول حين هاجموا الصين واستعصت بعض المواقع على الفاتح المغولي قبلاي خان، استعان بعسكريين من بلاد الجزيرة الفراتية، من الحلة ومن الموصل، أي من بين الأسري الذين كان لهم خبرة في الأمور العسكرية – بعض المدن الصينية استعصت على القائد المغولي لمدة

5 سنوات وعن طريق خبرة الرجال العسكريين من المناطق السورية ومهاراتهم، استطاع المغول أن يمدوا نفوذهم على البلاد الصينية. طبعاً، البحث في تفاصيل التأثيرات التي تتحدث عنها يتطلب شيئاً من الاستقصاء بشكل أفضل.

✦ فلننتقل إلى مدينة تدمر، لعل مقاربة ثقافة هذه المملكة / المدينة، تجعلنا أمام معطيات عديدة، فالكتابة آرامية، واللغة آرامية وربما عربية، النخبة المثقفة تكتب باليونانية، وتتكلم اليونانية إلى جانب التدمرية.. الديانة التدمرية، نجد آلهة رافدية ومحلية وعربية، الفن التدمري بمختلف أشكاله يعبّر عن ظاهرة مثاقفة فريدة من نوعها.

هذا المزيج الثقافي، هل أدى إلى محو الهوية الثقافية لتدمر أو أن ثقافة تدمر استطاعت أن تخلق من هذا التمازج.. خصوصية تدمرية أصيلة ؟

كما يبدو لنا، أن العوامل المكونة للثقافة التدمرية الخاصة ولحضارة المنطقة تعرضت لمؤثرات متنوعة، وتبدو في مظاهر مختلفة، في التجارة، في الحياة الاقتصادية، في الحياة اليومية، في المناحي الفنية. لكن الخصوصية المحلية بقيت موجودة، فالمجتمع التدمري لم يفقد هويته، وهذه مسألة مهمة جداً وهذا درس وعبرة كبيرة جداً، أن هذا المجتمع الذي كان يتألف من عدد ليس بسيطاً جداً من

ناحية السكان في ذلك العصر، فهو مجتمع له أهمية من حيث العدد ولكن المجتمع التدمري بقي قابضاً على زمام الأمور وعلى العوامل والمؤثرات دون أن تفقد المدينة خصوصيتها وهويتها.

والمجتمع التدمري لم يفقد هويته، حتى أن تدمر بقيت تُذكر، فمن كان يخرج من المدينة وهو منتسب إليها، فيذكر الانتساب إلى مدينة وليس قبيلة.. فهنا نحن أمام مجتمع مدني. فالسوريون في عصر تدمر استطاعوا أن ينشؤوا نموذجاً للمجتمع المدني، له قيادة وله مجلس منتخب وهناك نخبة مثقفة، وهناك دور أعطي للنخبة المفكرة، لونجينوس الحمصي ودوره إلى جانب الملكة زنوبيا، فكل هذه الأمور تدل على أنه رغم وضوح المؤثرات الخارجية فإن تدمر بقيت لها شخصيتها من حيث الأمور الجوهرية، الدين، الفن التدمري، ورغم أننا نجد أنفسنا أمام أعمدة شبيهة بالعناصر اليونانية أو الرومانية في النحت، ولكن العليمون بهذه الأمور يستطيعون تمييز فن تدمري أصيل.

✦ ما هي وجهة نظركم في حركة التجارة عبر طريق الحرير وعلاقاتها مع الواقع السياسي في زمن الإمبراطورية الرومانية ؟

إن طريق الحرير، هي طريق موغلة في القدم وترقى إلى الزمن الذي بدأ فيه الإنسان يتحرك على مسار طويل فيما بين أقطار

متباعدة وعلى مسافات طويلة جداً لنقل مواد أولية كان يعتبرها مهمة جداً في حياته سواء حياته اليومية أو للمساعدة على الإبداع في العمل الفني التشكيلي.

فهناك طرق قديمة لتجارة الأحجار الكريمة، نحن نعرف في منطقة المشرق العربي بعض الحجارة الكريمة التي من المؤكد من حيث الدراسات أن مصدرها من بلاد أفغانستان مثلاً، شمال غرب الهند، ولا يوجد لهذه الحجارة موطن آخر سوى هذه المنطقة، ومعنى هذا بأن التجارة كانت تنتقل من تلك المناطق إلى المشرق عن طريق عيلام، حيث اللازورد / الحجر الأزرق الجميل / الذي كان مرغوباً، فهذا الحجر له مكانته حتى الآن في ذهن الناس وأساطيرهم. وكان هناك طريق القصدير، حيث كان القصدير يضاف إلى النحاس لتقويته. بعد أن دخل الإنسان في عصر المعدن.

فالقصدير كان يستجلب من بلاد بعيدة جداً، وكانت مدينة ماري على الفرات الأوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد والألف الثاني بشكل خاص، تُمثل محطة لاستيراد القصدير من مناطق بعيدة، والبحوث الجديدة تشير على أنه ربما جلب القصدير من مناطق جنوب شرقي آسيا، ولكن على محطات ومراحل، وهذا لا يعني أن تستجلب القصدير عبر اتصال مباشر بين ماري وتلك المناطق، ولكن الإنسان كان يتحرك وينقل المواد

الأولية من محطة إلى محطة حتى تصل عبر الفرات إلى ماري، حيث كانت هذه تنافس مواقع سورية ساحلية كانت تستورد القصدير من الغرب، الفينيقيون والقرطاجيون كانوا يستجلبون القصدير من مناطقٍ في أوروبا، لأن هذه المادة هي مهمة جداً للبلاد التي كانت تمثل قبلة الحضارة الانسانية في العالم القديم والتي تقع بين وأدي الفرات ووادي النيل.

ففي هذه المنطقة كان الإنسان في أرقى درجات التقدم والحياة إلمادية التي تحتاج إلى مثل هذه المواد الأولية. فالحديث عن طريق الحرير هو حديث عن مرحلة من مراحل حضارة هذه المنطقة،حيث يمثل جانباً من الجوانب في فترة معينة.

فالتعامل التجاري والتعامل ما بين البشر على طول هذا الامتداد الجغرافي الواسع الذي هو امتداد طريق الحرير، كان في السابق تعبر عليه قوافل تنقل المواد الأولية، كانت في عصر إسبق أكثر أهمية للحياة اليومية للناس. الآن، لماذا الحرير.. فقبله كان الناس يلبسون لكنهم يلبسون مواداً أخرى.

فقبل أن تصبح مادة الحرير مادة أولية، لصنع بعض الأنسجة المرغوبة والمطلوبة في حوض البحر المتوسط ومنطقة الشرق الأدنى، وبدخول الإمبراطورية الرومانية التي هي نظام سياسي أقتصادي يشمل كل البحر المتوسط ويفرض وجود طبقة ارستقراطية عليا تتطلب نوعاً من المواد التي تستجلب من

أماكن بعيدة، وهذا ما تطلب من العامل الروماني النقود وصرف الدنانير الذهبية، لاستجلاب هذه المواد من أماكن بعيدة، وتنظيم الحملات العسكرية لحماية القوافل وطرق المواصلات وغير ذلك.

ومعنى هذا أن هناك نظام اقتصادي جديد قد فرض نفسه في ذلك الحين، فعندما بدأت روما تصل إلى هذه المنطقة في القرن الأول قبل الميلاد وفي القرن الأول الميلادي وبعد ذلك، فهنا القوى المحلية القائمة في المنطقة تهددت ومنها تدمر، وتعرض وضعها للأذى بوجود هيمنة امبريالية يمكن أن نقول لدولة كبيرة عظمى وهي الإمبراطورية الرومانية.

كما أريد أن أشير أيضاً إلى أن سكان بلادنا الذين تحكموا في السابق ولفترة طويلة في المواد الأولية لصنع الملابس وصنع النسيج، نعرف جميعاً أن سكان الساحل الفينيقي هم الذين أوجدوا هذا النوع من القماش الأرجواني المصبوغ باللون الأحمر المرغوب في قصور بلاد البحر المتوسط واحتفظوا بسر صناعته لمدة طويلة جداً حتى عرفوا بهذا الاسم " فينيكس "، وهو الاسم الذي أطلقه الغرباء على الكنعانيين الساحليين. كما أن مادة الكتان وصناعتها ازدهرت في مصر، وكان السوريون القدماء / الكنعانيون الساحليون / يساعدون المصريين في تحسين هذه الصناعة، فكل هذه الأمور لها أهميتها.

كذلك الحياة الدينية، التقاليد والعادات، أوجدت طرقاً فرعية أخرى لتلبية حاجات

الناس لمواد أولية تخص الحياة اليومية، وكان الناس يعتقدون أن حياتهم اليومية لا يمكن أن تكون سليمة إلا بوجودها مثل البخور مثلاً، فهذه الطرق الفرعية، مثل طريق البخور الذي كان يستجلب من جنوب الجزيرة العربية ويرافق ذلك مواد أخرى كانت تستجلب من مناطق أخرى طريق العالم الهندي، كانت ترفد طرق مواصلات أخرى مثل الطرق التي كانت تأتي من الشرق.

الدكتور حسني حداد– سوريا – مغترب في أمريكا

✦ دكتـور حـداد، حضـرتك تُـدرّس مـادة التـاريخ فـي جامعـة شـيكاغو فـي الولايـات المتحـدة.. هـل يمكنـك أن تحـدد لنـا طبيعـة المنهاج الذي تطرحه هناك..

الحقيقـة أننـي أدرّس التـاريخ العام وتـاريخ الشرق الأوسط. في أميركا مشكلة، هو أنه لا يوجد جامعة بالمرة فيها قسم لدراسة التاريخ العربـي، كل ذلك يدرس ضمن دراسة تاريخ الشـرق الأوسـط. لأنـه حـين تقـول تـاريخ العـرب، فهـذا يعنـي أنـك تسـتثني إسـرائيل وتستثني تركيا، وخصوصاً إسرائيل.

وأنـا وضعت كتـاب دراسـي مـع زميـل لـي، اسـم الكتـاب " العـالم العربـي"، وهـو كتـاب دراسـي / TEXT BOOK /. وأول طبعتين منه، كانا بإصدار خاص، رجعنا الان بعـد عشـر سـنين حاولنـا أن نعيـد طباعتـه ونضـيف عليـه.. إلـخ.. وأعطينـاه للناشـرين الـذين ينشـرون للمـدارس حيـث يصـبح لـه توزيـع أحسـن، ولكـن جمـيعهم رفضـوا أن ينشروا كتاباً اسمه " العالم العربي ".

✦ ما السبب في ذلك ؟

السبب هو أنه لا يوجد ولا جامعة تدرّس مادة اسمها العرب أو العالم العربي، كل الجامعات تدرّس مواد على أساس الشرق الأوسط، حيث تضم إلى العالم العربي، إسرائيل وتركيا وايران.
وقال الناشرون لنا، غيّروا في الكتاب وأضيفوا عليه ولكن الغرض من الكتاب كان تعريف الناس هناك على أن هناك شيء اسمه العالم العربي.

✦ دكتور حداد، في مقررات الجامعة الأمريكية لا توجد أي كتب خاصة بالعالم العربي.. ؟

يوجد كتب ولكن لا تكون بشكل TEXT BOOK .. يعني ممكن الأستاذ أن يقول لطلابه ارجعوا إلى الكتاب الفلاني أو الفلاني ولكنه لا يستطيع أن يقرره عليهم.

✦ من خلال مؤلفاتك العديدة، يلاحظ المتابع أنك تهتم بعلاقة المعتقدات الشعبية في سورية الحاضرة وبالأعم بلاد الشام، مع التراث الذهني الأسطوري السوري أو الشامي، هذا ما يلاحظ في كتابك " المعتقدات الشعبية في سورية ".

هذه المسألة تشغل تفكيري منذ زمن وأظن أنها مهمة كثيراً، كونها تتكلم عن الاستمرارية الحضارية في سورية. والدليل الأكبر على استمرارية الحضارة السورية، هو المعتقدات

الدينية وخاصة الشعبية منها. لأن هذه المعتقدات والأساطير والاحتفالات والطقوس لا تتأثر ولا تخضع للسياسة أو للفكر الفلسفي، لذلك لا تزال هي الدليل الأكبر على الاستمرارية.

✦ برأيك هل البيئة الجغرافية لعبت دوراً في ذلك ؟ بمعنى أن المناطق التي لم تتعرض للتأثيرات والاجتياحات بقيت معبِّرة عن روح الحضارة السورية ؟

طبعاً، ولا سيما أهل الجبال، لذلك الساحل السوري، ولأنه جبل، فهو يحتفظ بهذه التقاليد والشعائر. وكما نلاحظ أن الأمر لا يتعلق بدين الإنسان، بمعنى أن العلويين والسنة والمسيحيين والدروز والإسماعليين والموارنة والكاثوليك، تقريباً كلهم عندهم نفس الاحتفالات.

فعيد الغطاس يحتفل فيه المسيحيون والعلويون، وعيد مار جرجس يحتفل فيه المسيحيون والمسلمون، رغم أن أسماء هذه الأعياد مسيحية الطابع، وأعتقد أن المسيحية أقرب للدين الشعبي من أي دين آخر.

✦ تقصد بالدين الشعبي، هو الدين الذي ساد قبل المسيحية ؟

ما قبل المسيحية وما بعدها، لأن المسيحية أول ما أنتشرت عند العامة، والإسلام إنتشر في الصحراء وفي المدن، وصار فورا قوة عسكرية، المسيحية لم تصبح قوة عسكرية أو سياسية إلا بعد 400 إلى 500 سنة.

في هذا الوقت انتشرت الطقوس عند الفلاحين، والفلاحين أثّروا على المسيحية بقدر ما أثرت المسيحية عليهم. يعني الكنيسة أخذت من التقاليد الشعبية وجعلت منها تقاليد رسمية.

فمثلاً عيد الميلاد يعود إلى تاريخ ما قبل تاريخ المسيح، يعني طقوسه / الولادة، العذراء، ظهور النور وغيره /.. هذا موجود ولكن كان في نطاق ميثولوجي، وكذلك موت المسيح وقيامته، والذي أعتقد أنه الشيء الأساسي في المسيحية.

كل هذا يرجع لتموز وأدونيس وبعل أوغاريت، فهذا التتابع موجود في المسيحية أكثر من الإسلام وأكثر من اليهودية. لهذا فإن الفلاحين في سورية، إن كانوا إسلاماً أو علويين أو دروز تجمّعوا حول هذه التقاليد ولو حملت أسماء مسيحية. هذا مشروع مستمر والكتاب الذي صدر سابقاً، ليس سوى جزء بسيط من كتاب أشمل سوف يصدر تحت اسم طقوس البعل هدد الذي اكتشفت أساطيره في رأس شمرة أوغاريت.

✦ الحقيقة أن ثمة سؤالاً طرحته على عدد من الباحثين العرب السوريين، وكنت أشعر بحرج لديهم حين الإجابة عليه، السؤال هو: ماذا قدمت ثقافة الفتح الإسلامي لبلاد الشام وماذا قدمت هذه البلاد لثقافة الفتح الإسلامي ؟

لا أظن أن الفتح الإسلامي قدم لبلاد الشام أية تقاليد زراعية، فهو الذي اقتبس من هذه المنطقة. هناك كتاب لابن وحشية اسمه / الفلاحة النبطية / يشير إلى وجود طقوس تموز في الشمال السوري ويطلق الناس على العيد اسم عيد البوقاد، وهو نقل هذا الكتاب عن مؤلف سرياني، ويدل في كتابه على وجود طقوس تموز في الشمال السوري لغاية القرن الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، ويسمونها تموز، وتموز هو بعينه جرجس.

✦ سأعود لأحدد سؤالي..

حين تأتي ثقافة رعوية / صحراوية، وتفتح ثقافة زراعية – مدينية تجارية، إما أن تتفاعل معها وإما أن تخرّبها.. الآن ماذا يمكنك بناء علىٰ دراساتك من إيضاح هذه المسألة ؟

أنا لم أتعمق في هذا الموضوع، الفتح الإسلامي بحسب بدايته، كان أولاً يعتمد على الفتح الدولي، الفلاحون السوريون بقوا غير مسلمين لمدة طويلة، حوالي 400إلى 500 سنة ويمكن أكثر.

✦ والمدن ؟

حتى في المدن.. أقصد سكان سورية وسكان مصر وحتى شمال أفريقيا، كانت الأكثرية الغالبة فيهم خلال العصر الأموي من أوله إلى آخره، من المسيحيين.

ثم كان يتهرب البعض من مسألة الجزية فيشهر إسلامه، بالإضافة إلى مسألة النفوذ والظهور الشخصي في المجتمع آنذاك. فحركة الإسلام بدأت بفارس أكثر من سورية، وهذا كان عائد لشيئين، الأول: أن المجوسية / الزرداشتية / غير مذكورة في القرآن، يذكر القرآن الصابئة، ولكن لا أحد يعرف من الصابئة وليس لها تفسير واضح. لذلك أظن أن الأمويين لم يشجعوا انتقال المسيحيين إلى الإسلام، لأن الدولة الإسلامية قامت على أكتاف العرب القادمين من الجزيرة الذين احترفوا الحرب، وسكنوا في المدن، وأظن أن التفاعل الذي تتحدث عنه حصل مع أهل المدن أولاً، في حين بقي الريف السوري لمدة طويلة لا يتفاعل مع الإسلام وخاصة أهل الجبال الذين لا يزال أكثرهم من المسيحيين أو الدروز أو العلويين. العلويون يقولون أنهم فرقة من الشيعة، ولكن أظن أن لديهم بعض التقاليد الموغلة بالقدم جداً، لذلك هناك نوع التقية الشديدة جداً، السرية في إعلان الدين.. حرصاً على حياتهم.

✦ اسمح لي أن أنتقل إلى مجال الأسطورة السورية، لدينا باحثين يشتغلون على هذه الأساطير ولا أعلم إذا كان لديك إطلاع على مؤلفاتهم، سؤالي: إلى أي حدّ أستطاع باحثونا أن يدرسوا الأسطورة السورية بروحيتها، البعيدة عن الأسس التي وضعها الفكر الغربي ؟

أظن أن الفكر الغربي هو الذي نبهنا، يعني يجب علينا أن نعترف بالواقع، ونعترف بالتفسير وبالأفضلية ولكن يجب أن نتجنب التقليد، وقد كُتب منذ خمسين سنة إلى الآن الكثير من المؤلفات في الأسطورة والتاريخ المشرقيين، وتأثير المستشرقين واضح فيها. ولكن الشيء الذي يميّز الكتاب الحديثين في مجال الأسطورة هو أنهم يحاولون أن يبحثوا في هذه المجالات من منظور سوري ومنظور محلي.

وأعتقد أن أحداً لن يتمكن من أن يبحث في الأسطورة السورية دون الاعتماد على ما تمّ اكتشافه، هذا شيء واقعي. والتعصب الشديد تجاه كل ما هو غربي وضد المستشرقين أمر غير محبذ، والإنسان يجب أن يكون رزيناً، بمعنى أن يرفض تأثير المستشرقين على دراسة تاريخنا ودراسة الأسطورة بالأخص، ولكن مش لازم يرفضها رفضاً تاماً، يعني مش لازم يكون عقوق بالفائدة التي أعطونا إياها، فلولا الغرب لكان

بحثنا في تاريخنا وفي أساطيرنا لا يزال يجعلنا نقسم تاريخنا إلى قسمين، الجاهلية والإسلامية. والجاهلية معناها أن تقع الأسطورة في الجاهلية على أساس أنها خرافة وفقط. فإذا لم يكن للعرب غير هذا الفضل يجب أن نعترف به.

✦ هل هناك لغة عبرية ؟

يوجد لغة عبرية ولكن أصلها كنعاني، وأظن أن اليهود هم من الكنعانيين، ممكن يكونوا كذلك..ما بعرف. أو هم دخيلين على كنعان، لذلك كل حضارتهم وكل لغتهم كنعانية، ولكن حاولوا أن ينفصلوا عن الكنعانيين، لذلك ظهرت قصةٌ التوراة التي تقول أن حام وجد والده عرياناً فغضب عليه الأب ولم يشتمه، بل شتم حفيده أي ابن حام، وهو كنعان، فهذا شيء غريب.

✦ من يقرأ تاريخ العبرانيين يلاحظ وجود مملكتين لهم، الأولى مملكة إسرائيل في الشمال، والثانية جنوبية وهي مملكة يهوذا، اتصفت المملكة الجنوبية بثقافتها الرعوية، في حين أن الشمالية زراعية إلى حدّ ما، بدليل أن بعض مشايخ هذه المملكة كانوا يتزوجون من بنات ملوك المدن السورية / ابنة ملك صور، إيزابيل تزوجها آخاب /.

أنا لا أظن أن هناك أي تفرقة حتى بين اليهود أو في إسرائيل القديمة، حتى في

مملكة داوود وسليمان، ففي ذلك الوقت لم يكونوا سوى دويلات سورية مثل غيرها، ولم يكن لديهم التوراة، وكانت دويلات متفاعلة. كما أنه لم يكن هناك يهود بالمرة، اليهودية لم تقم وتتبلور إلا حين صارت الدولة اليهودية / أورشليم / في خطر من الغزو الكلداني. وبعد أن تم سبي اليهود، ظهرت العنصرية والاستعلاء نتيجة السبي والمعاناة.

وترى تأثير النعرة العنصرية على كل الكتب التي يدعون أنها أقدم، مثلاً كتب التوراة الخمس، كتب التاريخ، المزامير، إلا كتب الأنبياء والتي جاءت متأخرة. معنى هذا أن التوراة كُتبت / يجوز أنها لم تكتب حرفياً بل جرى تحويرها / بعد السبي وأعتقد أن الدين اليهودي الموجود حالياً مرّ بفترتين، الأولى جاءت بعد تخريب الرومان للدولة اليهودية خصوصاً بعد سنة /123/ م حين هدموا القدس وتم تدمير الهيكل. فالدين اليهودي القديم قائم ومرتكز على العبادة في الهيكل، فلا يمكن ذبح الذبائح إلا بأورشليم في الهيكل، ولا يمكن أن تتعبد الله إلا بالهيكل، وكان الدين مرتكز أيضاً على الكهنة الذين سيطروا على الهيكل.

الدين اليهودي الجديد إنتهى لأنه لم يعد هناك هيكل بعد سنة / 123 /م، لذلك الحاخامين اليهود، العلماء اليهود، شكلوا ديناً ثانياً يعتمد على التلمود البابلي بالأخص، ويعتمد على ما يسمى بدين " السيناتوغ "

حيث يجتمع الناس حتى يدرسوا التوراة، وتاريخ اليهود، دون أن يجتمعوا من أجل عبادة الرب، لأن عبادته لا تكون إلا في الهيكل وهذا هو التطور الثاني الذي حصل على الدين اليهودي.

وهناك تطور ثالث حصل على الدين اليهودي في القرون الوسطى في أوروبا وخاصة في بولونيا تجلى في تأثير "الكابالا" على الدين اليهودي، ولا يزال هذا التأثير موجوداً حتى الآن عند الأرثوذكس.

في عصر النهضة صار هناك نوع من التقسيم بين اليهود، لهذا خرجت مجموعة من اليهود الإصلاحيين الذين رفضوا الربط بين الدين والدولة. ثم نشأت مجموعة بين الأرثوذكس وهؤلاء، هي مجموعة المحافظين وهذه هي اليهودية الحديثة.

الآن، إيجاد إسرائيل في القرن العشرين سيطر على كل هذه الأقسام والمجموعات، حتى الإصلاحيين أصبحوا يغيرون أفكارهم ويعيدوا اعتبار إسرائيل هي بؤرة أرض الميعاد.

✦ هل الحقائق العلمية التاريخية / اللغوية – الاجتماعية – الحضارية/ تمكننا من أن نسبغ على مجتمعات الهلال الخصيب، هوية عربية بمعنى أن نقول: العرب الأكاديون أو العرب الآشوريون.. إلخ..

كيف يمكننا تحقيق التوازن المعرفي في هذا الأمر بعيداً عن الأيديولوجيا مسبقة الصنع التي تحمّل الحقائق التاريخية ما لا تحتمله ؟

أعتقد أن البحث في هذا الأمر يحتاج إلى تفهم تاريخ المنطقة، فإذا قلت أن هذه المنطقة عربية فهذا على أساس أن اللغات المستخدمة هي العربية للأغلبية الغالبة وليس على أساس عنصري عرقي بمعنى أنك تشمل كل اللغات.

✦ **هذا معناه أن المدلول هنا لغوي ؟**

وعلمياً هذا الأمر لا يشمل الكل لأن منطقة الهلال الخصيب، تدخّلت فيها لغات وشعوب. الحوريون مثلاً ليسوا ساميين، والكثير ممن دخلوا العراق ليسوا ساميين، أقصد ساميين على أساس لغوي، لذلك هذه المنطقة ما هي إلا مزيج، مزيج مميز للبيئة الجغرافية التي يقطنها.

يعني يأتي أناس من خارج المنطقة إليها وسرعان ما ينصهروا فيها حضارياً ولغوياً واقتصادياً.

يجب أن يكون هناك هوية، وانتماء، وأنا أبحث عن تسمية بديلة عن التسمية العربية ولكن إلى الآن لم أجدها، هناك أناس يسمون الهوية " الهللخصيبون " / نسبة إلى الهلال الخصيب / وهذه غير مجدية قليلاً.

كما أن تسمية المنطقة بالهلال الخصيب تسمية جاءت من الغرب، وجيمس بريستد هو من أطلق عليها هذه التسمية على أساس شكلها الجغرافي.

على كل، التسمية البديلة يجب أن نتركها حتى يصير هناك شعور من أحداث التاريخ ومن الثقافة، حتى يصير هذا الشعور بالهوية. ومتى وجد الشعور بالهوية يصبح اسم الهوية موجوداً.

ومهما كان الاسم، فلا بأس به، المهم هو الشعور كما قلت، وأعتقد أننا نسير في هذا الطريق ولكن هناك شوط بعيد حتى تصل فإيجاد تسمية الآن أعتقد أنه أمر مبكر رغم أن هناك تسميات موجودة ولكن هل تُقبل شعبياً ؟ هل أتقبل علمياً ؟

✦ استناداً على ما سبق، هل تؤمن وفق نظرتك ودراساتك التاريخية – الاجتماعية على أن العالم العربي يُشكل وحدة حضارية واحدة.

أظن أن العالم العربي هو واقع أربع وحدات حضارية، وادي النيل / مصر والسودان / المغرب العربي، الهلال الخصيب، الجزيرة العربية، هذا جغرافيا أمر بديهي وحضارياً أيضاً واقتصادياً / لا تنسى ذلك /.

✦ والتفاعل بين هذه المتحدات هل تراه ضرورة وجودية ؟!

طبعاً، كلما تفاعلوا كان هذا أفضل..

✦ لأن هناك بعض الدعوات تأخذ طابع الانعزال وعدم التفاعل بما يعاكس روحية حركة المجتمع في الهلال الخصيب تاريخياً.

كما أن حكاية الوحدة العربية والأمة العربية تُخرب علينا التقدم، على أساسٍ أن لا نسعى إلى وحدة هذه المتحدات كلاً على حدة ومع بعضها البعض، بل ننطلق إلى وحدة مع ليبيا أو مع موريتانيا أو غيرها، وأعتقد أنه إذا لم تتحقق وحدة طبيعية داخل كل متحد فكيف يمكنك أن توحّد العالم العربي ؟

وإذا مع الزمن صدف أن تقارب العالم العربي اقتصادياً وغير ذلك وهذا ممكن، وأنا أتكلم بالتاريخ، يمكن أن يتوحد العالم العربي، ولكن هذا بالمستقبل وليس بالوقت الحاضر، فالان ينبغي أن نسعى لتحقيق الوحدة بين كل متحد إقليمي وهذا سينتج نتاجاً حسناً، ولكن ما أخشاه هو أن الهوية العربية والهوية الاسلامية، وكثير من الناس يخلطون بينهما، وكذلك الهوية المسيحية والهوية الطائفية، تخرب علينا السعي في سبيل الوحدة المتحدية.

وأظن أن أكبر المشاكل في البلد، ولا سيما في سورية ولبنان والأردن هي موجودة في ما أسميه " الملة "، وأنا اخترعت كلمة إنكليزية بهذا الخصوص وهي " MELLATISM ".

الملّة هي العصبية الطائفية وكثير من الناس ينتمون لهذه العصبية، مثل: " أنا ماروني مش سوري أو عربي، أنا درزي، أنا سني، أنا علوي..أنا أرثوذكسي " ..إلخ..

فالملة لا تزال موجودة، والملّة التي قويت شوكتها بالعصر العثماني الذي امتد لحوالي 400-500 سنة ليس سهلاً أن تنزعها بسرعة، فهذا الأمر صار شيئاً قانونياً، وشيئاً معترفاً فيه وأفرز نتائجه، فصارت الملّة هوية لا تجمع أو تضم بل تجزئ ولا تزال فاعلة فينا وفي مجتمعنا.

وهذا الشعور بالعصبية الملّية لا يزول إلا بالبحث التاريخي الذي يعتبر من أهم البحوث التي لها نتائج مفيدة لهذا الأمر. ولا سيما في تطوير الهوية القومية.

وأعتقد أن البحث في الأساطير هو أهم أنواع البحوث لأنه يدل ويؤكد على الاستمرارية وهذا ناقشناه سابقاً.

✦سأنتقل معك إلى جانب آخر، فقد رصد المؤرخون بشكل عام وخاص جملة المبادلات الإقتصادية والتجارية عبر طريق الحرير، وأقصد هنا علاقة المشرق العربي مع بلاد الشرق الأقصى. ولكن لو أردنا أن نخوض قليلاً في معالم التأثير والتأثر في مساق الفكر والفلسفات وتحديداً في التأثيرات الفلسفية والاعتقادية لحضارات الشرق الأقصى على المشرق العربي..هل يمكننا مقاربة ذلك ؟

الحقيقة أنا مهتم كثيراً بالنظريات والأفكار الصينية والهندية القديمة. الشرق الاسيوي يختلف عنا اختلافا تاما، لأن الدين ليس هوية كما هو عندنا، لذلك الهندوس مثلاً ليسوا تبشيريين، فلم يبشروا ولا افتتحوا باسم الدين، الآن في الوقت الحاضر يحصل لديهم نوع من العصبية، لأنهم أخذوا يقلدون الغرب ولكن تاريخيا لم تكن لديهم الهوية الدينية، يعني من هو الهندوسي ؟ لا أحد يعرف من هو الهندوسي، بمعنى آخر ليس عندهم دوغما أو عقيدة مكتوبة.

الآن التفاعل الاقتصادي عبر طريق الحرير لم يأخذ معه شيئا دينيا، ولكن صار هناك دين بوذي، (أشوكا) في الهند اعتنق الديانة البوذية وحاول أن ينشرها في أنحاء الهند، وهناك إثبات تاريخي أنه وصل مرسلون بوذيون إلى المشرق العربي قبل المسيح في أيام العصر الهلنستي ولم يكن هناك تأثير قوي، ولكن التأثير القوي كان على المعتقدات المسيحية لأنها تتفق كثيراً مع المعتقدات الهندية، فولادة البوذا تشبه ولادة المسيح، حيث ولد من عذراء.. الخ، كذلك إصرار البوذية على ترك الدنيا الفانية، والفقر أحسن من الغنى، كل هذا هو تبشير المسيح وليس الدين المسيحي، فتبشير يسوع الناصري شيء والدين المسيحي شيء آخر.

إذن ممكن يكون هناك تأثير من البوذية علينا، ولكن من مظاهر التأثير التي لا يمكن

إنكارها هو المسبحة سواء كانت المسبحة الإسلامية أو المسيحية، فهذه أتت من البوذية وهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن للواحد حالياً أن يلتقطه بيده. البوذيون ولا سيما الصينيين منهم أكثر من الهنود، كان عليهم أن يكرروا صلاة معينة دائماً لذلك كانوا يضعون مئة أو مئتي حبة.

في الإسلام أصبحت المسبحة تتألف من 99 حبة لأن على المسلم أن يذكر أسماء الله الحسنى، المسيحيين يجب أن يقولوا الصلاة " أبانا في السموات " ثلاث مرات و" مباركة أنت " لمريم العذراء عشر مرات / مريم أهم بكثير من الآب / والابن /! (ضاحكاً).

✦ في أوائل الخمسينيات أصدرتم كتابكم " الموسيقى السورية " هل من اتجاه لديكم لإعادة إصداره مع نتائج الكشوفات الأثرية الجديدة في الهلال الخصيب..؟ خصوصاً أنه لا توجد كتب مماثلة في المكتبة السورية والعربية ؟

هناك ضغوطات كبيرة عليّ كي أعيد إصداره، وطُلب مني أن ينشر كما هو، وأنا أعارض هذه الفكرة معارضة شديدة، يجب أن يكون هناك شيء جديد. وهذا الكتاب كتبته حين كنت في عنفوان الشباب، وهناك تعابير لازم تهذيبها شويّ ونزيد العلمية أكثر ولكن هذا يحتاج لشغل كثير وليس لدي الآن وقت للتفرغ له.

✦ حين تؤلف كتاباً حول المعتقدات الدينية الشعبية في سورية، هل يكون منصباً على أن من يقرأ هذا المؤلف المواطن الأمريكي أم العربي ؟! وهل يؤثر هذا على منهج ومنحى التأليف والأفكار المطروحة ؟

حين أكتب أولاً، أنا أحاول أن أقنع نفسي، وبما أنني كذلك فلا بد أن الناس الذين يتجاوبون معي والذي يكونون من نوعيتي يحبونه، كما الناس الذين لا يكونون كذلك، حيث يتساءلون والتساؤل هو أهم شيء هنا. مع ملاحظة أن موضوع المعتقدات الشعبية والأساطير القديمة هو جذاب لبعض الناس وليس فيه جذب لعامة الناس. وهنا أنا أتساءل كما كنت أتساءل سابقاً، لماذا لا نرجع إلى تموز، إلى أدونيس، إلى البعل، وخصوصاً البعل، فبعد اكتشافات رأس شمرا/ أوغاريت، أظن أن أساطير البعل أهم ما اكتشف حديثاً خصوصاً أن التوراة شوهت صورة البعل تشويهاً غريباً كما شوهت كل الأساطير غير اليهودية ولكن بالأخص البعل، على أساس أن هو الرب.

✦ لأنه إله زراعي ؟

لا، يهوه في بعض نواحيه كان إلهاً زراعياً، فالآلهة تتبع حاجات الناس واهتماماتهم..

✦ لأنها اختراع الناس ؟!

طبعاً، ولكن هناك فرق، البعل هو الأسطورة، ويهوه في التوراة صار حقيقة تاريخية أو هكذا يقال، لذلك منفعته ليست كما منفعة الأسطورة، الأسطورة تستطيع أن تفسرها، أن تتفاعل معها في حين أن / يهوه/ يجب أن يبقى حرفياً ولا داعٍ للتفاعل معه. لذلك العقل يبقى مفتوحاً على الأسطورة ومنغلق على الدوغما.

وأظن أن الشيء الذي أعطته التوراة للعالم كله هو هذه الدوغما، فهذه الدوغما ليست موجودة عند الهند مثلاً ولا في الصين ولا عند اليونان القدماء ولا عند الرومان القدماء ولا عند السوريين القدماء، هذه مثلما تقول: " دق جديد " وبالصدفة اعتبرت المسيحية كتابات اليهود جزء من كتاباتها المقدسة، والإسرائيليات تدخلت في الإسلام تدخلاً غريب الشكل.

الأستاذ خالد الأسعد – سوريا

✦ أستاذ خالد، لم أجد محاضرة يمكن لها أن تضع تدمر في سياقها الحضاري والتاريخي منذ الألف الثاني قبل الميلاد،/ حيث ذكرت في المدونات الأثرية / وحتى سقوطها عام 273 م.ربما يعود هذا إلى التخصص الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى شمولية على مقاسه.

سؤالي.. هل يمكننا أن نضع ثقافة تدمر وتاريخها الحضاري في السياق الطبيعي لمجرى الحضارة السورية ؟.

إن أقدم نص يشير إلى تدمر ،يعود إلى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد..حيث عثر عليه في كبادوكيا، في مستوطنة آشورية اسمها كاليش، تقع الآن ضمن الحدود التركية. حيث تذكر المدونة وجود شخص اسمه بوزور ابن عويت وهو تدمري.

✦ هل ورد أنه تدمري ؟

تدمريم أو تدمرين، والذكر الثاني لاسم تدمر، ورد في نصين في مدينة ماري على الفرات في القرنٍ الثامن عشر قبل الميلاد، يقولان بأن عدداً من التدمريين جاؤوا إلى ماري لزيارة سيدهم.. ربما هو الملك وإله ماري.

المرة الثالثة عثر على نص في مدينة إيمار يذكر اسم تدمر، وهذا النص عبارة عن وجود شاهد تدمري على عقد بيع حصل في إيمار وهذا العقد يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

النص الرابع عثر عليه في مكتبة نينوى، حيث يذكر أن الملك الآشوري تفلات بلاصر الأول ذهب إلى تدمر ونهب هذه المدينة، / تدمر / وعاد بالغنائم إلى مدينته آشور. ومن القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث قبل الميلاد هناك فترة غامضة ولا تزال غير معروفة، سوى ما ذكر في التوراة في سفر الملوك الثاني من أن تدمر بناها سليمان

وأعتقد* أني أجبتك على هذه النقطة في وقت سابق .

في القرن الثالث قبل الميلاد يعود ذكر مدينة تدمر في الكتابات الهلنستية خصوصاً في الحروب بين السلوقيين، في سورية والبطالسة في مصر. وقد ذكر أن تدمر قد شاركت في قتال البطالسة إلى جانب السلوقيين عبر قوادها ومذكور هذا في عدد من المعارك وأحد هؤلاء التدمريين مذكور باسم زبد – عتا (عطا)، وهذا كان قائد الحامية التدمرية العسكرية التي اشتركت مع السلوقيين ضد البطالسة.

ومنذ القرن الأول قبل الميلاد أصبحت تدمر تتردد على ألسنة المؤرخين الذين جاؤوا قبل الفتح الروماني بقليل وبعده. ويذكرها المؤرخ غلين حيث يصفها وصفاً رائعاً بأنها مدينة تشبه الزهرة بين كثبان الرمال وهي تحتمي بسلاسل من الجبال. ومنذ ذلك الوقت وقبل القرن الثاني والثالث قبل الميلاد، أصبحت تدمر تشكل بداية الطريق المار بين الرافدين والبحر الأبيض المتوسط. وهذا الطريق لم يأخذ مداه إلا في فترة ازدهار المملكة التدمرية في القرون الثلاثة الأولى للميلاد.

أنطونيو / زوج كليوباترا/ المقبل جاء إلى تدمر لينهب هذه المدينة، ولكن التدمريين

---

* : يمكن العودة إلى ملف " بناء تدمر " في سياق الكتاب.

انتقلوا بثرواتهم إلى البادية – قبل أن يصل – واختفوا هناك لعدة أيام حتى لم يجد شيئاً فعاد دون أن يستفد من شيء.

✦هل هذا موثق ؟

يذكر هذا مؤرخ كان يرافق أنطونيو في محاولته تلك.

✦ يبدو أن قوة مملكة تدمر في القرون الثلاثة الأولى للميلاد هي التي هيأت لها أن تلعب دوراً مهماً في التجارة الدولية آنذاك..

طبعاً – فقد أصبحت تدمر على كل لسان في العالم آنذاك، واستطاع التدمريون أن ينظموا القوافل ويحموا في البادية، ويمهدوا الطرق بين تدمر والفرات، وبينها وبين البحر المتوسط. ثم دعمت هذه الطرق بالجسور وبأعمدة صغيرة تكتب عليها المسافات، وبقيت هذه الطرق قائمة ومستعملة حتى نسبت فيما بعد إلى الإمبراطور الروماني دوقولسيان وذلك بعد عشرين سنة، فنسبت هذه الطرق إليه ظلماً وصار يقال الطريق الدقليسيانية فهو لم يعمل وينشئ هذا الطريق.. ربما وضع " أرمة " كما تقول على قارعة الطريق ووضع اسمه عليها.. رغم أن هذا الطريق معروف منذ القرن الثالث قبل الميلاد.

وبقيت تدمر مركزاً رئيسياً للتجارة الدولية، وانحصرت هذه التجارة في تدمر، خصوصاً

عندما اندلعت الحرب القاسية بين الأنباط والرومان، حيث استطاع الإمبراطور تراجان أن يصب غضبه على البتراء كما فعلوا في قرطاج. دمر البتراء فانتقل مركز التجارة بالكامل إلى تدمر الواقعة في منتصف الطريق بين الرافدين وعالم المتوسط (بين الفرات وتدمر حوالي 250كم) وجهز هذا الطريق بالآبار والمياه الدائمة بالأماكن المحمية للحراسة والتموين.. إلخ، وهذا " الطريق الدقليسيانية " كما يقال بقيت مستمرة حتى القرن السابع، ولم تنسب لأحد ولكن كلما جاء حاكم غساني أو تدمري أو روماني كان يضع بعض النصب ليستفيد من نسب هذه الطريق إليه.

وبعد أن تحولت تدمر إلى مركز تجاري مهم، أصبحت عاصمة التجارة الدولية في العالم كله بين الشرق الذي كان صناعياً والغرب الذي كان زراعياً. فالغربيون ولا سيما الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية لم يستطيعوا الاستغناء عن صناعات الشرق (الحرير – الصوف – الخمور – الحبوب – البخور – اللبان – القطن.. إلخ). فسلة الغلال كانت سورية الطبيعية ومصر، إضافةً إلى أن موقعها الممتاز شكّل ممراً وطريقاً إجبارياً برياً وبحرياً بين الشرق والغرب. وهذا مجسد حالياً في الجو أيضاً في الزمن الحاضر.

فالسيولة المتدفقة من الشرق والغرب على تدمر، والتنظيم الدقيق والرائع للتجارة والمبيع والتصدير والاستيراد، جعل تدمر من أغنى المدن المعروفة آنذاك كأنطاكية والإسكندرية وروما. وأصبحت في كثيرٍ من المناحي أهم من المدن المذكورة آنفاً فالتدمريون بعد غناهم بدأوا يغيّرون مناحي حياتهم كافة، المعمارية، حيث جددت الأبنية القديمة والمعابد التي أصبحت حجرية وزينت بالفريسكات ورصفت الأرض بالرخام وهكذا.. وهذا أمر طبيعي ولهذا أوحى هذا البناء الفخم والجبار لكثير من الناس سواء بعد الإسلام أو في العصور التالية أنٍ من بنى هذه الأبنية ليس إنساناً بل هو جنياً – كما ورد في بعض أقوال الشعراء والمؤرخين* ومنهم النابغة الذبياني شاعر البلاط الغساني.

والغساسنة هم الذين نشروا الديانة المسيحية من دمشق وحتى الرصافة، وكان طريقهم تدمر حتى أن أحد ملوكهم وهو الأيهم ابن أبي كارب، في القرن السادس كان يُسمى صاحب تدمر. فالغساسنة كانوا يذهبون إلى الرصافة ليحجّوا هناك وأصبحت الرصافة تعادل القدس لديهم، ففي الرصافة هناك دفن سرجيوس، هذا الإنسان السوري الذي كان ضابطاً في الجيش الروماني وأعدم حرقاً حين عرف أنه مسيحي لأنه يجب أن

---

* يمكن الرجوع للاستزادة إلى " معجم البلدان " لياقوت الحموي، ولكتاب " الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب " لمحمد ابن السحنة.

يكـون وثنيـاً.. وبنــى الغساسـنة تخليـداً لــه كنيسـة، وأطلـق علـى الرصـافة اسـم سـرجي بولس / مدينة سرجيوس (مار جرجيوس أو الخضر). وكنيسة سرجيوس هي من أعظم الكنائس من القرن الخامس الميلادي التـي تركها الغساسنة في سورية. وقد قرأت علـى أحد التيجان بين الزخارف بالكتابة اليونانية اسـم " المنـذروس "، وهـو المنـذر الملك الغساني الذي أمر ببناء هذه الكنيسة.

✦ أستاذ خالد، من ينظر ويدرس مظاهر الثقافـة التدمريـة، سـيجد هنـاك حالـة تنـوع فرضتها طبيعة الموقع الجغرافي لتدمر، وما انبثق عنها من تفاعل المجتمع مع إمكانيات هـذا الموقـع، وأقصـد التجارة..وسـؤالي..أنه تجـاه محـددات أصـيلة كالكتابــة الآراميــة والخلفيـة السورية الحضارية، ثم استخدامها للغـة العربيـة (محكيـة) والكتابـة اليونانيـة، بالإضـافة إلـى وجـود " مـزيج " مـن الآلهـة السورية / بعل، نبو../ بالإضافة إلى الآلهة العربية / هبل، اللات، مناة، ذو الشرى، شيع القوم / مع تأثيرات هلنستية ثم رومانيـة ثم يونانية وعربية ؟

تجـاه كـل هـذا، هـل اسـتطاعت الثقافــة التدمرية أن تبلور نفسها وتؤصلها تجاه كل تلك المؤثرات ؟

دعنــي آخـذ بعـض مظـاهر الثقافـة التـي أشـرت إليهـا.. ففـي مجـال العمـارة نجـد أن

الأبنيـة التدمريـة فـي 99% منهـا ذات مخطـط معماري، " شرقي "أقصد بالشرقي " السوري ". وهذا ينسحب علـى البيت التدمري والمعبد التـدمري والزخـارف التدمريــة علــى الغالــب.. وهذا المخطط جذوره ضارية في عمق التـاريخ المعماري للحضارة السورية.

وهناك بعض المؤثرات الخارجيـة.. فالقافلـة التي تأتي من الشرق أو من الغرب لا تحمل فقــط البخــور أو اللبــان والحريــر والخمــر والزيوت، بل تحمل ثقافاتها وثقافات الشعوب التي تمر بها أو تزورها. التدمري كذلك حين يـذهب إلـى الهنـد أو رومـا لا شـك أنـه يتـأثر ويـؤثر، ولكـن مـن طبيعتنـا عبـر التـاريخ أننـا نأخــذ مــا ينـاســب شخصــيتنا ونــرفض مــا يعارضها..

فـي النحـت التـدمري قـد يبـدو لـك للوهلـة الأولى أنه فن روماني أو يوناني..هذا إذا لم تكـن لـك معرفـة بـالخطوط الرئيسـية لقواعـد النحت التدمري. ولكن العكس هو الصحيح، فـالملامح وطريقــة النحــت الأماميــة.. هــذه قاعـدة محليـة سـورية لا يعرفهـا الغربيـون.. وهذا تشترك فيه بلاد الرافدين والشام ومصر.. حيث تجد الإنسان في هذه البلاد يقف باحترام ووجهـه متوجـه نحـو الشـرق.. بينمـا النحـت الغربي يحاول أن يظهر مفاتن الجسم / مادي – حسي / فالمرأة مفاتن والرجل عضلات.

فالنحــت لــدينا غايتــه إظهــار الحضــور الروحـي قبـل الحضـور المـادي، لـذلك هنـاك

فرق كبير في هذا الفن بين الشرق والغرب. اللغة المحكية كانت العربية، وهي لغة التجارة آنذاك، بينما في العلاقات الدولية كانت اللغة اليونانية في العهد البيزنطي واللاتينية في العهد الروماني.. لهذا كانت النصوص التجارية تكتب باللغتين الآرامية وأخرى يونانية أو لاتينية ولم يكن التدمري يسمح أن تكتب لغة الآخر لوحدها إلا تدمرية ولاتينية أو يونانية.

✦ هل يمكننا التحدث باسهاب عن علاقات تدمر الخارجية ولا سيما الموثق منها ؟

طبعاً نحن نستند في هذا المجال على معطيات علم الآثار..فمثلاً في جنوب بريطانية كشف عن آثار تدمرية، وهذه انتقلت مع بعض الجنود أو التجار التدمريين.. وهناك حالة اثنين تدمريين متزوجان من بريطانيتين، وصورهم على الشواهد، وهذه موجودة في المتحف البريطاني..أيضاً على الدانوب كان هناك مستوطنة تدمرية في بودابست، وهذه رأيتها حين قمت بزيارة إلى هناك. وكان الهنغاريون يفتخرون بأن لديهم مستوطنة تدمرية، حيث قالوا إن هؤلاء السوريين هم الذين علّمونا كيف نصنع الزجاج.. وهذا عائد للقرن الأول أو الثاني الميلادي.

الآن هناك على نهر الهندوس في تركستان الروسية سابقاً، لا تزال حتى الآن القطع الأثرية والنقود التدمرية التي تشير إلى وصول التجار التدمريين إلى تلك المواقع.

وفي الجزائر هناك مكتشفات كثيرة عن آثار، تدمرية وكتابات تدمرية تتحدث عن حنين التدمريين للعودة إلى بلدهم، وهؤلاء إما أنهم موظفون أو هم من الفرق العسكرية التي كانت هناك مع الرومان.

في مصر هناك مدينة بالقرب من أسوان اسمها " قفط " تقع على النيل، حيث هناك فرع يمتد من النيل إلى البحر الأحمر. هذه المدينة " قفط " كانت ميناء تدمرياً على النيل، والتجارات التي كانت تأتي عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق عدن بينما تستمر إلى العقبة، كانت تدخل إلى قفط ثم إلى الإسكندرية فالبحر المتوسط وبذا فإنهم يختصرون نصف مسافة الطريق..

وهناك امتزاج أو تبادل ثقافي بين حضارة " موهنجيدارو " في جنوب الهند وبين الحضارة التدمرية سواء في التماثيل أو في طريقة اللباس.

✦ أستاذ خالد.. يبدو أن ثمة فكرة أو معلومة كانت تؤكد على أن الوجه البحري لشعب من الشعوب هو الذي ينفعل وينطلق نحو الآفاق.. ونحن هنا. إزاء وضع مخالف حيث نجد مدينة في وسط البادية تصل

بثقافتها وفاعليتها الحضارية إلى ما وراء البحار..كيف يمكننا تفسير ذلك؟.

البحر لا يفرض تجارة، ولكن طبيعة الإنسان وطبيعة الموقع جعلت التدمريين تجاراً..فالإنسان هو الذي يغيّر الطبيعة وليست هي التي تُغيره.. ومتى خضع الإنسان للطبيعة صار على هامش الحياة. التدمريون استطاعوا تطويع " الصحراء " المحيطة بهم ويجعلوها جنة لكل القوافل بين الشرق والغرب ويحموها، وقد تمتعت تدمر بمكانة دولية حيث استطاعت أن تكون من أول أمهات المدن في ذلك العصر.

✦ هل يمكننا أن نحدد إطار العلاقة بين تدمر والجناح الشرقي " للهلال الخصيب " استناداً على المعطيات الأثرية ؟

هذه العلاقة تتوضح من خلال المعطيات الأثرية التي عثر عليها في الرافدين.. ففي جنوب الرافدين هناك عدد كبير من الكتابات ومن الأوابد الأثرية والتدمرية في موقع ميسان على فم الخليج العربي، والجزيرة أمامه كانت المرسى الرئيسي للميناء واسمها " خارج " في النصوص لدينا ورد " كرك ميسان " أي حصن ميسان وكان عبارة عن مملكة صغيرة تابعة لتدمر وتستقبل كل التجارات التي تأتي من الخليج عن طريق البحر أو عن طريق بلاد فارس عن طريق البر.

وميسان كان الميناء الرئيسي لتدمر، وكان هناك ميناء آخر هو ميناء فرات وكان هذا للأنباط..وحين دمرت البتراء صار ميناء ميسان هو الرئيسي وهذا أغاظ الملك الساساني فجاء بجيشه ليخنق هذه التجارة وليحول فوائدها إلى مملكته بدل أن تأخذها تدمر. فتدمر كانت وسيطاً بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.. ولكل منهما المصلحة في أن تبقى مملكة تدمر قائمة لأنهما يستفيدان منها وليس باستطاعتهما المرور في هذا الطريق الصحراوي لذلك عندما كانت تختلف مصالح الرومان والفرس كانت تتأثر مصالح تدمر..وهذا يفسر سبب زحف جيش تدمر بقيادة أذينة على الفرس واحتلال عاصمتهم طيسفون. ثم قيام زنوبيا بإخراج الرومان من كامل المشرق العربي والأناضول، حتى صارت حدود مملكة تدمر آنذاك تمتد من البوسفور إلى دجلة إلى النيل شاملة كامل مصر وقسم كبير من الجزيرة العربية.. وهنا فقد الرومان اتزانهم فقد فقدوا مركز الغلال في الشام ومصر..فصار أعضاء الندوة البرلمانية في روما وأثناء تتويج الإمبراطور كلوديوس يصرخون بصوت عال: " نجنا أيها الإمبراطور من زنوبيا.. "، فزنوبيا آنذاك أدخلت شبح الفقر إلى كل بيت في روما..وحين شن هذا الإمبراطور هجومه على تدمر فشل إلى أن أتى بعد سنتين " أورليان " الذي قضى عليها.

وأنا أعتقد أن السبب الرئيسي في سقوط تدمر هو الحالة الاقتصادية، فمدينة تدمر كانت قائمة على التجارة، وأنشطتها لا بد أن تتأثر إلى حد كبير بالحروب ولا سيما أن أورليان زحف بجيشه نحو مصر طارداً الجيش التدمري ثم زحف نحو الأناضول وهكذا حتى وصل إلى تدمر.

وقد حاول الرومان أن يستدرجوا زنوبيا إلى الاستسلام عبر بقائها ملكة فكانت تجيبهم " الاستقلال أو الموت " " النصر أو الموت".
وقبل أن يفتح أوليان تدمر خاطبته قائلة: " أيها الإمبراطور..الأرجوان هو لباس الملوك ولكن بالنسبة لي سيكون خير الأكفان ".
ويوم سخر الرومان من أورليان الذي يحارب " امرأة " قال لهم: " ليتكم تعرفون من هي هذه المرأة..وأي امرأة أقاتل.. وليتكم يا من تعتبرون أنفسكم أنكم رجالا..تشبهون زنوبيا في أي صفة من صفاتها.. وماذا سيقول التاريخ عني إذا غلبتني زنوبيا ".
وبعد خراب تدمر على يد القائد الروماني باسوس يقول هذا لإمبراطوره أورليان: " لقد قتلنا الشيوخ والأطفال والنساء وهدمنا البيوت والمعابد فوق رؤوس أصحابها. .فلمن نترك هذه المدينة أيها الإمبراطور ؟".

✦ نعود أستاذ خالد لتحديد إطار العلاقة بين تدمر والرافدين / الجناح الشرقي للهلال الخصيب..

بالإضافة إلى وجود ميناء ميسان في الخليج العربي..كان لتدمر علاقة وطيدة مع سلوقية على الدجلة، فهذه كانت مركزاً حضارياً كبيراً آنذاك وكانت المصدر الأساسي لكل الفنانين والبنائين الذين عملوا في بناء تدمر.

✦ وبالنسبة لآخر المكتشفات الأثرية في تدمر ؟

أحدث التنقيبات في المدفن الذي قمت بالتنقيب فيه في العام الماضي، حيث عثرنا فيه على أجمل التماثيل وأروعها حتى الآن مما اكتشف في تدمر. هذا المدفن قريب من مدفن " الأخوة الثلاثة " وبه عدد من التماثيل النادرة التي كانت موشاة بطبقة خفيفة من الذهب، وطريقة اللباس وتصفيف الشعر تدل على الغنى المادي الذي وصلته تدمر بالإضافة إلى القلائد.

يعود تاريخ هذا المدفن إلى سنة /98/ بعد الميلاد، وهو من بناء رجل كان عضواً في مجلس الشيوخ في تدمر. وهذا المجلس وضع تمثالاً لهذا الرجل، في منتصف الطريق بين نبع أفقا ومعبد بل والعمود الذي يحمل التمثال، مؤرخ في عام /139/م. وقد أراد مجلس الشيوخ أن يكرّم هذا الإنسان لما قدمه لتدمر من عطاءات. وهذا العمود ما زال قائماً في الطريق قبل الوصول إلى معبد بل.

✦ أستاذ خالد..لاحظت أن المدافن التدمرية ولا سيما البرجية منها تأخذ شكل أبراج دفاعية.. هل كان لهذه المدافن وظيفة دفاعية عن تدمر ؟

مدافن الأبراج كانت تقوم بوظيفة الدفاع في حالة الحرب..ونلاحظ حالياً وجود سور يضم كل مدافن المدينة بداخله..رغم أن القانون الروماني كان يُحرم الدفن داخل الأسوار..ولكن التدمريين لم يأخذوا بهذا القانون ولهذا يقول عالم الآثار الفرنسي سيريغ..رغم كل الموجات الثقافية التي مرت بتدمر خلال مئات السنين.. لم يستطع أي وافد أن يزحزح تدمر عن أصالتها في الدين والعمارة والفلسفة والفن.

الدكتور أنطون سليمان– سوريا

✦ هل لكم دكتور سليمان أن تعطونا فكرة عن نتائج التنقيب في سراقب ؟

أعتقد أن اكتشاف المدفن يعتبر من أهم أعمال التنقيب وقد اكتشف عام /1983/ . ونتيجة السبر والتحليل تبين أنه يعود إلى الفترة ما بين العصر البرونزي القديم والعصر البرونزي الوسيط /2000–1900 ق. م /. هذا المدفن من المدافن الجماعية، وعثرنا بداخله على نوع من المزهريات الفخارية والتي انتشرت على حوض العاصي ونهر قويق وأوغاريت وفي فلسطين. كما اكتشفنا جراراً صغيرة وبداخلها عظام كاملة لطفل مدفون بداخلها. وكذلك عثرنا على هيكلين عظميين لرجل وامرأة في وضعية الموت على الجانب. وحول عنق المرأة ثمة طوق.

✦ لاحظت أنكم تعتمدون على اللقى الأثرية كمعطيات مادية ومن خلالها تستنتجون زمن الحضارة وازدهارها من خلال السوية أو الطبقة التي تحددونها، هل تتكرمون بإيضاح ذلك ؟

في عملنا التنقيبي نعتمد على اللقى الأثرية، وبدراستها نحدد سويتها وبالتالي نقارنها بسوية منطقة أخرى. فكل لقى ترشدنا

إلـى تحديـد السـوية ونحـن نحـاول ربطهـا مـع سويات أخرى لمنـاطق أخرى. لأن هذا يشكل حلقـات علينـا أن نـربط بينهـا للوصـول إلــى الحقيقة التاريخية العلمية. وأعطيك مثلا، إبلا نحن نعتبر أنها تأسست في /2500/ ق.م، طبعاً يمكن أن يكون ذلك قبل ولكن من خلال دراسة اللقى وجدنا أن فترة ازدهارها أو لنقل تأسيسـها كانـت فـي /2500/ ق.م. حيـث تعاصر الطبقـة السـابعة فـي تـل بـراك. كمـا لاحظنـا أن الطبقـة السفلى من إبـلا تعاصـر الطبقـة الأولـى فـي كشكشـوك. ومـن هنـا نستنتج أن هنـاك حـوالي ثمـانين طبقـة فـي كشكشوك هـي أقـدم مـن إبـلا. فـإذا قلنـا أن الطبقة السفلى في كشكشوك هي زمن العبيد أي /5000/ قبل الميلاد، ثم أضفنا /2500/ هو زمن إبيلا لأصبح النـاتج /7500/ سنة قبل الميلاد.

✦ دكتور أنطون، ما علاقة تحديد السوية أو الطبقة لمنطقة ما بالجغرافيا، بمعنى هل نستطيع أن نعتمد على تل حلف عوضاً عن العبيد مثلاً ؟

لكل تل مقياس هو نفسه، ولكن نحن نـربط الحضارة بالجغرافيا كما يلي: كشكشوك انتهت في / 2200/ قبل الميلاد، دقق قليلاً وانظر، أن هناك كان ثمة نهر يجري صيفاً وشتاء، هـذا النهـر فـي سنة /2200/ قبـل الميـلاد جفّ. وهذا ما دفع ذلك الشعب إلى الرحيل

وبالتالي ماتت المنطقة كحضارة.. وإذا تساءلنا أين ذهب ذلك الشعب؟ فلا بد أن نبحث في مناطق أخرى مثل مرديخ مثلاً. فهنا شعب أسس مدينة، ومن خلال آثار ومخلفات هذا الشعب ودراستها، نحاول أن نربط موت منطقة بانبعاث أخرى، أو انتهاء مدينة وتأسيس مدينة جديدة في نفس الزمن في منطقة أخرى. وهذا كله من أجل ربط الحلقات الحضارية ببعضها البعض كي تكون رؤيتنا شاملة وحقيقتنا واضحة.

✦ هل يمكن تحديد زمن الحضارة اعتماداً على اللقى الفخارية؟

نعم فالرقم المسمارية يعتمد تاريخها على الفخار، وهذا ما فعلناه في إبلا فتحديد زمنها مرتبط بدراسة الفخاريات.

✦ هل لكم أن تحددوا لنا ولو تقريباً، أقدم قطعة فخارية في سوريا ؟

أقدم قطعة فخارية في سوريا اكتشفت في عدة مواقع، الحسون، الكشكشوك /7000/ سنة ق.م، أبو هريرة، تل المريبط.

✦ وفي الرافدين ؟

لا أعلم ! لأن في العراق لديهم تلال كبيرة وعديدة لذلك فهناك التجمع كبير بعكس هنا،

حيث المواقع والتلال صغيرة وثمة ترابط بينها يجعلنا نتأكد منه بدراسة الفخاريات.

✦ هل يمكن دراسة آثار منطقة بمعزل عن منطقة أخرى رغم ارتباطهما الحياتي والتاريخي مع بعضهم البعض ؟

كل شيء مرتبط ببعضه البعض. ولأعطك مثلا: في محاضرة الأستاذ ميشيل مقدسي عن الكؤوس الملونة، ذكر أنها منتشرة على حوض العاصي ونادرة الوجود في شمال سوريا بينما نرى انتشارها نحو حمص. وفي فترة أخرى نلاحظ أن مملكة يمحاض (حلب) أصبح فخارها ينتشر إلى الشمال. هذا يؤكد أن يمحاض كانت دولة كبرى منتشرة من فلسطين إلى الفرات إلى شمال سوريا. الآن لو تساءلنا لماذا انتشر الفخار أو الكؤوس إلى الجنوب قبل يمحاض..فيما يبدو على أن هناك كان ثمة ضغط شمالي جعل الشعب يرحل نحو الجنوب، وهذا تعليل عدم وجود فخار في الشمال. ثم بعد أن قويت يمحاض انتشر الفخار عبرها إلى الشمال. الآن بعد ذلك تدمر مملكة يمحاض على يد الحثيين وينتقل المركز الحضاري إلى الساحل حيث أخذ حيويته عام /1200/ق.م، فازدهرت ممالك الساحل وفلسطين بالإضافة إلى الدور الذي لعبه الهكسوس. ثم في الفترة الآشورية تزدهر المنطقة وتعود من جديد (عين دارا). إذن ثمة ترابط وتواصل حضاري بين المدن

والمناطق الحضارية فنحن نكشف عبر دراسة الفخار لكل منطقة.

✦ إذن، الفخار يدل على وجود حضارة ؟

نعم بلا شك.

✦ إذن لنفترض أنه اكتشف فخار في فرنسا يعود إلى 10000عام من الآن، هل هذا يدل على وجود حضارة ؟

إذا اكتشف هذا فهو يخصه لنفسه، والمهم هو الربط الحضاري. فإذا استطعت ربطه بهذه المنطقة فهذا مهم ويمكن أن توجد نظرية جديدة.ولكن حتى الآن هذا لم يحصل وأعتقد أنه لن يحصل.

✦ إذن مقولة الهلال الخصيب مهد الإنسانية هو معتمد على الحقائق التي ذكرت آنفاً ؟ فهل تؤمن بذلك ؟

أنا لدي فكرة ثانية هي أن الله كان مع شعوب منطقتنا لهذا فهي أصل الحضارة.

الدكتور محمد بهجت قبيسي– سوريا

✦ – لو شئنا مقاربة التطور اللغوي – الكتابي في منطقة المشرق العربي وبحسب دراساتكم وأبحاثكم، هل نحن أمام لغة أم، انبثقت عنها لهجات عديدة ؟ ما هي هذه اللغة العربية القديمة جداً ؟ الأكادية أم السومرية ؟

طبيعة السؤال يجب أن نقف عندها، أولاً، يجب أن نفرق بين اللغة والكتابة، فأنت دمجتهما معا وكأن الموضوع موضوع واحد. فاللغة شيء والكتابة شيء آخر، يجوز أن أكتب اللغة العربية الفصحى بخط لاتيني وتسمى لغة عربية، وهذا دليل ذلك: قبل عشرون عاماً كانت كافة البرقيات ترسل من سورية إلى أمريكا اللاتينية بلغة عربية لكن بحرف لاتيني.

إذاً يجب أن نفرق ما بين الكتابة واللغة، وهنا نرجع إلى الثابت الأساسي الذي نعتبره من البدهيات، بأن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة، كما أن وحدة نمط الخط لا تدل على وحدة اللغة. والأمثلة من التاريخ القديم لدينا واضحة جداً. وسأتكلم فقط عن العربية الفصحى وهي معروفة لدينا.

لقد كتبت العربية الفصحى بعدة أنواع من الكتابات، كتبت بخط الجزم الذي نسميه الخط

العربـــي، وكُتبـــت بـــالخط السصـــرياني السطرنجيلي وسميت بالكرشونية نسبة إلى قريش والتي كان يتكلمها بنو ربيعة في شمال العراق قبل الإسلام، وهذا هام جداً فقبل الإسلام، العربٍ موجودون في شمال العراق.

إذا كُتبت بخط الجزم، وكتبت بالخط المسند، وكتبها ورقة بن نوفل أيضاً بما سمي بالخط الآرامي المربع أو الخط العبري، هذه ثلاثة أمثلة...

رسالة الرسول محمد (ص) لأهل اليمن كانت بالخط المسند، الوثائق موجودة، تجدها في الكتاب لديّ.

لدينا الكثير من الأمثلة، ومنها نقش هام جداً يدعى نقش "رم 2 "، نسبة لجبل رم شمال خليج العقبة، وجدوا نقش مكتوب باللغة العربية " باللهجة العربية العدنانية كمصطلح دقيق ".

كانوا يتكلمون اللهجة العربية العدنانية أي الفصحى، وكُتبت بخليط من المسند السبئي أو اليمني، ومن خط الجزم، والهيروغليفي.

نقش واحد، عد إلى كتابي تجد: " قاد علي جيشه، وانتهى بأرض ترى لكلب، جيشه عدا إلى الكمه (الكمه تعني مصر، فاسم مصر بالنقوش هو الكمه) سطر كوم (وما أكثر الكومات في مصر " إشبين الكوم " مثلاً)، الراعي الرب.

قاد أتت بخط مسند، عليّ أتت بخط الجزم، الراعي الرب أتت بالخط الهيروغليفي.

إذاً اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة كما أن وحدة نمط الخط لا تدل على وحدة اللغة.

وكمثال على وحدة نمط الخط، فإن كافة اللهجات الجرمانية اللاتينية تكتب بخط واحد سميناه الحرف اللاتيني، لكن هذه لغة والأخرى لغة. إذاً الموضوع الكتابي شيء واللغوي شيء آخر.

عندما أجد أي نقش بالكتابات القديمة سواء كانت مقطعية كالأكادية التي كتبت بالمقطعية المسمارية، أو ما بين المقطعية والهجائية كما في الهيروغليفية، الآن لدي مشكلة كبيرة جداً في عملي وهو ما نسميه إشكالية اللفظ، مثلاً عندي نقش أجاريتي أي بالأبجدية الأجاريتية، وجدت حرفي صاد وضاد، هنا قد يستغرب البعض وجود حرف الضاد !! نقول نعم ويجد صوت الضاد، وسنأتي على أمثلة، وجدنا الصاد أو الضاد تلفظ باللفظتين، وسنعطي مثال على ذلك، وأيضاً على الراء والتاء.

مثلاً صرّة وضرّة، إذا قرأتها حسب قراءة البعض الذي ينكر وجود الضاد، تقرأها صرّة، ليثبت صوت الضاد تقرأها ضرّة، وجاء في القاموس ضرّة هي الزوجة الثانية للرجل. فهل الزوجة الثانية للرجل أقرب لأن تكون ضرّة أم صرّة؟ بمعنى آخر اللفظ السليم يجب أن أسمعه في الأذن أولاً وفي اللسان ثانياً، أما الكتابة فهي وسيلة للتذكير فقط.

إذاً، أنا أمام مشكلة في الكتابات القديمة حيث أنني لا أسمع كيفية اللفظ، فكيف أغطي هذه المشكلة ؟

الواقع لدينا وسائل مقبولة نوعاً ما، بقي لدينا من هذه الألفاظ المتداولة سواء آرامية أو كنعانية أو أكادية أسماء المدن والقرى، فاسم دمشق، فيه تواتر لفظي، أذكر مرة كنا في مؤتمر المؤرخين العرب في القاهرة، اختلفوا في قراءة جِدّة أم جُدّة أم جَدّة، وقامت المشاكل بين المؤخلين العرب، فكانت لي مداخلة بسيطة جداً، وقفت وقلت لهم أنا لست من الحجاز، من منكم ابن جِدّة أو جَدّة ؟ وقف أحدهم وقال أنا، قلت له كيف يلفظها العامة لديكم ؟ قال جِدّة (بالكسر)، قلنا هذا هو اللفظ السليم لأن فيه تواتر لفظي.

مثلاً في تونس للآن يقولون " حنا بعل " ولا يقولون " هنيبعل".

سأستشهد بالمستشرقين أيضاً، لدينا كتاب اسمه " ليشانوم أكاديتموم]
" [Introduction To Akkadian لريشارد كابس، أظن في الصفحة 112، يشير بأنه لدي مقطع من المقاطع وهو يمثل الـ آ الألف نفس الشكل يمكنك لفظه بخمس حالات تلفظه: ألف، ها، حاء، عين، غين. أي إن أتتني كلمة وقرأها مستشرق " إقلم " أنا لي الحق أن أبدلها: " حقلم " أو " هقلم " أو " عقلم " أو " غقلم ". لكن يقول لي بجانب هذه الكلمة " إقلم " معناها

" حقل "، وبالتواتر اللفظي أنا عندي كلمة " حقل "، إذاً أستطيع أن أقرأها " حقلم ". المشكلة في الكتابة الأكادية واضحة جداً في ثلاث حالات، لدي المقطع الأكيد ذي الخمسة ألفاظ:

1- المقطع الذي قلته سابقاً " هاء أو عين .. " همزة أو هاء أو حاء أو عين أو غين.

2- المقطع " القاف, والكاف، والجيم، وال " تستطيع أن تقرأه بالحالات السابقة جميعاً.

3- المقطع الذي لم يأتوا إليه وهو صوت الصاد إذ يمكن أن أقرأها ضاد.

فيجب إذن أن أستعمل ما هو متواتر. أيضاً، وجدنا في الكتابات الإبلاوية كلمة " حامضوم " = حامض، وكلمة " وضاءوم " = وضاء، فهل من المعقول أن تكون " وضاءوم " بمعنى استعمال الماء ؟ ، وهل من المعقول أن تكون " حامدوم " بمعنى الطعم الحامض !!. لا يمكن لأنه لدي مدلول آخر لهذه الكلمة مثلاً كلمة " حَمَدَ "، هذا ما تقف أمامه في هذه الكتابات.

سأرجع إلى سؤالك مرة أخرى، نقول نعم لدي لغة أمّ.

هنا يأتيني بعض الكتاب العرب، ويقولون أن اللغة العربية هي اللغة الأم، بمعنى الفصحى، وهي لغة أهل الجنة، هذا كلام بعيد عن المنطق، وحين رجعت إلى بعض من

ينسبوها بأنها حديث وجدت بأنه حديث ضعيف لا يؤخذ به.

لا شك تختلف اللهجات حتى باختلاف القرى من قرية إلى أخرى، قد تكون المسافة بنهما لا تتجاوز العشر كيلومترات.

ابن دمشق يقول " لبنان "، وابن عربين يقول " لبنون "، ابن لبنان يقول " لبنين " .

الموضوع أنه هناك لهجات تختلف وخاصة بالأحرف الصوتية، أو بالأحرى ألف المدّ، الألف والواو والياء هنا لدي إبدالات، فأقول [دار] أو [دور] أو [دير]، صحيح أنه بعد ذلك أخذت كل منها مدلول آخر مختلف لكن الأساس واحد وهو البيت الدائري. ونحن نعلم من خريطة مكة القديمة، أن كافة البيوت في مكة كانت تبني بشكل دائري، بخلاف الكعبة، وهذا شيء ثابت لدى الكتّاب، لذلك نقول لدينا لغة أمّ لا نعرفها تفرّعت إلى لهجات، ومنها هذه اللهجة الأكادية أو الإبلاوية أو الأجاريتية، وأيضاً العربية الفصحى، فهي لهجة حوت أكثر هذه اللهجات لكنها ليست اللغة الأم (اللغة الأم لا نعرفها).

✦ هل هي قبل السومرية ؟

أنت هنا وصلت إلى بيت القصيد، من العته بمكان أن أقرر لغة أو حضارة أمة قبل 3200 سنة قبل الميلاد، وهو ما عُرف بتاريخ الكتابة.

فوجئنا نحن عندما قالوا لنا أن اللغة السومرية هي اللغة الأم ! وبعدها أتت الأكادية وكأنهما لغتان مختلفتان، توجد نظرية قديمة أشار إليها د. نائل حنون وأثبتها علمياً، وأنا مع هذه النظرية بأن الكتابتين أو اللغتين هما لشعب واحد.

سأضرب لك مثلا، لأن المثال يختزل الجواب ويختزل المقال: لديّ في مصر لغة، تدعى لغة السيم، وهي لغة تعتبر شيفرة، وتختص بين مهنة وأخرى، فبائعوا الصاغة لهم لغة، وهم يتكلمون أمامك ولا تفهم شيئاً، بينما يفهم عليه الصائغ الذي يعمل لديه، فلا يقول عن القطعة أمامك أنها غالية ويقول له لفظ آخر، إذن لدي لغة دعني أسميها لغة كودية ونحن نعرف سابقاً، حتى الهيروغليفية، " إنا الآن شتّيت بين السومرية والهيروغليفية لأنه لدي مثال واحد " كانت هذه الكتابات من اختصاص الكهنة ودليل ذلك أن اللغة المصرية / لغة السيم / بعد كل جملة صغيرة يضع لي المخصص، ما هو المخصص؟ ، مثلا موضوع جنسي يضع الذكر البشري، موضوع مدينة يضع دائرة بداخلها مصالبة أي مدينة، فحتى لو كان الشخص مختص بهذه اللغة الكودية المشفرة لكن يمكمن أن ينسى، لذا وضع الرمز المخصص لها، إذاً هي لم تكن لغة منطوقة، إنما هي كتابة سرية ما بين الكهنة ليعرفوا مضمونها وهذه تحتاج إلى الكود.

الآن النظرية عن السومرية هي كذلك، إلى الآن لا نعرف من أين أتى السومريون، إذا اعتبرناها كلغة..

✦ هل هناك في السومرية نصوص كهنوتية مثل اللغة الكودية؟

نعم وأكبر دليل أن السومرية بقيت مستعملة حتى سنة 79 ميلادي، وأنا أعتبر اللغة السومرية لغة مكتوبة تكتب ولا تنطق، وقد تنطق لدى المختصين فقط.

طيب، كيف أقرأ نصاً مسمارياً. كافة المستشرقين يأخذون هذا الرمز ويحولونه إلى الرمز الحديث، لأنه لدي تطورات الشكل " الشكل تطور " ، فيكتبون بكتابة حديثة نسبياً وهي كتابات الدولة الحديثة أو العصر الحديث أو العصر الكتابي، إذاً المقطع نفسه حوله إلى مقطع ثاني، المقطع الثاني أخذ لفظه، أحياناً كثيرة يأتيني اللفظ سومري، أي مقطع من المقاطع سومري لكن أحوله إلى لفظ أكادي، الموضوع متشعب لكن السؤال المطروح من المعروف بأن اللغة السومرية هي لغة ملصقة يعني غير متصرفة، عندما أكتب شيفرة مثلاً، عندما أريد أن أتي لعندك، أكتب لك اليوم عندك وإشارة بيت، هذه شيفرة لكن أنا متفق معك، لذلك أنا مع النظرية التي أثارها د. نائل حنون أن السومرية والأكادية هما إن صح التعبير لغتان لشعب واحد.

الأكادية لغة منطوقة أو السومرية لغة غير منطوقة، هي كتابية مشفرة يعرفه أصحاب الاختصاص والكهنة.

✦ إذن لا يوجد شعب اسمه الشعب السومري ؟

لا يوجد شعب سومري، عندنا أرض سومر وأكاد. حتى كلمة سومر ليست سومرية، بل هي أكادية، لا أنسى بأن الكتابات مهما تجردت لا بد أن تحمل بعض الكلمات الفعلية.
عندي عدة كلمات موجودة مثلاً: " ريعوم " بمعنى " راع " ، كلمة " قصّاروم " بمعنى " قصّار أي نساج " ، كلمة " نجاروم " بمعنى " نجار "، هذه كلمات أكادية، هنا لنا وقفة مع بعض المحللين ال1ين يقولون أن هذه الكلمات استعيرت من لهجة حضارة العبيد، ودليل ذلك كلمة " حرثوم " بمعنى " محراث "، والمحراث عُرف بفترة العبيد بالألف الخامس قبل الميلاد .
من هنا المقارنة، بمعنى أخر، لو سميناها لغة مستقلة لكن لابد أن تحمل بعض الملامح، لدينا كلمات كثيرة موجودة، هذا ما أود أن أقوله، إن سميناها لغة كتابية غير منطوقة اسمها السومرية، أصحابها الكهنة والمختصين، كتابة ذوي الاختصاص تعلموها، وهم الشعب الأكادي، الذين سميناهم أكادي بفرعيه الآشوري والبابلي، والذين نسميهم العرب القدامى..

✦ د. قبيسي.. نصل على أنه توجد حضارة عبيدية، ولا نستطيع أن نقول توجد حضارة سومرية، نقول توجد حضارة أكادية، كيف ننظم هذه الفكرة ؟

الآن حللنا المشكلة نحن نعمل، لكن قد أعطيك رأي وأغيره بعد يومين من ناحية الشكل وليس المضمون، لأنه موضوع جديد، إنما مبدئياً أقول، الشعب هو شعب واحد، وكلمة أكادية هي مصطلح جديد فابن أكاد لم يطلق على نفسة أكادي، والفن ببلاد ما بين النهرين أعتبره فناً مقبولاً، إنما لا يقارن بالفن المشرقي المصري.

✦ من حيث ماذا ؟ من حيث القيمة والإبداع ؟

لديهم تقنية جميلة وراقية جداً.

نعود للحديث: فالأهم، الدكتورنائل حنون جاء بـ 52 دليلاً، سأذكر اثنين، أولهما أن " إي – إن – غ " ، هو اسم السومريون الذين سموا أنفسهم هكذا، فكلمة سومر كلمة أكادية هذا أولاً، إذا اعتبرنا أن هذه اللغة اندثرت لماذا بقيت مستعملة حتى عام /79/ ميلادي بمعنى أنها (وأشار إليها د. نائل) تستعمل في الكتابات الدينية في المعابد أي كان لها جو معين، ولا أنسى بأن المسافة الآن بين الحدود المصية والعرقية هي 480 كيلو متر فقط، إذا أخذتها ابتداء من سيناء حتى الحدود العراقية أي الفكر واحد، وهو ما أود

أن أصل إليه، هناك منهجية لكتابة التشفير والتي سميناها هناك سومرية ولدي كافة الكتابات.

الآن توجد نظرية جديدة تقول: حتى اللغة المصرية القديمة، وحتى الهيروغليفية، بقيت كلمات وكتابات تشفيرية غير منطوقة، مثال على ذلك، كلمة " فتكَ " بأسلوبهم وضعوا الفاء أولاً ثم الكاف ثم التاء أخيراً، فأنا أقرؤها " فكت " لكن هم يقرأونها " فتك " وهو شيء موجود بمعنى فتك وقتل.

كلمة النيل مثلا، لم أجدها في الكتابات المصرية بل وجدناها " حابي "، استغربت فالعرب العدنانيون لا يعرفون شيء معناه النيل، فهذه عملية تواتر، أيضاً كلمة " هرم " اسمها " مِر " ويقرأها لك " مِر" ويكتبها " مِر "، لكن أين التواتر ؟ هل من المعقول أن تخفي هذه الحضارة العظيمة أهم معلمين في مصر ؟ فاسم نهر النيل وجدتها في الكتابات " حابي "، وكلمة " هرم " وجدناها " مِر "، فهل هذا معقول ؟

لماذا لم يختف اسم دمشق من الكتابات القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن أجد دمشق ؟، ووجدنا " دمشقا " في الكتابات الأكادية، لأنه ليس لدي مقطع للقاف وحده في اللغة الأكادية، الموضوع هو بحث لغة السيم، ما تزال فكرة هذه اللغة مستعملة في مصر في المهن وهي كلام سري لا يعرفه الآخرون.

تجار الصاغة هنا في دمشق، لديهم لغة خاصة بهم ولا سيما في تحديد نوعية وهوية زبائنهم.

هذا هو ما نسميه لغة السيم، إذن وصلنا إلى لغة أم موجودة، وفرقنا بين اللغة والكتابة، التطور اللغوي موجود. مثلاً هل لغتك عندما كنت في الثانوية مثل لغتك الآن ؟ لديك تعابير تستخدمها أنت لكن غيرك لا يستخدمها، أذكر مرة كان لدي كلمة في اتحاد الآثاريين العرب، في تكريم أحدهم، فكتبت صفحتين وكان معي الدكتور مصطفى جطل وكان عميد كلية الآداب في حلب واختصاصه اللغة العربية، فطلبت منه أن يضع التشكيل على خطابي فسألني أن يغير فيه قليلا فوافقت، غيّرها ثم أخذتها لإقرأها فلم أستطع لفظها، قلت له: ما كتبته أنت فإن فيزيائية صوتي، لا تستطيع أن تلفظه. فقال لي: ارجع إلى كتاباتك.

إذاً لكل شخص وقفة معينة في حديثه، أنت لك لهجة، ونحن نختلف في الاستفهام والإنكار وفي النبرة وفيزيائية الصوت، فكل إنسان له فيزيائية معينة وبالتالي هناك تطور لا شك.

✦ اللغة الأم هل نستطيع أن نطلق عليها اللغة العربية؟ أنتم رفضتم السومرية..

ليست مسألة رفض.

نحيّناها جانباً. دائماً فلسفة التاريخ لها ثلاثة أمور:

أولاً: أن نستعمل مادة المنطق أي 1+1= 2 .

ثانياً: يجب أن يكون لدي خيال علمي سليم، مثلاً سباق الماراتون، هو أن الفرس دخلوا ليهاجموا أثينا، الماراتون سهل شمال أثينا، وأثينا في خصام مع إسبارطة، لكن يوجد عدو مشترك، فأرسلوا إنساناً يسمّى " فيدي بيدس PHIDI PIDES " جرياً من أثينا إلى إسبارطة التي هي في الجنوب، والماراثون بالشمال، خلال يوم وليلة عاد، فسموه سباق الماراتون، لنأخذ مادة المنطق والخيال العلمي، خيال علمي، يجب أن يكون لدي سلم تاريخي سليم، وساحة جغرافية سليمة، إذاً لماذا سمي سباق الماراتون بدل أن يسمى سباق أثينا أو إسبارطة ؟، قبلنا أنه بمناسبة وجود قوات فارسية بسهل الماراتون سمي بسباق الماراتون، هنا نطرح تساؤل آخر، الخيول كانت معروفة في اليونان، الإسكندر المقدوني دخل المنطقة بتسعة آلاف فارس، هنا يجب أن أقف عند حقيقة علمية واضحة اعترفت فيه اليونان، وهو موضع الأسطورة، في الأسطورة هناك حقيقة لكن هذه الحقيقة مضخمة ومبالغ فيها وقد أخذت بذلك المدرسة التوراتية، ونحن حبيسين هذه المدرسة التوراتية والمدرسة الإغريقية.

ثالثاً: المادة التاريخية، نأتي للسومرية، فالسومريون حتى الآن، الكل يقول لك لا نعلم من أين أتوا، هنا نريد أن نحل المشكلة، فإذن توجد لغة أم انبثقت عنها لهجات. لدينا لغة عربية أم لا نعرفها.

✦ ألا نستطيع أن نطلق عليها هوية ؟

الهوية عربية، حيث نأخذ آثارها في لهجات كلها تقوم بتشكيلها.

✦ يعني لغة عربية أم ماذا ؟ هل هي / سامية / أم عربية ؟

الواقع لم نكن سابقاً ضد كلمة سامية لأنها مدلول شمل الناس كلهم، أما وأنه قد استعملت كلمة السامية لحصرها باليهود فقط، فنرجع للحقيقة التاريخية حيث لم أجد في النقوش كلمة سام، عندي كلمات أخرى، هل ندعوهم عموريين إذ ظهر عندي كلمة عمور، هل نسميهم كنعانيين لأنه ظهرت لدي كلمة كنعان، أم نسميهم أجاريتيين لأنه ظهر لدي أجاريت، إبلاوية ظهر عندي إبلا، مصريين ظهر عندي مصر.

✦ ولكن أكاديين غير موجودة !!

كلمة أكاد كلفظ أغاد أو أكاد هل أسميها بونية، كل هذه الكلمات مقبولة لدينا، لكن أيها أكثر قبولاً وأيها أكثر انتشاراً جغرافياً وأيها أقدم مصطلح وجدته في الكتابات لا يجوز أن أؤلف من عندي، كلمة عرب وردت

في نقش لـ نازان والد نارام سين، ابن شاروكين يتكلم عن عرب ملوكا وعرب مكان..

✦ هل ورد في النقش حرف العين أم.. ؟

أتت بحرف العين، على كلّ هذا ما أقره " إسرائيل ولفنسون " في كتابه " اللغات ألسامية " وما نقله عنه " أنوليتمان " ، هذان الاثنان لم ينكرا هذا النقش والاثنان قرآها، عرب، يعود هذا النقش إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد (2200 ق.م)، وللأسف إلى الآن أدمغتنا مغسولة بأن نقش " جنيديبو العربي " الذي قام بألف جمل في معركة قرقر، هو أول نقش يذكر العرب لكن هذا كلام غير صحيح.

ارجع إلى الكتابات الإبلاوية، ليس لدينا شيء عنها كله بالحرف اللاتيني وكله إمّا بالإيطالي أو بالإنكليزي، شخص واحد لدينا يهتم بهذه الأمور، وهذا لا يكفي، يجب أن يكون لدينا مدرسة أو مجموعة ما، لديها على الأقل فكرة عن الكتابات القديمة، أقول كتابات ولا أقول لغات، عندي الآن كتابات إبلا، يجب أن يكون لدينا شخص مؤسس لغوياً على الأقل وان يكون أيضاً مؤسس باللهجة العربية العدنانية لأن اللغة لغة، ثم نعلمه شكل الخط.

✦ يلاحظ أنه تعتمد على اللغة في مناقشتك، ترى إلى أي حدّ تشكل اللغة عاملاً

أساسياً في تحديد هوية مجتمع ما؟ فإذا كان سكان السنغال مثلاً يتحدثون الفرنسية كلغة رسمية فهل يعني هذا أن السنغال فرنسية الهوية ؟ أو مثلاً أن اللغة المالطية تحتوي على جذور / سامية / فهل يعني هذا أن المالطيين ساميين ؟

اسمح لي أن أقول هنا أن قومية فئة من الناس، أو على من تنتمي، الموضوع الإنثروبولوجي هذا هو موضوع غير علمي، لأنني لا أستطيع أن أعرف صفاء دمي لمن يبتع ولا أنت كذلك، ولو أن نسب العربي معروف لكن من خلال هذا النسب قد توجد امرأة تركية أو امرأة شركسية في سلالتي.

الموضوع الأنثروبولوجي، مثلا عندك الأستاذ " إبراهيم يموت " (وهو من الحزب القومي السوري)، له بحث جميل في هذا الموضوع وضع لك احتمال واحد من عشر ملايين كي يتطابق معك النسب لكن ما هي الدلائل ؟ لدينا دليلين هما اللغة والجغرافية، اللغة هي مسبار وكشاف الشعوب، هي ورقة عباد الشمس التي أضعها في المادة فأعرفها إما قلوية أو حامضية، تكلم أقل لك من أنت، أحدهم في يوم من الأيام وأنا أقول[إن تكلمت العربية فأنت عربي] فدخل بمداخلة وقال أنا أتكلم الفرنسية فهل أنا فرنسي ؟ قلت له حسب

المنام (الحلم) الذي تراه إن رأيته بالفرنسية فأنت فرنسي.

الموضوع إذنٍ فكري، اللغة هي التي تجمع الناس، اللغة أولاً والوحدة الجغرافية ثانياً هما كشاف الشعوب، حتى تطور اللغة وحتى مدلول الكلمة، مثلاً كلمة / كفر / مدلولها الفعلي عند الجميع مدلول واحد في كل من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وليبيا.

الآن نجد الفكر الديني مختلف، فكلمة / كفر / أجدها في كافة اللهجات وخاصة الآرامية والكنعانية تعني غطى، ولها معنى ديني صغير بمعنى غطى الحقيقة، من يغطي الحقيقة فهو كافر، فهو مدلول صغير من مدلول كبير سأقف عنده، فالتعنت الديني الذي صار لنا في مجتمعاتنا.. فنحن نقول فلان كافر لكن السؤال المطروح: تفسير القرآن الكريم والإنجيل اللغة أساس فيهما أم لا؟، الكل يقول نعم، لكن إن دعيت بوذي إلى الإسلام وكانت حجتي ضعيفة ولم يقتنع، فهو لمٍ يغطي الحقيقة أي ليس بكافر، لأن الكافر هو من يعلم ويغطي الحقيقية.

مثلاً فلان غطى الحقيقة لكنه أنكر ذلك، والله لم يسمح لي أن أدخل إلى قلبه إذاً لدي ظاهرة فقط لذا لا يجوز لي أن أقول عنه أنه كافر.

نأتي إلى كلمة / كفر / تعني غطى، هل هناك صلة لغوية ما بين الكلمات التالية: كَفَر، كَفِرْ، كفرون، كفير، كافور ؟ نعم هناك

صلة، الأولى، شرحنا معناها سابقاً، الكَفْر في مصر معناها القرية، الكافور نوع مَن العطور يوضع على الميت ويغطي رائحته الفاسدة، وسميت الأرض الجرداء التي حُرثت وبُذرت فكفرت ثم كفرت بالنبات سميت الأرض كفر، إذاً أساس معنى الكفر هي الأرض الجدباء التي زرعت فكفرت بالنبات فهي كفر. ماذا جاء في القرآن الكريم [كمثل غيث يعجب الكفار نباته]. عد إلى التفاسير معناها الزرّاع وليس الكفار، الكافر هو المزارع، لاحظ انتقل مدلول الكلمة، أنت عندك أرض كفر، وأنا عندي أرض كفر، من أجل الأمان أنا بنيت غرفتين وأنت بنيت غرفتين بجانبي فانتقل المدلول من الأرض الزراعية على معنى القرية، هذه القرية يجب أن يكون من مواصفاتها أن بجانبها أرض زراعية، المدلول من أجمل البحوث لغوياً، بحث فيه " ابن جني " لكن لا يزال ينقص هذا البحث الكثير، ويحث فيه " محمد إنطاكي " من حلب، و" صبحي الصالح " بلبنان. بحث فيه الكثير لكن هذا موضوع جميل جداً ليس هذا مجاله.

نأتي للمجتمع في دمشق، يوجد فيه 4 ملايين نسمة حالياً، لدي في دمشق ما ينوف عن العشر مداليل لغوية، فلغة الطبيب خلاف لغة المهندس، لغة الأثري خلاف لغة المؤرخ، نأخذ مثلاً كلمة الموسم: الموسم عند الزراعي غير الموسم عند الصناعي وغير الموسم عند

الأثري، هذه المداليل تختلف لكن تستطيع أن تكشفها، لماذا نقول تكلم أقل لك من أنت، أولاً تتعرف على شخصيته وتكلمه على مستوى عمقه وفكره ولهجته.

✦ دكتور قبيسي.. القرآن كتاب على حدّ علمي لم يكن منقطاً ومشكّلاً في أول الأمر، وحسب اعتمادكم في دراساتكم وأبحاثكم عليه في المنحى اللغوي.. كيف تنظرون إلى هذه المسألة وكيف يمكن أن نناقش أو نعتمد على القرآن في هذا الموضوع ؟ أطرح سؤالي ليس بنية التشكيك بقدر ما بنية التأكيد والحقيقة الموضوعية.

الواقع أنه يجب أن نتكلم وهل هذا ممنوع من أن أفكر فيه، لا سأفكر فيه، نأتي إلى موضوع القرآن الكريم فله في ذهني قصة عجيبة، وهي التالية، عندما بدأت أهتم في الكتابات القديمة وكنت في بداية دراستي في سنة /1959/ في الكلية الحربية في القاهرة كنا نأخذ اللغة العبرية، ومرت على هذه الجملة / آني عشخاف هوليخ عا ها بيت / (أي : أنا الآن ذاهب إلى البيت) فلم أستغرب هذه الكلمات، ففيها شيء قريب للجرس الذي أتكلم فيه بلغتي العربية، (عا ها بيت) يعني عَ البيت، آني: أنا، فهنا أخذ هذا الموضوع حيزاً من تفكيري، اسم حرستا أو دوما أو دمشق فيها جرس عربي لم نعرف أن نفسره، أسمع أنا عن شيء اسمه القرارءات العشر

للقرآن الكريم، فبدأت أستفسر عن القراءات العشر ورجعت إلى كتاب سعيد الأفغاني، محقق لكتاب " ابن زرعة " وهو مهتم بالقراءات، أقرأ كالعادة المقدمة ثم الفهرسيت ثم أقرأ الكتاب. فتحت كتاب " ابن زرعة " لسعيد الأفغاني، أذكر أنه بنصف الصفحة الأولى في المقدمة يقول ما يلي: [من أراد أن يعمل في اللغة ولم يقرأ القرآن الكريم فإن عمله واه] ، أنا كنت صغيراً ولم أكن أحفظ إلا بضعة آيات صغيرة فوقفت عن إكمال قراءة الكتاب، عدت ووضعت القرآن الكريم أمامي ستة أشهر وأنهيته مرة واحدة.

وعودة إلى سؤالك، جاءنا القرآن الكريم له تشكيلات كيف عرفنا أن هذه التشكيلات هي الصحيحة، كان القرآن غير منقط وغير مشكل فكيف أثق بذلك ؟ الآن أنا لدي قرآن مشكل ومنقط سأعطيك هذه الآية أرجو أن تقرأها بصوت عالي..

أعطاني الدكتور قبيسي القرآن وطلب مني أن أقرأ هذه الآية من سورة النساء، ولأعترف أن قراءتي كانت رديئة (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً) (النساء: 119).

أنا أيضاً قراءتي الأولى لم تكن صحيحة، وحاولت ما ينوف عن العشر مرات رغم تشكيل القرآن الكريم فلم أستطع، فكان أن

استعنت بحافظ للقرآن الكريم وطلبت منه أن يقرأها لي ثم أعدتها وراءه، إذن العبرة في النطق لا في الخط كما يقول " ابن جني ". أعود لأذكّر أن أساس اللفظ السليم، السمع في الأذن والإعادة في اللسان، لذلك نجد عند أكثر الفقهاء يقولون لقد قرأن فلان عن فلان، سآتي خلاف لهذا النص بمثال بالإنكليزي كلمة / enough إيناف / وهي إن قرأتها تلفظ (إينوغ)، العبرة في النطق. أيضاً، كلمة عمرو، أكثر المذيعين يقولون عمرو موسى (بمد الواو)، لكن هذا مصطلح إملائي، نضيف الواو لنقرأها (عَمْر) بدلاً من (عُمَر)، إذاً العبرة في النطق لا في الخط.

الآن كيف نثق في هذا القرآن. لم يكن هذا أساسياً، فالأساس هو التواتر اللفظي جيل بعد جيل، الخط للذكرى ليس إلا، لكن كله أخذ بالتواتر أحدهم عمّا قبله، نجد خلافات بسيطة أحدهم يدغم والآخر لا يدغم، مثلاً. هذا كله بسيط، لذلك حُفظ القرآن بعد ذلك في هذا التشكيل لأنه أيضاً مصطلح مثلاً: (لآمُرَنَّهُمْ) أين الألف ؟ يجب أن تكون الألف ممدودة لكن لم أجدها، بمعنى آخر، القراءة تنتقل من جيل إلى آخر، لذلك أنا أثق في لفظ القرآن الكريم ليس بسبب القرآن وتشكيله بل بسبب عملية التواتر اللفظي الذي أتاني جيلاً بعد جيل.

أرجو أن أكون وفّقت في الإجابة عن السؤال، القرآن الكريم قبل التنقيط تثق فيه إذا أخذته عن طريق التواتر اللفظي، في دمشق ما ينوف عن العشر قرّاء يعطون شهادات، أي الأمر لا يتوقف إلا على اللفظ السليم نطقاً وبالتواتر.

كلنا يذكر فيروز في بداية الخمسينيات حيث كانت أكثر أغانيها غير مفهومة، عرفت هي والملحنين العلة، فأول شرط من شروطهم أن يتعلم المغني تجويد القرآن الكريم، التجويد وليس الغناء، فالتجويد هو لمخارج الحروف، لذا اعتنت فيروز بمخارج حروفها فأصبحت أغانيها كلها مفهومة.

أعود لألخص السؤال ليست العبرة في التشكيل والكتابة فهما للتذكير فقط، العبرة فميا سمعته في أذني وأعدته في لساني، إن سمعته في أذني ولم أعده في لساني فما تزال العملية ناقصة. [العبرة في النطق لا بالخط] كما يقول " ابن جني ".

✦ من المعلوم أن / محمد / كاسم علم، لم يكن موجوداً، أو بالأحرى كان الاسم نادراً، وفي كتابك / فقه اللهجات العربيات / تورد أن وثائق أجاريت تدل على ورود اسم / محمد /، هل من الممكن أن توضح لي ذلك؟

الشهير أن اسم / محمد/ كان نادراً، وعبد المطلب جدّ الرسول هو من سماه، لأن أبوه

كان متوفي، وكان أصحاب هذا الاسم في شبه الجزيرة العربية بحدود الخمسة.

نأتي على الكتابات القديمة وخاصة ما نسميها بالعربيات بدل الساميات، حيث نجد في قاموس أجاريت فعل / حَمَدَ/ واسم علم / محمد/ أو / محمود/ حيث تقرأ بدون أحرف صوتية [م – ح – م – د]، تستطيع أن تقرأها محمد أو محمود، فمن الأرجح أن هذا الاسم كان مستعملاً، وأنا بحثت وذكرت في قاموس أجاريت الذي أوردته في كتابي [ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية]، بحثت بحدود الصفحتين أو ثلاثة، بأن قريش كما يُشاع، لم تأت من جنوب شبه الجزيرة العربية، أظن أنه من الناحية العلمية، هذا شيء فيه خرافة، لكني أرجّح أن قريش جاءت من الشمال ولم تأتِ من الجنوب.

✦ ماذا تقصد بالشمال.. بلاد الشام ؟

لا من شمال مكة بما فيها بلاد الشام، فنحن نعلم أن قريش ليست أصيلة في مكة، إنما هي وافدة، وكانت قبلها قبيلة (جرهم).

وكما قلنا بأن اللغة هي كشاف ومسبار الشعوب، أجد تقارب العربية الفصحى [ما سميناها باللهجة العربية العدنانية] مع اللهجات العربية الأجاريتية والأكادية والارامية. فأجد النسب التالية:

90.5 % من لغة أجاريت أجدها في قاموس لسان العرب، وهنا لي وقفة، فقد سمعت أنه في لغة أجاريت يوجد بحدود 700 لفظ موجودة في قاموس لسان العرب، وهنا أحب أن أوضح عن هذا الكلام، ففي الواقع قد أحصل على نقش فيه عشرين كلمة، هذه العشرين قد أجعلها نسبة مئوية فأقول العشرين تساوي 100%، وبالتاي أجد منها خمس كلمات متطابقة فتكون النسبة 20 %، فما وجدناه في أجاريت نعم بحدود الـ 918 كلمة، فوجدنا نسبة 90.5% من هذه الكلمات تجدها في لسان العرب، و 4.2 %ٍ هي الكلمات العاميات مثل: برّا، جوّا، خشّة، فلان ليس لديه خشة أي ليس لديه غرفة، المجموع إذن 95% تقريباً، بقي لدي 5% من الكلمات نسميها الكلمات المتجمدة أو الكلمات الميتة الاستعمال، على الأقل ميتة الاستعمال بالنسبة لي أنا، وهنا يجب أن أشير إلى نقطة، فما أعلمه أنا بثقافتي العامة هذه، هي لغتي الخاصة فاللغة الخاصة ما أعلمه أنا لنفسي وما تعلمه أنت لنفسك من قراءاتك، أما اللغة العامة هي لغتي ولغتك ولغة كافة أفراد الوطن العربي الذين يتكلمون هذه اللهجات إلى جانب ما هو مطمور في الكتب ككلمات، هذه هي اللغة العامة. أنا على حدّ معلوماتي وجدت : 90.5% و4.2 % أما الـ 5% فلم أجدها، ربما إن عدت إلى قواميس أخرى سأجدها، أعود الآن

لأسأل: لماذا أساس قريش كلغة يتطابق مع أجاريت بنسبة 90.5% ؟، ومع الارامية بنسبة 86% ؟، ومع السبئية بنسبة 55% ؟، لذلك نقول أتت من الشمال. ولا أنسى ما ورد في التراث أن قصي أحد جدود الرسول كانت له دار في دمشق، بمعنى أنه مقيم في دمشق، وما ورد في القرآن الكريم وهو ثابت، رحلة الشتاء والصيف، فكانت هذه الرحلة بالصيف حيث يقيمون في دمشق من أجل البرودة، وفي الشتاء يقيمون في مكة من أجل الدفء.

✦ ذكر لي الصديق الدكتور محمد محفل أن نسب الرسول يعود لأبي زيد الشامي.. بمعنى أنه يعود لبلاد الشام.. هل لديك أفكار حول هذه الفكرة ؟

لم أقرأ هذا البحث، والدكتور محفل ثقة.

✦ لم يكن هذا في بحث، بل في جلسة اجتماعية..

إذاً اسم محمد كان موجود بأجاريت لكن يبدو لم يكن يستخدم كثيراً بأسماء العلم وقد أتى كاسم علم وأيضاً جاء بصيغة فعل (حمد). وهناك أسماء أخرى بأجاريت مثل (أبي ذر).

✦ هل توجد كلمات آرامية في القرآن. وما نسبتها ؟.

عندما أقول 86%، وعندما أقول كلمة آرامية، أقول العربية الآرامية، نعم لدي كلمات كثيرة في القرآن ليست موجودة في العدنانية وفي لغة قريش، سأعطيك أمثلة: في الفاتحة، نجد لهجة عربية آرامية [الحمد لله رب العالمين]، نحن بالفصحى نجمع كلمة [عالم] بكلمة [عوالم]، الياء والنون هي صيغة الجمع في الآرامية كما نقول: جسر = جسرين، جمل = جملين، فصيغة الجمع لكلمة عالم في سورة الفاتحة هي عربية آرامية.

كلمة ثانية: عندما أتت الآية الكريمة، [وفاكهة أبّا]، وقف أكبر ناقد لغوي في سوق عكاظ وهو عمر بن الخطاب ليقول ما معنى [أبّا]، إلى الآن في عاميتنا نقول [أبّت إيدي]، يعني (انتفخت يدي بسرعة بسبب كدمة ما)، بلدة / إبين / في حلب، وبلدة / أوبين / في اللاذقية، تأبَ أبَا، سألت صاحبي وصديقي العميد عبد الحميد غباري، وهو كردي فقال أن اسم بلدة إبين كردي !! قلت له: هل أرضها زراعية خصبة ؟ فقال لي إنها تعطي ثلاثة مواسم في السنة. وهذا يدل على أن اسم هذه البلدة عربي آرامي.

إذن عندنا كلمات كثيرة من العربية ليست قرشية عدنانية، لكن هي من اللهجات العربية الأخرى، فهنا لعبة خطيرة، هل أسميها العربية الآرامية أم أعتبرها دخيلة، هي ليست دخيلة قد تكون إحدى المعجزات، لا أؤمن بالمعجزة

أنها هكذا أتت، لكن ما بين يدي من التراث اللغوي في القرآن يعطيني المدد.
مثلاً / الحق الحق أقول لكم / هذا نحو عربي آرامي واضح ورد في الإنجيل وفي القرآن أيضاً / الحق الحق أقول /.

✦ أنا أعرف رأيك بما اتفق عليه في الأدبيات التاريخية بفكرة الهجرات / السامية / حيث قرأت رأيكم في كتابكم / فقه اللهجات العربيات/، بحيث تميل إلى الأخذ بفكرة أنها حركة جولان وليست هجرات منظمة.. وهذا يتقاطع مع رأي الدكتور محمد محفل أيضاً. هل من أفكار جديدة حول هذه الفكرة ؟

تكلمنا سابقاً سوياً، في هذا الموضوع وقد أقنعتني بما طرحته أنت، لديّ جَولان وهناك هجرات بسبب الطبيعة، لكن هذا لا ينكر أنه يوجد أناس يعيشون أصلاً في هذه المنطقة.
فدمشق مثلاً، في عام /1960/ كان عدد سكانها 375 ألف نسمة، ومنذ عشر سنوات أصبح عدد سكانها 5 ملايين، والآن توجد لدينا هجرة من العراق بسبب الوضع الأمني هذا الموضوع يكبر ويصغر حسب الظروف. نظرية كيتاني أن شبه الجزيرة العربية كانت ذات أنهار ومياه، وحدثت حركات تكتونية ومجاري المياه طالها الجفاف، ففي شبه الجزيرة العربية، عندنا نهر /لار /، ذكره هيرودوت، ووجدناه في وادي الدواسر، دواسر من اندثر، يقال على جانب وادي الدواسر

يوجد الكثير من الآثار. عن الحركات التكتونية مثلاً، قبل سنة /1994/ حدثت هزة أرضية في سوريا، يقال أن قرية جانب تدمر زادت مياهها، لكن زادت المياه في منطقة، مقابل نقصانها في منطقة أخرى.

الموضوع هناك هجرات وهناك جَولان بسبب الطبيعة، لكن هذا لا ينفي إقامة شعوب على هذه الأنهار، لحالات طبيعية مؤثرة جرت الهجرة، وزادت من شبه الجزيرة إلى منطقتنا لكن هم أتوا عند أبناء عمومتهم وإخوانهم وكانوا يتكلمون لغة واحدة.

✦ بمعنى أنه لم تكن منطقة المشرق فارغة، وأتوا إليها وأقاموا حضارة أي كانت الحضارة موجودة أصلاً وفي تفاعل مستمر ؟ طيب.. اسمح لي أن أنتقل إلى موضوع آخر..كيف تنظر إلى اللغة العبرية القديمة والكتابة العبرية ؟

بداية يجب أن أفرق بين عبريتين، العبرية الأولى هي عبرية التوراة، والعبرية الثانية هي ما ألفت عام /1922/ ميلادي على يد أليعازر بن يهودا. نعم في القرن العشرين أي قبل / 90/ عاماً فقط.

الأولى: لغة التوراة وسنتكلم عنها.

الثانية: عام /1922/ هي لغة الصحف والإذاعة الإسرائيلية وهي لغة حديثة مؤلفة، كتبت بالخط العبري وما سموه بالآرامي المربع وهذه مشكلة أخرى في موضوع الخط.

موضوع الخط هي خليط من لغة اليدش، ولغة اليدش بالمناسبة، هي خليط من البولوني والألماني والروسي، لذلك أنا وأنت لا نفهم هذه اللغة، أما عبرية التوراة حسب مقولتهم ودراستنا، يقولون أن التوراة كتبت باللهجتين الكنعانية والارامية، ما كتب بالآرامية هو سفر دانيالٍ وأجزاء من سفر عزرا، وهي ملامحٍ، مثلاً وجدت فيها أداة التعريف الآرامية مثلاً [حرستا] (الألف في آخر الكلمة هي أداة التعريف)، وجدت في عملية التعريف هذه الملامح الصغيرة، فالعبرية للأسف أقول وأنا ليس لدي بكل تواضع نص عبري بالخط الآرامي إلى الآن، ما قبل القرن العاشر الميلادي. وأقدم نسخة للتوراة كتبت عام /950/ ميلادي، ارجع لأي مقدمة في الكتاب المقدس تجد ذلك، ولكن هذا لا ينفي وجوده. لكن بماذا كُتب ؟ هم صادروا الحرف الكنعاني واعتبروه عبري قديم، ارجعٍ إلى كتاب " إسرائيل ولفنسون "، أيضاً صادروا الحرف النبطي واعتبروه عبري، وثائق قمران وتوجد مصادر كبيرة.

السؤال المطروح: سميناها اللهجة العربية الآرامية واللهجة العربية الأكادية، فهل يجوز لي أن أسميها اللهجة العربية العبرية ؟ نقول: أولاً سأجاوب جواب علمي ودبلوماسي، ما دامت التوراة مؤلفة من جزئين كنعاني وآرامي، وما دمت أبحث في الأصل فلا داعي

للفرع، إذا أحبوا أن يقولوا عن العبرية بأنها عربية فنحن ليس لدينا مانع (وهذا يخص التوارة فقط وليس لغة الإذاعات والصحف)، ولا أنسى بأن بني قريظة وبني قينقاع، هم عرب، لكن ديانتهم يهودية. صادروا وأرادوا أن يجعلوا من الدين قومية، هذا شأنهم، يقولون المسيح يهودي لكن كيف ؟ هل هو يهودي بالدم، اليهودية دين أم عرق ؟ هذا سؤال مطروح. فاليهودية دين، والمسيح ولد مسيحياً. أما أن نقول يهودي، فاليهودية ليست عرق ودم ونسب، لكنها دين وفكر والمسيح ولد مسيحياً ديناً وفكراً ولم يكن يهودياً من الناحية الفكرية. واليهودية ليست نسب ودم.

مثلاً اليهود في السودان وفي أثيوبيا هم سمر البشرة، يهود الخزر والأشكيناز بيض، لعبتهم الآن أنهم يريدون أن يجعلوا من الدين قومية، هذا كلام غير مقبول أرجو أن أكون وفيت السؤال حقه.

✦ بناء على ذلك نجد في الدراسات أو بالأدبيات التاريخية التي تحكي عن اليهود أو عن بني إسرائيل، نجد أن أول ذكر لإسرائيل ورد في نقش الفرعون / مرنبتاح /، وفي لقاءاتنا تحدثتم عن وجود مغالطة حول ورود ذكر لإسرائيل في هذا النقش، هل يمكن أن توضحوا لنا ذلك ؟

نعم، قالوا بأن ذكر أورشليم ورد في نصوص [اللعن المصرية] في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، كما قالوا أن ذكر إسرائيل ورد في نقش [مرن بتاح] كما يلفظوه باللفظ المصري، على كل لا نعرف اللفظ السليم لأن الأحرف الصوتية لم تكتب.

عدنا إلى نقش عين سلوان، عدنا إلى سبعة نقوش تقريباً، وكلها نقضناها.

سأقف عند نقش [مرنبتاح]، حيث ورد فيه أن فرعوناً يسمى [مر، / النون للإضافة /، بتاح أو بطاح]، لك الحق أن تقرأها كما تريد، لدينا نقش يعود لزمن هذا الفرعون وهو محفوظ بالمتحف المصري في القاهرة، طوله بحدود المترين وعرضه بحدود المتر وعشرين، في أسفله، موجود كلمة [اسرائيل]، هكذا قالوا!!..وحين تزور المتحف المصري الآن، تجد عند الكلمة المفترض أنها [إسرائيل]، ومن كثرة اللمس أصبحت براقة خلاف ألوان النقش تبركاً !! وكعادتي أردت أن أرجع إلى قراءة هذا النقش وفعلت، وأعدت قراءته وتكونت لدي ملاحظات أولها أنه في بداية النقش جاء: [لقد سيطر (مرن بتاح) على الأقواس التسعة التالية]، كلمة تسعة أقواس، و(التاسوع) هو تعبير مصري قديم يستدل به إما على مناطق أو شعب، إذا كان للشعب فله مخصصه في الآخر حيث يضع له شكل يوضح أنه اسم شعب، وإذا كانت منطقة جغرافية يضع شكل جغرافي في آخره،

عددت هذه الأسماء التسعة فوجدت: كنعان، تحنو، الآن لم أعد أذكر الباقي، يقولون [إسرائيل] وجدتها [يازيريار]، عددتهم فوجدتهم ثمانية وليس تسعة، إذا فصلنا هذه الكلمة إلى كلمتين [يازير] هي [يازور] في فلسطين، و[يار = يارين أو يارون] في جنوب لبنان. وبعض المستشرقين يقولون سهل [إسرائيل]، ليس شعباً، أي في النقش / سهل يازيريارون / إن صح التعبير.

ولكن إذا كنت غريباً فكن أديباً، فأخذت هذه الملاحظة وذهبت إلى مصر، إلى علماءها، " د. عبد الحليم نور الدين "، " د. علي رضوان "، وبعض المختصين في الكتابات المصرية وليس اللغات، قلت لهم وجدت في النقش تسعة مناطق وعندما عددتهم وجدتهم ثمانية، قال أحدهم: لا يمكن هذا، هذه الموضة تسمى موضة التاسوع، أي أن كلمة تاسوع موضة عندهم، فعندما يأتي إلى تاسوع يجب أن يذكر تسعة أو ما يزيد عن التسعة ولا يجوز أن يكون ناقصاً عن التسعة.

الآن، وجدنا اسم [يازور] وارد في نقوش مصرية أخرى، مرة وجدناها [يازور]، ومرة وجدناها [هازور]، والمنطقتين قريبتين من بعضهما البعض [(يازور) و(يارين)] من الناحية الجغرافية، [يازور] بفلسطين الآن في جنوب شرق عكا، شمال حيفا، هذه

المسألة لا تتجاوز حدود الـ 100كم في أقصى حد، حتى الآن الموضوع لغوي بحت.
صدر كتاب عن دار قدمس باسم القدس، لمارغريت شتاينر إحدى مساعدي الباحثين وهي باحثة أثرية عملت في القدس تقول ما يلي: لا وجود للقدس قبل القرن السابع قبل الميلاد.
إذاً كيف قالوا أن أورشليم مذكورة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ؟
عدنا لكلمة أورشليم وجدناها [أ شام] مثل [أ جاريت] أي أن هذه الـ / أ / سابقة، وشام، أي لا توجد شليم، لا توجد لام ولا راء، أي [أ شام]، أي لا وجود لها قبل القرن السابع قبل الميلاد، فهذا دليل آخر.
شيء آخر يجب أن أؤكد عليه وهو أن أقدم اسم للقدس أو أورشليم هو القدس وليس أورشليم، دليلنا على ذلك كتابات هيرودوت يقول: [وفي فلسطين مدينة كبيرة تسمي قديتس]، أنا ذكرتها بكتابي، ووضعت صورة عنها باليونانية وبالإنكليزية وبالعربية، ثم هل أورشليم هي القدس، بقي الشعب اليهودي غريباً عن المنطقة وعن القدس من عام /135/ ميلادي إلى فتح القدس سنة /1184/ ميلادي، من قبل صلاح الدين كحد أدنى، هذا شيء ثابت، كان ممنوع على اليهود أن يدخلوا المنطقة، ولا سيما العهدة العمرية، حيث ورد فيها ألا يدخلها اليهود مع بطريرك القدس عندما دخل عمر بن الخطاب.

إذاً الغياب عن الساحة الجغرافية لا بد أن يثير التساؤل ؟ نأتي إلى " يوسيفيوس " الكاتب اليهودي بالقرن الأول الميلادي، عد إلى كتابه فيه شيء مثير، يعيد مرتين بما معناه: [وكنت أرى أورشليم من القدس] !!.
إذاً فأورشليم غير القدس، وكثير من الكتّاب يقولون ذلك، الآن ليبحثوا تحت المسجد الأقصى، كما يشاؤوا، فهم إلى الآن لم يجدوا إلا آثاراً إسلامية وآثاراً رومانية، حتى جبل الهيكل، من الذي عيّن جبل الهيكل في مكان المسجد الأقصى ؟، لقد دخلوا فينا كالسوس فالذي عيّن هذا المكان هو " إسحق نيوتن "، صاحب نظرية الجاذبية عام /1725/ ميلادي، وليس هناك دليل سابق لهذا التاريخ.

كثير من إخواني المسيحيين حزينين، وخاصة أتباع المدرسة الأرثوذكسية لأن هذه المدرسة كانت تطبع الإنجيل لوحده، الآن وللأسف يطبع الإنجيل والتوراة معاً، وللأسف في آخر كل كتاب مقدس نجد تحديد أن مكان الهيكل هو مكان المسجد الأقصى زوراً وبهتاناً معتمدين على إسحق نيوتن.

وأثرياً أود أن أشير إلى ناحية أثرية هامة جداً، وهي لجهة البناء في المسجد الأقصى، حيث نجد أن اتجاه الحائط باتجاه القبلة، فهذا دليل أنه إسلامي، أي أنه بني بعد الإسلام هذا كلام علمي بعيد عن أي هوى.

الحائط المسمى القبلي أو الجنوبي وهو باتجاه القبلة.

✦ ثمة دراسات عديدة تشير إلى وجود حرف الضاد في الكتابات المشرقية القديمة.. وهناك دراسة للدكتور حميدو حمادة حول ورود حرف الضاد في كتابات إبلا.. من خلال أبحاثكم هل توصلتم إلى شيء جديد يختص بهذا الأمر ؟

كما قلنا أن الكتابة منذ فجر التاريخ وحتى الآن هي عاجزة عن تلبية متطلبات الصوت، الأساس في اللفظ، ثم السماع في الأذن، ومن ثم الإعادة في اللسان، وأما الكتابة فهي واهية تأتي للتذكرة فقط، هذا أولاً.

ثانياً: أود أن أقول أن العربية الفصحى أو خط الجزم الذي كتب به القرآن الكريم، هل كان يُفرق ما بين الصاد والضاد كتابة ؟ كلا، لكن نعرف أن هذا صاد وهذا ضاد حسب اللفظ، وحرف الضاد أخذته كافة العربيات سابقاً لم يُمثل في حرف لوحده، فهل كان موجود أم غير موجود ؟

أيضاً، أشير إلى ناحية أخرى وهي أنه يجب أن نفرق ما بين الصوت وما بين الكتابة، فهناك حرف لا تسميه حرفاً من ناحية المصطلح، فمثلاً، هل صوت الضاد موجود في الإنكليزية ؟ نقول: هو كحرف غير موجود، لكن الصوت موجود. أيضاً الظاء موجود كلفظ وليس موجود كحرف

مثلاً، [What تلفظ واط]، إذاً الصوت شيء والكتابة شيء آخر، وكلمة [Double نلفظها ضبل]، إذن الصوت موجود ولم يكن ممثلاً بحرف.

الآن دعنا نأتي إلى صوت الضاد في كتاباتنا العربية القديمة، من سياق الكلام كلمة [حامض]، لا يقولون [حامد] لأن لها معنى آخر لكن من سياق الجملة أخذوها بمعنى حامض، أيضاً [صرّة] و[ضرّة]: الضرة هي الزوجة الثانية وليست صرّة.

أتى عالم منذ عشر سنوات إلى المركز الثقافي البريطاني لكن العالم كأن أمريكيا، وأجرى محاضرة مع أشخاص آخرين، وقف هو مباشرة وقال بأن لغة أجاريت هي أقرب اللهجات للعربية دون سواها، سألته: هل صوت الضاد موجود لديهم، قال: نعم.

✦ معنى ذلك أن قراءة الكتابات المسمارية في أجاريت أو إبلا وغيرهما، إذا قرأها المستشرقون أو الباحثون الغربيون في كتاباتنا ولغاتنا القديمة، فهناك حاجزين، الأول في اللفظ والثاني في محاولة ترجمة النص ذاته، مما سيخلق حاجة ماسة كي نقرأها نحن تجنباً للبلبلة والفوضى المعرفية ؟

ذكرتني بالدكتور محمد محفل عندما كان في باريس كان أستاذه البروفسور " دوبون سومير "، وهو أكبر عالم بالآراميات، فحين كان يصل لقراءة نص ما، يقول لهم اسمعوا

اللفظ من محمد محفل، هذا هو اللفظ السليم، أي أجنبي إن طلبت منه قراءة [حامض] سيقول [حامد] أو [هامد] حيث سيتغير المعنى كلياً.

سأعطيك مثلاً عن قراءة نقش قديم بلساننا.. هناك نقش سردينيا الذي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد أي حوالي تأسيس روما /753/ قبل الميلاد، على ما يبدو أصاب / نورا / عاصمة سردينيا غزو أو جائحة ما، فترسل مدينة صور رسالة إلى سردينيا، حيث يقول النقش بالكنعانية: [بيت راس (هذه الكلمة تعني العاصمة، وقد انتقلت إلى اليونانية وأصبحت كابيتولاس بنفس المعنى أي العاصمة) سنجير رأسها بسردينيا، سلامها سلام صور، صور أم مملكة نورا، ننسب (من النسب)، ونجير (من الإجارة)، لفمي (لفمي تعبير بما معناه كلام رجال أو كلام موثوق فيه)]. هذه لغة واضحة. كيف انتشرت الفصحى في شمال أفريقيا والعراق ولم تنتشر في إيران، لأنها لم تكن غريبة عن أخواتها، مثلاً زيد بن ثابت، تعلم العبرية في 15 يوماً، والسريانية في 17 يوماً، ورد هذا في كتاب د. بديع بشور، فهو تعلم شكل الكتابة ليس إلا.

✦ دكتور قبيسي، اسمح لي بهذا السؤال القاسي إلى حدّ ما.. بعض الباحثين ينظر إلى منهجكم في دراسة الكتابات واللغات

القديمة، على أنه مغامرة ربما لا تستند إلى ركائز علمية متينة، ويضربون مثلاً أنك فسّرت كلمة الـ (هكسوس) بـ [هيك سوس]، و[هيك] هي كلمة عامية !. كيف تنظر إلى ناقديك، وهل نحن أمام غيرة علمية، أم أننا استمرأنا ما تعلمناه على يد الاستشراق على قاعدة / وكفى المؤمنين شر القتال /، أم فعلاً أنكم تخوضّون مغامرة علمية إن لم تلصق فهي ستعلّم على حائط المعرفة ؟.

أولاً: لا أعلم بأن أحداً يخالفني، وإن كان هناك من يخالفني فلم أسمع ذلك جهراً من أحد.

ثانياً: إن كنا نتكلم عن المنهجية، فلا أظن أكثر منهجية من أنني عندما أستلم النقش وبالأمانة العملية التي أتبعها دائماً، أضع (سواء بالكتابات الكنعانية أو بالآرامية)، أضع الحرف الآرامي أولاً، وما يناسبه كشكل حرف من حروف الجزم ثانياً، فهذه أمانة منهجية وعلمية سلمية، ولا أؤلف من بين يدي أو من خلف ظهري.

لكن للأسف لم يواجهني أي إنسان، ربما هذا الموضوع جديد، الموضوع كما قلت لك بدأ منذ عام /1959/ م، وهذا الموضوع يشغلني منذ أن تعلمت العبرية في الكلية الحربية، وأنا أتبع المادة، لنأخذ كمثال مادةعلمية منهجية أخرى، اتبعنا منهجية تسمى المنهج التجريبي. في المنهج

التجريبي أجرّب أكثر من مرة، فإذا ثبتت على قاعدةٍ واحدة أعتبرها منهجاً، ودعني آخذ مثلاً في الطب والصيدلة، فعندما تكون حرارتي 40 درجة، وآخذ ورق الكينا، وتنخفض حرارتي، ثم يتكرر الأمر معي، فسأستدل على أن استخدام الكينا أدى إلى انخفاض حرارتي، حينها أتأكد أن ورق الكينا هو خافض حرارة.

نأتي على تجربتي في أسماء المدن والقرى القديمة: حرستا، حمص، حلب، دمشق، بيروت..إلخ. فمن خلال الملاحظة وهذا منهج علمي ثابت، أجد الأسماء لها ثلاث حالات لا رابع لها، 80% يجب أن تأخذ معنى طبيعياً، 10% معنى عسكرياً، و10% معنى دينياً.

لدينا مثلاً منطقة [عاريّا] في لبنان، ماذا تجد في [عاريّا]، تجد منطقة تعرية كاملة لا يوجد فيها حتى الجدران الاستنادية فيها مهدمة جراء عملية التعرية، فالاسم يطابق هذه المنطقة إذاً الاسم طبيعي.

أيضاً لدينا [جسرين] وهي جمع آرامي، تعني [جسور] نجد فيها: جسر نهر بردى، جسر نهر جعيطا، جسر نهر الملك، جسر نهر الداعياني، جسر نهر الزابون، فهذه حقيقة واقعة.

✦ وفي تفسيرك لكلمة الهكسوس .. ؟

كلمة هكسوس ليست كلمة مصرية، لا أجدها في الكتابات الهيروغليفية، بل هي

كلمة يونانية مؤلفة من مقطعين [هيك] و[سوس].

✦ إذن من أين وردت كلمة الهكسوس ؟

اخترعها " مانيتون " الكاتب المصري ذو الثقافة اليونانية، والذي كتب باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد، لكن في الكتابات المصرية لم نجد كلمة هكسوس، ومع ذلك هم سموهم الرعاة، من أين أتوا بالرعاة، من كلمة سوس فهذه الكلمة اليونانية. فالفكر الاستشراقي فسرها من العربيات.

✦ إلى أين تريد أن تصل في منهجك ؟

أريد أن أصل إلى الحقيقة العلمية، وهي أن هذه الأرض عربية من فجر التاريخ، إذا شئت أن تعطيها أي مصطلح فأنا لست ضد ذلك، لكنني ضد أن تعطيها مصطلح السامية لأن الموضوع الآن أخذ توجه آخر.

✦ النقش الذي يذكر العرب في الألف الثالث قبل الميلاد هل هو نقش موثق ومعترف فيه ؟

الآن هذه هي مشكلتنا كما يجري في سرقة متحف بغداد كثيرمن النقوش ألغيت ويقول البعض غير موجودة، من له مصلحة في إيجاد نقش [نازان ابن شاروكين (صرغون) والد نارم سين]، أن يقول [عرب ملوكا وعرب مكان]، هل هم القوميون السوريون ؟، هل قبل 100 عام كانوا يعرفون شيئا عن

هذه الكتابات ؟، وهل العرب يعرفون ؟ هذا من أقوال ودراسات الغرب، هناك تقاطع بين هذه الكتابات نوقشت من قبل علماء آخرين لم ينكروها، الآن كله سرق، مصيبتنا في بغداد أن المشكلة إيديولوجية في العراق وليست اقتصادية، هم سرقوا نقوش من أماكنها وهم يعرفون ما تحويه، ونحن لا نعلم، لذلك نحن نسعى الآن لأي شخص يجد نقش لكي نصوره ونصنفه فوراً. مصر لا خوف عليها، أما نحن في العراق وسوريا فلا يزال الأمر غير سوي من ناحية التوثيق. على كل: من أتى على ذكر هذا النقش [عرب ملوكا وعرب مكان] هو اليهودي " إسرائيل ولفنسون "، وقد حقق ودقق وراجع كتابه العالم " أنو ليتمان ". فقد نقد الكثير في كتاب " ولفنسون "، (اللغات السامية) ولم يتطرق إلى هذا النقش بالنقد. فهذا دليل على صحة نقش [عرب ملوكا وعرب مكان].

<u>أعود للمنهج ثانية لأهمية السؤال:</u>

الواقع لدينا أربعة مناهج علمية متكاملة يتمم بعضها بعضاً، المنهج الأول هو فلسفة التاريخ والمنهج الثاني هو المنهج التجريبي والثالث هو اللغة والجغرافيا والرابع هو اتساق النص في قراءة النقوش والكتابات القديمة.

ونعود للتذكير أن فلسفة التاريخ مادة صعبة لكن إذا ما التزم الإنسان بها يجد نفسه بأنه في مجال علمي سليم لا يستطيع أن يحيد أبداً. وفلسفة التاريخ تتألف من

ثلاثة أركان: علم المنطق – الخيال العلمي – المادة التاريخية.

لنقف جيداً أمام المنطق، فنبدأ بالأسلوب الديكارتي 1+1 = 2، هذا أولاً، ثانياً: التجريد: أن أجرّد نفسي من العاطفة تماماً وأضرب على ذلك مثلاً عام /1956/ ذهبت إلى المرحوم الأستاذ أكرم خلقي والذي كان ممثلاً في الإذاعة السورية مع أبو رشدي وكان رساماً في منطقة عرنوس وكان عمري ستة عشر عاماً وطلبت منه أن أتعلم الرسم فرحّب بي رحمه الله. قطعاً، رفض أن يأخذ أي قرش أتعاباً لذلك. علمني طريقتين في تكبير الصور:

- الطريقة الأولى طريقة المربعات: بأن نقسّم الصور إلى مربعات (1/2 سم مثلا) ثم نكبّر هذه المربعات إلى المجال الذي نريده (1 سم أو 2 سم مثلا).
- الطريقة الثانية : أن نأخذ خطوطاً مستقيمة متفاوتة الأبعاد (فوق الحاجب – تحت الحاجب) عرضانياً، (أول الحاجب– آخر الحاجب) طولانياً.

اشتريت مسطرة نصف ميليمترية وبدأت أرسم، وعندما وصلت على العين لم أنجح. تركني أول يوم وثاني يوم وثالث يوم وسألني: لم تنجح في رسم العين أليس كذلك. قلت

نعم. قال لي رحمه الله: اقلب الصورة. قلبت الصورة، قال: الآن نبدأ الرسم.

بدأت الرسم والصورة مقلوبة أمامي، وعندما انتهيت من الصورة فإذا العين سليمة ومضبوطة منه في المئة. فسألته بعد ذلك: لماذا لم أستطع رسمها في وضعها العادي ؟ قال لي: كانت عاطفتك في الصورة، فكنت ترسم (متأثراً بعاطفتك) من تحب كعين أمك أو أي إنسان آخر.

إذاً، التجريد هام جداً، أن أزيل العاطفة وهذا يتطابق مع مبدأ الإنكار والإثبات. بعد أن نصل إلى الحقيقة يمكن أن نوظف ما وصلنا إليه ونضع أنفسنا مكان من سينتقدنا. وموضوع الإنكار والإثبات كما أقول [لا إله إلا الله] فـ [لا إله] هو إنكار [إلا الله] هو أثبات.

بعد أن أجد هذا التجريد المنطقي السليم أنتقل إلى الخيال العلمي. الخيال العلمي يجب أن يعتمد على أسين هامين:

1- معرفة السلم التاريخي منذ الحضارة غير المكتوبة والواضحة إلى العصر التاريخي (3200 ق.م في منطقتنا و1200 ق.م في أوروبا).

2- أن أعلم الساحة الجغرافية بدقة، كمعرفة مكان المدن القديمة، طروادة. أين تقع قرطاجة،..إلخ.

هذا الخيال العلمي ضربت عليه مثلاً سابقاً موضوع سباق الماراتون. الماراتون في شمال

أثينا، وفيدي بيدس ذهب من أثينا جنوب غرب إسبارطة. شرحت ذلك فيما سبق. هذا خيال علمي أوظفه.

إذاً هذه فلسفة التاريخ تعتمد على المنطق ثم الخيال العلمي ثم المادة التاريخية التي بين يدي. هذه المادة أيضاً تخضع لعدة تجارب، أولاً معرفة الحرف وأشكاله، ومكان وجود النقش إذا كنا نتكلم عن الكتابات. إذاً هذا هو المنهج الأول: فلسفة التاريخ، وأما المنهج العلمي الثاني فهو المنهج التجريبي الذي أتى عليه ابن حزم الأندلسي وأتى عليه ابن البيطار العشّاب المالقي في الأندلس.

يقول ابن حزم في المنهج التجريبي:

[والتجارب لا تكون إلا بتكرار الحال مراراً كثيرة جداً على صفة واحدة لا تستحيل أبداً، تكراراً موثوقاً بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به].

ويقول ابن البيطار العشّاب في المنهج التجريبي أيضاً (لقد أخذ جاليلو المنهج التجريبي وادّعاه لنفسه ولم يشر لصاحبيه):

[فما صحّ عندي في المشاهدة والنظر، وثبت لي بالخبرة لا الخبر، اتخذته كنزاً سرياً، وأعددت نفسي عن الاستعانة بغير فيه سوى الله غنياً (أي بهذه الحالة لن يستعين بأحد سوى الله)، وما كان مخالفاً في القوى والبيئيّة والمشاهدة الحسية، في المنفعة والماهية، للصواب والتحقيق، وأن نقاله أو قائله عدّل فيه عن سواء الطريق،

نبذته ظهريّاً، وهجرته ملياً، وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئاً فرياً].

وقد ذكرنا مثلاً على هذا المنهج (ورق الكينا الخافض للحرارة).

إذاً هذا هو المنهج التجريبي. ومع ذلك فعند تكرار الحال في منهجنا تقول: عندما أجد مظهر واحد فأقول: إني أظنّ.

وعندما أجد دليل آخر على هذا المظهر الأول فأقول: إني أرجّح.

وعندما أجد ثلاثة أدلة فأقول: إن أقرّر وبكل جرأة.

وهذا ما يرجّحه المنهج الرياضي أو العلمي وهو مبدأ الاحتمالات، وكما يقال: المثال يختزل المقال: لدي لون واحد في التلفزيون يعطيني لونين (أبيض وأسود)، ولونين يعطوني (16 لون)، وثلاثة ألوان (أزرق– أحمر – أخضر) يعطوني (256) لون.

إذاً، موضوع مبدأ الاحتمالات اتضح، ومع ذلك، وإمعاناً في التيقن لا نأت على قرار من هذا القبيل إلا إذا تكرر الحال أكثر من ثلاث مرات. وهذا مبدأ أخذناه في تفسير أسماء المدن والقرى كأسماء: دمشق وجسرين وكفرون ودمر، بعيداً عن المدرسة التوراتية والإغريقية في تفسير الأسماء. كأن اسميّ دمشق على اسم حفيد نوح وهو دمشق بن سام بن نوح.. إلخ. هذه التفسيرات التوراتية خارجة عن المنطق.

إذاً، هـذا هـو المـنهج الثـاني (المـنهج التجريبي) والذي حددنا فيه أن أسماء المدن والقرى والأماكن في الوطن العربي تحمل ثلاث مـداليل لا رابـع لهـا فنجـد أن 80% مـن الأسماء تقريبا تحمل معنى طبيعيا (مناخي – طبـوغرافي) كاسم [جسرين]، و 10% من الأسماء تقريباً تحمل معنى دينياً كاسم [بابل]، و 10% من الأمساء تقريبـاً تحمل معنى عسكريا كاسم [دمّر].

أمـا المـنهج الثالـث فهـو (وحـدة اللغـة والجغرافيا)، حيث اللغة هي كشاف ومسبار الشعوب.

أنـا الآن أسأل سؤال بسيط: كيف حدّد لنـا المستشـرقون الشـعوب الآريـة، والشـعوب الحامية، والشعوب السامية، حسب مبدئهم ؟ قطعـاً مـن وراء اللغـة، وقـد اعتبـروا السنسكريتية هـي هنـدو أوروبيـة، فإذا أخذنا موضـوع الأنتربولوجيـا (الإناسـة) فشـكل الإنسـان الأوروبـي علميـاً لا يتـوازن مـع الأنتربولوجيا في الهند. إذاً، اللغة هي مسبار وكشاف الشعوب.

إلى جانب ذلك أخذنا الجغرافيا. أنا لا أقول إن وجـدت كلمـة فـي اليابـان لهـا معنـى فـي العربيّـات أن العربـي هـو يابـاني أو العكـس بالعكس. بل يجب علينا أخذ الوحدة الجغرافية مع وحدة اللغة. نعم هذا هو المنهج الثالث: وحدة اللغة والجغرافيا.

إذاً، هذه المناهج الثلاثة: فلسفة التاريخ – المنهج التجريبي – وحدة اللغة والجغرافيا، محصلة حاصل. نعم لقد اعتمدنا على النقل والعقل، إنما البعض اعتمد – وللأسف أقول – اعتمد على النقل دون إشغال العقل، وأحياناً نجده نقلاً مشوهاً.

قالوا لنا هيك سوس = حقاً خاسوت، فقبلناها دون نقاش لأن كل (فرنجي برنجي)، وما قاله المستشرقون فهو الصحيح ولو كان بدون دليل. وهناك عدة أمثلة لدينا، والمستشرق " وايت كومب" هو باحث اجتماعي يعمل في الآثار في [قن نسرين] فجعلوا [قن نسرين] هي خلاف [خالكيس]، وأن [قن نسرين] الأثرية هي [خالكيس] وليست [قن نسرين]، علماً بأن اسم [خالكيس] هو تبديل لأسماء المدن والقرى لأغرقة المنطقة العربية عندما أتوا في مرحلة من المراحل (وهذا موجود في كتابنا في تغيير أسماء المدن والقرى لقلب الهوية وفرض الأغرقة عام /167/ ق.م على يد " أنطيوخس الرابع " حيث فرض اللغة الإغريقية والآلهة الإغريقية وعمل بتبديل أسماء المدن والقرى لتأخذ الهوية الإغريقية، لكن العرب العدنانيون عندما أعادوا هذه البلاد إلى أبناء عمومتهم. فابن مدينة حلب أرجع الاسم [حلب بدلاً من بيروا]، وابن مدينة حماة أرجع الاسم [حماة بدلاً من أبيفانيا]، وابن دمشق أرجع الاسم [دمشق

بـدلاً مـن داماسـكوس]، وابـن بيـروت أرجـع الاسم [بيروت بدلاً من لاوديكيا]..إلخ. وبقيت بعض الأسماء كاسم مدينـة [اللاذقيـة (من لاوديكيا أيضاً)] حيث اسمها القديم [راميتا]، بمعنـى آخر، أقول: لماذا نستهين بتراثنا. أودّ فقط التذكير بأن كافة المستشرقين أخذوا قواميسنا وبدأوا بقراءة هذه الكلمات وتفسيرها التـي وجدت في النقوش واعتمدوا علـى ذلك ولـم يشـيروا إليهـا. أود فقـط أن أشـير إلـى شخص اسمه [إدوارد لين] إنكليزي أتـى إلـى القـاهرة عـام /1830/م فـي بدايـة الدراسـات اللغويـة للنقـوش (أكانـت أكاديـة بفرعيهـا الآشوري والبابلي أو آراميـة، أو كنعانيـة، أو المصريات)، أتى [إدوارد لين] إلى القاهرة واعتنـق الإسلام ودخل الأزهر، ولبس الجبّة والعمامـة، وقام خلال دراسته وتعلمه العربية على ترجمة قاموس لسان العرب لابن منظور إلى الإنكليزية عن طريق (Adaptation) [ليس ترجمة حرفية مئة في المئة] فأخذوا منها ولم يشيروا إليها.

لماذا نحن مستهدفين في هذا التراث ؟

لدينا كم هائل. نقول: لدينا قواميسنا التـي بـين أيـدينا، لـدينا لهجاتنـا العاميـة، وهـذا لا يمنعنا أيضاً، وحرصاً على إعطاء كل ذي حق حقـه أن نرجـع حتـى إلـى القواميس اليونانيـة واللاتينيـة فـي بعـض الأحيـان، فمنهجيتنـا عنـدما نجـد كلمـة: إن فهمتهـا فـوراً لا داعـي لأن نرجع إلى القواميس حيث همّنا الأول أن

تتّسق بالجملة وأن تعطي جملة مفيدة في المعنى. وإن لم نجدها رجعنا إلى القاموس العبري والقاموس السرياني والقاموس اليوناني والقاموس المصري القديم والقواميس العدنانية كابن منظور، إلى آخره من هذه القواميس التي هي بين أيدينا، ولنبيّن بأن هناك لغة خاصة وهناك لغة عامة. فأنا لدي لغة خاصة وأنت لديك لغة خاصة، أما اللغة العامة فهي تلك اللغة التي تعرفها أنت والثاني والثالث وكافة سكان الوطن العربي بالإضافة إلى ما هو مطمور في الكتب (وبالمناسبة فإن كلمة " طومار " تعني كتاب)، وما دمت فتحت الجروح فلا بد أن أشير إلى موضوع هام آخر. الواقع فكرة اللهجات العربيّات وخلافه ليست بدعة اتخذها بهجت قبيسي، فقد ذهب في هذا المجال المرحوم الدكتور " معروف الدواليبي " أستاذ القانون الروماني في جامعة دمشق وكان رئيس وزراء سابق وله كتاب [دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم الإنسانية]. كما ذهب إلى ذلك " انستانس الكرملي العراقي " وقال إنها من العربيات، وكذلك " عبد الحق فاضل " من المغرب.

أعود ثانية وقبل أن أنهي موضوع كلمة [هيك سوس] التي سألتني عنها سابقاً، أود أن أرجع إليها. للأسف أقول: لو أن المنتقد (كما تصفه) ذهب إلى أهم من تفسير كلمة [هيك سوس]، لو رجع إلى مقالتنا عن ماهية

الـ [هيك سوس]، من هم الـ [هيك سوس] وكشف الغطاء عنهم.
الـ [هيك سوس] عرب عموريون، لكن إذا ذهبت إلى أي كتابة عن الـ [هيك سوس] سنجد التالي عنهم: 1- بدو، 2- غزاة، 3- هندو أوربيين حكموا بين (1730-1575 ق.م). ولكن وبعد عدة أسطر، ولدى أكثر المؤرخين المستشرقين، وبعض المؤرخين العرب، نجد بأن الـ [هيك سوس] أدخلوا إلى مصر: 1- الحصان، 2- العربة، 3- صناعة الحديد، 4- طوروا صناعة البرونز، 5- طوروا الزراعة.
لقد بيّنا في محاضراتنا منذ أكثر من خمسة عشر عاماً أن هذه المقولات عن الـ [هيك سوس] تخلوا من الصحة العلمية والتاريخية، وما هي إلا شتيمة توراتية، وقد نقضنا كل ذلك:

1- كيف يكونوا بدواً وأدخلوا العربة والحصان والحديد وطوروا صناعة البرونز والزراعة.
2- كيف يكونوا غزاة والنقوش الكتابية المصرية تقول: [لقد دخلوا ولم يضربوا ضربة واحدة].
3- كيف يكونوا هندو أوربيين ولا سيما أنه قبل دخولهم مصر سنة /1730/ ق.م كان هناك سداً حضارياً عسكرياً عربياً عمورياً في الشمال:

أ.حيث دولة حمورابي العربي العموري بدأت سنة /1793/ ق.م من الكويت وحتى حلب.
ب.ودولة يمحاض العربية العمورية بدأت من سنة /1770/ ق.م وامتدت من حلب وحتى أجاريت على ساحل البحر.

بمعنى آخر كيف يكون الـ [هيك سوس] هندو أوربيين وفي الشمال سد عربي عموري واضح سبقهم بنصف قرن على الأقل.

إذاً، قبل الاهتمام بتفسير كلمة [هيك سوس] (ما لها وما عليها) يجب الإنتباه إلى ما هو أهم. أي نفي هذه الأقوال المغرضة التي أتى عليها المستشرقين لأغراض توراتية.

بعد هذا التقديم، سأرجع إلى كلمة [هيك سوس]:

1- كلمة [هيك سوس] ليست مصرية قديمة بل هي كلمة يونانية أتى عليها " مانتون " ولم نجد هذه الكلمة في النقوش المصرية، بل وجدنا كلمة [عمّو] لتعني [عموري]. وعندما يجد المستشرقين كلمة [عمّو] في الفترة الزمنية من القرن الثامن عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس عشر قبل الميلاد يقولون [هيك سوس]. ولا يشيرون إلى أساس الكلمة وهي [عمّو] أي [عمّوري] .

2- ذهب " مانتون " الذي أورد كلمة [هيك سوس] (HEK- SOS)، نعم هكذا وردت بمقطعين، ففسرها بـ [الملوك الرعاة].

3- ثم أتانا الفرنسي " دريوتون " ليقلب الكلمة حسب هواه ويقول: [هيك = حقا] و[سوس = خاسوت] أي أمراء الصحراء والجبال الصخرية.

هنا أتى دورنا فقلنا: لقد خسئ " دريوتون " في تفسيره حيث قلب كلمة [سوس] إلى [خاسوت]، وكلمة [هيك] إلى [حقًا] دون وجه حق لسببين:

أ- الكلمة يونانية يفسرها على الطريقة السامية حسب مصطلحه فجعل [حقا = حكّا = حاخام] أي حكيم أو حاكم (بفكره التوراتي)، وبالمناسبة (في منهجنا نكره ونبعد عن عمليات الإبدال في الأحرف).

ب- ثم بدّل كلمة [سوس] بكلمة أخرى هي [خاسوت] وفسرها بالجبال الشرقية أو الصحراء.

قلنا: [<u>وتماشياً مع الفكر الخاطئ بتفسير</u> الكلمات اليونانية إلى العربيّات (السامية)، ورغم هذا الخطأ، وتماشياً مع فكرهم الخاطئ]، قلنا:

1- كلمة [هيك] وردت في النقوش القديمة (التعرفة الجمركية التدمرية) لتعني [هكذا] كما في عاميتنا.

2- كلمة [سوس] تعني في الكنعانية والآرامية [الحصان]، ومنها كلمة [كفر سوسا] أي قرية الحصان، وهذا لا يختلف عليه مختصان, ومنها كلمة السايس .

أما كلمة [خاسوت] فـ [الواو والتاء (وت)] هي للإطلاق مثل: [لاهوت - ناسوت]، وهي تعني المناطق الخاسئة التي لا تحوي أنهاراً مثل نهر النيل مثلاً، فهي أراضي بعل تعتمد على الأمطار، فهي خاسئة لم تصبها الأمطار. والواقع أن تفسير " دريوتون " لكلمة [خاسوت] هي صحيحة حيث الصحراء والجبال الشرقية تعتمد على الأمطار. لكننا كيف نقبل هذا التحريف من [سوس] إلى [خاسوت].

والسؤال هو: أين حرف الخاء في [سوس] وأين حرف [التاء]، لكننا جماعة تعتمد على النقل ولا نشغل العقل.

هذه قصة الـ [هيك سوس] فقد اتبعنا منهجهم الخاطئ في تفسير الكلمة اليونانية إلى كلمة سامية، ونحن لسنا مع هذا التفسير لكن جرينا مجراهم لندحض كلماتهم.

أرجع لأقول: كل [فرنجي برنجي].

هذه منهجيتنا. هذه كلمة [هيك سوس] تاريخياً.

وكما قلنا: [لقد استُلب التاريخ القديم قبل أن تُستلب الأرض]، و[لقد كتب التاريخ القديم حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي

]. وإني يوماً بعد يوم، أزيد ثقة بأن هذه الأرض، لا أقول عربية، بل سموّها ساميّة، سمّوها [إكس]، كما تشاؤون، إنما هي لغة أمة واحدة بلهجاتها المتعددة وكتاباتها المختلفة، وهي بدهية يعترف بها القاصي والداني.

[إن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة]

ومع ذلك، ومن له ملاحظات أدعوه بكل صراحة وبكل علمية إلى مناظرة علمية إما أن تكون في أحد المدرجات سواء في الجامعة أو في أحد المراكز الثقافية، فإني جاهز لذلك.

ولا بد لي أن أشير بأن مصطلح اللهجات العربيّات أو اللهجات العروبية، قد اتُخذ بهذا المصطلح توصية من مجمع اللغة العربية في ليبيا وضمّت هذه اللجنة كافة علماء الوطن العربي من المصريات (سواء ديموطيقي أو هيراطيقي أو هيروغليفي)، إلى الكنعاني إلى السبئي إلى الأكادي. واتفقوا أن تكون لهجات وليست لغات، لأن كلمة لغة تحمل في طياتها معنى الانفصال، أما كلمة لهجة فلا تزال تضم معنى الوحدة بني اللهجات المختلفة. وكما نقول عندما نقول العربيات ليس نسبة إلى قريش أو العدنانية. نقول لدينا لغة عربية أم لا نعرفها توزعت إلى لهجات منها اللهجة العربية العدنانية، واللهجة العربية الآرامية، واللهجة العربية الكنعانية،.. إلخ.

لا أحد يعلم ما هي اللغة الأم، لكن أتى " فرديناند دوسوسير " وقال بأنه يستطيع معرفة أقدم لهجة، وليس اللغة الأم.

يقول " فرديناند دوسوسير ": [إن أقدم لهجة هي تلك اللهجة التي تحوي على قاسم مشترك أعظم من الكلمات والمفردات].

هذا رأي " فرديناند دوسوسير "، ونحن نضيف إلى هذا الكلام كلام علمي جديد نقول: [والتي حافظت على جذر الكلمةِ الثنائي والثلاثي، وإن كان رباعياً أو خماسياً فهو كلمة مركبة قد نستطيع حلها وقد لا نستطيع].

أعود إلى تعريفنا الجديد. لدينا لغة عربية أم لا نعرفها، أما العربية الفصحى فهي لهجة من هذه اللهجات ونستطيع معرفة أقدم لهجة حسب تعريف " فرديناند دوسوسير " والإضافة التي أضفناها بوجود الكمبيوتر حالياً، حيث نستطيع وبكل تجريد أن نعطي معلوماتنا للكمبيوتر ليعطينا النتيجة.

أود أن أشير إلى منهجية رابعة خاصة بقراءة النقوش، وهو اتساق المعنى، أي أن يعطيني جملة مفيدةٍ. حيث ٍعندما ٍنجد كلمة يجب أن تعطينا مثلاً متكاملاً متسقاً بالمعنى، وضربت على ذلك كما تذكر يا دكتور بشار المثل الأجاريتي الذي قرأووه وقرأناه:

[إم يصدق بيرشيني تم ! أني ويّاعقشيني]

أي إن كـان يصـدق بأنـه يرشـيني، فهـو صادق ولكن هناك شرط، أني وإياه [عشقيني] أي اجمعنـي بـه لإحراجـه، حيـث [عقـش بمعنى جمع].

كمـا أود أن أضـيف أيضـاً بـأن " جـاليلو " سـرق المـنهج التجريبـي وادعـاه لنفسـه ولـم يُشر إلى " ابن حزم الأندلسي " ولا " للعشاب البيطار ".

وأود أن أقـول أيضـاً بـأن نسبة الاحتمـالات التـي قلنـا بـأن لـون واحـد يعطينـا لـونين، واللـونين يعطينـا /16/ لونـاً، والثلاثـة ألـوان تعطينـا /256/ لـون، بـأن الموضـوع لـيس تربيعـي ولـيس تكعيبـي، إنمـا هي أكثر بكثير.

وأودّ أن أضـيف أيضـاً بـأن أسـماء المـدن والقـرى حسـب دراسـتنا وجـدنا بأنـه بحـدود 80% من الأسماء تحمل معنى طبيعي (إمـا منـاخي أو طبـوغرافي أو جيولـوجي أو أسماء الحيوانات)، وبأن 10% من الأسماء تحمل معاني دينية، وبأن 10% من الأسماء تحمل معنـى عسـكري. أمـا الأسـماء الشخصـية (الأنانيـة) كاسـم [الإسـكندرية] فهـو اسـم حديث عرف بعد دخول الإسكندر للمنطقة عام 333 ق.م.

آخـر مثـال أود أن أشـير لمـا قالـه " رينيـه بواريل " مؤلف كتاب (الاختراع) وقد ترجمه المرحوم الدكتور " عـادل العوا " بأن أشد أعداء المبدع والمخترع هم المدّعون

بأنهم أصحاب الاختصاص [قطعاً أصحاب الاختصاص (الفايشين) بمعنى الذين لا يبحثون بعمق]، ويضرب على ذلك مثلاً " إبراهام بيل " مخترع الهاتف (التلفون) عندما أتى وقال بأنه سيحول الموجات الصوتية إلى تيار كهربائي استهزأ منه البعض، فما كان منه بعد ستة أشهر إلا أن عاد بجهاز الهاتف وحوّل الموجات الصوتية إلى تيار كهربائي، وهنا بُهت الذي لا يعلم.

....

الدكتور عفيف بهنسي – سوريا

✦ درجت الأدبيات التاريخية على ذكر " الهجرات السامية " وكأنها حقيقة أكدتها المعطيات التاريخية. ما هو رأيكم بهذا الأمر؟ وهل هذه الهجرات موثقة أثرياً أو وثائقياً بما يجعلنا نأخذها كحقيقة علمية موضوعية ؟

ليس من شك أن الشعوب القديمة اختارت الأرض الصالحة لبناء حضارة تركت آثارها تحت الأرض أو فوقها، وكانت هوية هذه الشعوب محددة من خلال اللهجات التي انتقلت مع تلك الشعوب ولكنها حافظت دائماً على علاقتها مع أصولها في المناطق الجغرافية الأولى.

ويؤكد هذا الرأي الوشائج اللغوية بين اللهجة الأكادية واللهجة العمورية ثم اللهجة الكنعانية، مما يجعلنا نقبل فرضية انتقال جماعات أكادية إلى الغرب كما يدل لفظ عمورو على ذلك. وما زال لغزاً تحديد المناطق الأولى التي نزح عنها الأكاديون، بيد أن النظرية التي تقوم على افتراض هجرة الساميين (؟) من الجزيرة العربية لم تلق تأييداً من الأثريين الذين نقبوا في مشرق الجزيرة، كما لم تتأكد أي علاقة بين

الحضارات الرافدية، وثمة وجود حضاري سابق في أنحاء الجزيرة العربية.

أما الحديث عن الهجرات التي تمت بعد خراب سد مأرب، فإنه يبدو مقبولاً من خلال ما عثر عليه في شمال الجزيرة من نفائس مسندية، لكن تبدو علاقة الغساسنة والمناذرة بهذه الهجرات افتراضية بسبب اختلاف اللغات، على الرغم من المكتشفات التي تمت في منطقة الفاو في الجزيرة.

✦ إذا شئنا الانتقال إلى مجال العمارة السورية عبر التاريخ. برأيكم ما هي القفزات أو الطفرات الكبرى في العمارة وإنشاء المدن في سورية بخاصة والمشرق العربي بعامة، التي أدت إلى تطور البنية المعرفية للعمارة الإنسانية.

أبانت الحفريات الأثرية في سورية عن منشآت معمارية لعلها الأولى في التاريخ، فالبيوت المكتشفة في المريبط والشيخ حسن على الفرات، أو آثار أسوار أريحا في فلسطين، تبين انتقال الإنسان من الترحال إلى الاستقرار وتشكيل المدن، وبناء المنشآت وفق نظام معماري وحسب شروط اجتماعية وإسكانية ما زالت مقبولة حتى اليوم.

على أن المنشآت المكتشفة في توتول وتل حبوبة وإبلا وماري ثم في أوغاريت تدل على استمرار التمدين في نطاق عمراني منظم، وسكني آمن، محاط بأسوار تضم قصوراً

ومعابد بل ومعاهد للتعليم، وأماكن لصناعة الأواني الفخارية، ومكتبات للوثائق.

✦ في مجال العمارة الإسلامية.. برأيكم ماذا قدمت العمارة السوريةٍ لها..إن كان في انشاء وتصميم المساجد أو القصور أو ألبيوت السكنية كما وفي إنشاء المدن. هل يمكنكم تحديد معالم التأثر والتأثير في هذا المجال.؟

انتشر الإسلام في بلاد الشام وشكل حضارة اعتمدت على حضارة المدن القديمة مثل دمشق وحلب، ولم تلبث أن تكونت مدن جديدة مثل الرقة وقصر – مدينة عنجر وقصر – مدينة الحير الشرقي. وأنشئت في هذه المدن وتلك منشآت ضخمة كان أولها مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس، ومسجدا دمشق وحلب الأمويان، كما أنشئت القصور البوادي، مثل قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي وقصر المشتى، وغيرها من القصور ذات النظام المربع الذي أثر في عمارة الرباطات.

وكان بناء المئذنةٍ المربعة في المسجد الأموي بدمشق أساساً في بناء المآذن في الغرب الإسلامي، نراها واضحة في مآذن حسان في الرباط والكتبية في مراكش، وفي مآذن الأندلس كمئذنة جامع قرطبة، وجامع إشبيلية، مؤرخو العمارة الأواصر المعمارية بين مسجد دمشق ومسجد عبد الرحمن

الداخل في قرطبة، عدا أواصر عمارة الرصافة في الشام وفي قرطبة.

توحدت العمارة الشامية والمصرية في عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك، ولكن تأثير العمارة العثمانية التي وضع مقوماتها المعمار سنان، بدت واضحة منذ بداية الحكم العثماني في بلاد الشام، نراها في الخسروية بحلب، وفي التكية السليمانية في دمشق.

✦ بين حضارة بلاد الشام وحضارة بلاد الرافدين.. هل نحن أمام وحدة حضارية تؤكدها المعطيات الأثرية والتاريخية.. أم أننا أمام معالم افتراق واختلاف تبعاً لعوامل البيئة والديمغرافيا ؟

لا شك أن ثمة تقارب بين الحضارة الرافدية في عبيد والوركاء وبين الحضارة السورية في تل حلف وتل براك وتل قناص وحبوبة كبير، ولكن ثمة اختلاف بين حضارة نينوى وخورسباد وبين حضارة ماري.

ويعود هذا الاختلاف إلى توفر الحجر في الأولى والاكتفاء بالطين في الثانية، وإلى اختلاف في تكوين المدن المرتفعة في العراق بسبب فيضان دجلة، مع المدن المنبسطة في بلاد الشام، ولقد أوضحت دراسات مورتغارت وبارو نقاط الاتفاق والاختلاف بين منشآت الحضارة الرافدية والسورية.

✦ هل ثمة رابط مستمر بين العمارة السورية القديمة والعمارة السورية

الحديثة..وهل استمدت العمارة الحديثة القواعد المعرفية القديمة؟ أم نحن أمام تبدلات ومحو للذاكرة العمرانية والمعمارية لصالح الحداثة؟

انفكت العمارة السورية الحديثة عن الارتباط بالعمارة السورية التقليدية التي ما زالت شاهدة ضمن أسوار المدينة القديمة في دمشق وحلب، ومنذ بداية العهد العثماني ابتدأت بالظهور عمارة المساجد العثمانية والبيوت الضخمة، وامتدت دمشق إلى أحياء خارج أسوارها تحوي نظاما معماريا جديدا، لم يلبث أن تبنى النظام المتوسطي والنظام الكولونيالي، وصولا إلى نظام العمارة الحديثة التي انتشرت في الأحياء الجديدة التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تناقضت كليا مع نظام العمارة التقليدية، فأصبحت تقوم على مبدأ " البرانية " بمعنى الاهتمام بواجهات خارجية حافلة بالنوافذ والشرفات في طوابق متعددة، وتنتظم هذه المنشآت العامة والخاصة على طرفي الشوارع التي استولت عليها الحافلات. على عكس عمران المدينة القديمة الذي اعتمد نسيجا ضاما، ومبان تعتمد على " الجوانية " التي تحقق الخصوصية والأمن، والسلامة من الضجيج والتلوث، والتقلب الحراري.

ولقد سبب هذا التحول العمراني والمعماري تحولا سريعا في البنية الاجتماعية وفي

العادات. وسيطر على المدينة طابع العولمة المعمارية التي وفدت مع الثقافة الغربية التي ما زالت محور الدراسات الجامعية، التي لم تعر انتباهاً إلى ضرورة تحويل العمارة الحديثة عن هجانتها وغرابتها وأضرارها، إلى عمارة أقرب إلى الأصالة، وإلى المقاييس الإنسانية، والشروط الصحية والأمنية والاجتماعية.

✦ برأيكم ما هي خصائص الحضارة السورية عبر مسيرتها التاريخية في مجالاتها الروحية والمادية..وكيف يمكن التركيز على هذه الخصائص لجعلها حية في زمننا الحاضر ؟

تمتاز الحضارة السورية بالأقدمية والتنوع، وتعود هذه الحضارة إلى العصر الحجري الحديث في منطقة المريبط، حيث عثر على أقدم بناء سكني مدعم بالخشب، ومزينة جدرانه بزخارف هندسية ملونة، وتعد هذه المساكن الأقدم في تاريخ الحضارات. وعندما اكتشفت آثار تل حلف وتوتول وتل براك، تبين أنها ذات خصائص مختلفة عن حضارة ماري أو حضارة إيبلا وقطنه (المشرفة) وأوغاريت. ويرجع هذا التنوع إلى الاستقلالية التي ميزتها عن حضارات الرافدين، الآشورية والبابلية، أو عن الحضارة المصرية القديمة، على الرغم من العلاقات السياسية والتجارية التي تربط سورية مع هذه الحضارات.

وتمتاز الحضارة السورية بخصائصها الدينية، إذ كانت الأرض المقدسة التي جرت عليها أحداث العهد القديم على افتراضيتها، وكانت مهد الديانة المسيحية التي دان بها شاؤول وأصبح بعده القديس بولص الذي نشر المسيحية في العالم.

ثم كانت حاضرة المسلمين الأوائل، وكانت دمشق عاصمة أكبر إمبراطورية في زمانها في العصر الأموي.

ومن المؤسف أن خصائص الحضارة السورية مغيبة ثقافياً، على الرغم من زخم التنقيبات التي يشارك فيها مئات العلماء الأثريين والمؤرخين في العالم، والتي أغنت المكتبة العالمية بأبحاثها ودراساتها، ولكن دون أن تصل واضحة مترجمة إلى الخاصة من علمائنا والاختصاصيين في التاريخ والحضارة.

ولا أرى سبيلاً لنشر معالم حضارتها إلا في توسيع نطاق ترجمة نتائج الحفريات والأبحاث، وفي المشاركة على أوسع نطاق في الفعاليات الأثرية، وفي تعزيز دراسة اللغات واللهجات، ومقارنتها مع اللغة العربية، وإنقاذها من الرطانة التي أبعدتها عن أصالتها لضعف علماء اللغات الأجانب باللغة العربية ومفرداتها القديمة.

ونحن نعتقد أنه لا مجال لبناء نهضة ثقافية إلا من خلال استيعاب أسس الحضارة، ودورها وأثرها على ثقافات العالم ولغاتهم

وعقائدهم، لدعم الثقة بالذات وبالتاريخ الذي امتد عبر آلاف السنين زاهراً وحياً ومتطوراً. ولقد عرضنا في كتابنا " سورية التاريخ والحضارة " أبعاد هذا التاريخ.

الدكتور حميدو حمادة – سوريا

✦ إلى أي حدّ تشكل الهجرات السامية، حقيقة علمية راسخة تؤكدها المعطيات الأثرية ؟ هل ثمة أدلة حول حصولها ؟ وبرأيكم أين هو موطن العموريين، هل هو في بلاد الشام أم في شبه الجزيرة العربية ؟

لا يوجد اتفاق حول الهجرات السامية، بل لا بد من ربط هذه الهجرات بالاقتصاد البدوي الذي يعتمد على الدورة الفصلية. فالبدوي يكون في الصيف شمالاً، وفي الشتاء جنوبيا، وله مرابع تحمل نفس الأسماء، ولا يمكن أن تكون هجرة دائمة إلا في حالات نادرة.

إنهم يشرقون ويغربون ويعودون إلى مرابعهم ومصائفهم ومشاتيهم ولا يستقرون، فهم في هجرات قصيرة دائمة تكبر هذه الدوائر في سني القحط. أما العموريون منهم، فهم من بلاد الشام (حول جبل بشري)، لأن كلمة (أمورو) هي المرادف للكلمة السومرية (مارتو)، وكلاهما يعني غرب الفرات أي بادية الشام، موطن (الساميين) من عموريين وآراميين وتدمريين وغساسنة وعرب.

✦ لديكم مقاربة لغوية للغة إبلا، توصلتم فيها إلى أن حرف الضاد موجود في لغة إبلا، بينما يميل بعض الباحثين الذين التقيناهم إلى الحذر من هكذا طرح. إلى أي حد من الوضوح والمنهجية يمكننا أن نحدد تماماً، وجود حرف الضاد /كتابة ولغة / في نقوش إبلا ؟

المقاربة بين لغة إبلا والعربية، لا تحتاج إلى جهد، فهي حقيقة لا يستطيع أن ينكرها أحد. وقضية حرف الضاد في لغة إبلا، لا يمكن نفيها ولكن أيضاً يصعب إثباتها، لأننا

لم نسمع هؤلاء القوم يتكلمون بل وصلتنا كتاباتهم فقط المكتوبة بالحرف السومري، القاصر عن تمثيل الكثير من الأصوات التي عرفتها الإبلائية والأكادية.

وما أتيت به من شواهد في بحثي عن لغة إبلا ولغة الضاد كان قد عرضه اللغويون المختصون بلغة إبلا مثل فرانزورولي وكريبرنيك وهو ليس من عندي. أما من التقيتهم أنت وعارضوا هذا الرأي، فليس بينهم مختص واحد بلغة إبلا وأصواتها، لأن الدراسات الإبلائية بحر واسع وليس كل من قرأ عدة صفحات عن إبلا أصبح (إبلائيتولوجيست) أي مختص بالدراسات الإبلائية.

✦ كون أطروحتكم في الدكتوراة تتناول إيمار وآدابها، ترى كيف تنظرون إلى هذه المملكة كخصوصية ثقافية ضمن المجال الحضاري السوري ؟

إيمار، لها خصوصية بسبب موقعها على حافة البادية وعلى نهر الفرات، ففيها التقت حضارات الفرات الرافدية بحضارات البدو ومعتقداتهم البدائية الفطرية. وهي ذات خصوصية كون أن كهنتها يعرفون الآداب الدينية السومرية والرافدية والحثية والحورية. الجدير ذكره هنا هو أن كهنة إيمار كانوا من البدو العموريين.

✦ كيـف تقيمـون أهميـة كشـف مدينـة حموكـار، هـل فعـلاً أن اكتشـافها سـوف يعيـد النظر في نشـوء المـدن الأولـى فـي المشـرق العربي القديم ؟

مدينة حمو كار، شأنها شأن أي مدينة من عصر أوروك وعصر السـلالات الباكرة، وهـي أقـل أهميـة مـن تـل بـراك (ناغـار) ولكـن المكتشف أعطاها بعداً أكثر من حجمها.

✦ كيف تنظرون إلى الاستشراق، ومراكز البحـث الغربيـة المهتمـة بالحضـارة السـورية ؟ هل تماثلت إلى التوازن بعد انهيار المدرسـة التوراتيـة ؟

لا شـك أن هـذه المراكـز هـي مراكـز مهمـة ويجب الإفادة منها، ولكن ينبغي إنشاء مراكـز وطنيـة أو مشـتركة إلـى جانبهـا، والتنسـيق معهـا، ولكننـا للأسـف مـا زلنـا بعيـدين عمـا يجري ولا نعرف ما هي الأسباب رغم نداءاتنا المتكررة.

بـالطبع نحـن بحاجـة إلـى مراكـز، ولكننـا لا يمكننا لوحدنا عمل مثل هذه المراكز، بـل هـي مسؤولية عربية أولاً وأخيراً بالتعاون مع مراكز البحث المتخصصة المزودة بالمراجع.

✦ كيف يمكننا تحديد هوية السومريين أو الأكاديين أو الكنعانيين.. إلخ، هل هم عرب ؟ هل هم أولاد عموهم ؟

كل من يقول أن السومريين عرب، لا علاقة له لا بالتاريخ ولا بالإثار، السومريون قوم سكنوا المنطقة العربية. أما الأكاديون، فهم أقرب إلى العرب، شأنهم شأن العموريين والآراميين.

✦ برأيكم، لماذا أصبحت الأبجدية السورية، عالمية، وانتشرت إلى العالم المتوسطي، في حين أن مثلاً الهيروغليفية لم تصبح كذلك؟ وهل تعتبرون النقوش التي عثر عليها في موقع الجرف الأحمر، نقوشاً تمثل بوادر نشوء الكتابة في مهدها ؟

الأبجدية السورية تمثل آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة، أما الهيروغليفية فهي تمثل المراحل الأولى (مرحلة الكتابة التصويرية). أما لجهة نقوش الجرف الأحمر، فلا علاقة لها بالكتابة حيث إنها نحت غائر، أقرب إلى الختم المسطح منها إلى الكتابة، لأن الكتابة ظهرت بعد آلاف السنين.

✦ نعلم أنكم اشتغلتم على ترجمة وثائق ماري من الأصل الأكادي، وحققتموها..كما أن لديكم ترجمات جديدة للوثائق المارية والتي تظهر معلومات جديدة وشيقة عن مملكة ماري في الألف الثاني قبل الميلاد، ولكن قبل هذا أود أن تحدثني عن العلاقة بين مملكة ماري ومملكة يمحاض / حلب، في الألف الثاني قبل الميلاد، كما تبدت من وثائق ماري.

أظهرت وثائق مملكة ماري أهمية مدينة حلب، التي كانت عاصمة لمملكة يمحاض في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، كما أظهرت العلاقات المميزة التي ربطت بين المملكتين، وبينت الأرشيفات المكتشفة في ماري، الأهمية الكبرى للاله حدد الحلبي، الذي كان معبده في تل القلعة، سبباً رئيساً في نمو المدينة وازدهارها الواسع، في مطلع الألف الثاني ق.م وخاصة بعد أن استقر فيها الشيخ البدوي العموري (سومو إيبوخ)، الذي ينتمي إلى بني شمأل، والذي يعتبر مؤسس السلالة الحلبية، التي بلغت أوج ازدهارها في عهد ملكها الثاني ياريم ليم بن سومو إيبوخ، والذي لجأ إليه قريبه الشمالي زيمري ليم بن ختني حدد، بعد أن سقطت ماري بيد شمشي حدد الأول ابن إيلاكبكابو، مؤسس السلالة الآشورية، وقد أعان ياريم ليم بن سومو إيبوخ ملك حلب، زيمري ليم ملك ماري، وأرجعه / بفضل أسلحة الاله حدد الحلبي /، إلى عرش آبائه في ماري، ثم زوجه ابنته شيبتو بعد بضع سنوات، مثلما أعانت حلب مدينة بابل بالتعاون مع مدينة ماري، ووصلت جيوش ياريم ليم الحلبي و(أسلحة حدد)، إلى شرقي الدجلة في عهد ياريم ليم، وبعد أن توفي ياريم ليم بن سومو إيبوخ، استمرت العلاقة الحميمة بين ماري وحلب, ولم يعكر صفوها سوى وجود بعض الفارين، من أتباع زيمري ليم إلى مناطق

حلب ومحيطها، والذي توجب الاتفاقيات المعقودة أمام الإله حدد الحلبي تسليمهم، وقد عمل ياريم على الالتزام بهذه الاتفاقيات، فوسّع الإله حدد ملكه، وزاد في سطوته، بعكس شمشي حدد الذي لم يلتزم بهذه العهود، فأخذ حدد سلطانه، ومحق مملكته.

واستمر مجد حلب في عهد ملكها حمورابي الأول الحلبي ابن ياريم ليم، وكانت غاشيرا، حماة زيمري ليم، تلعب دوراً مهماً، في استمرار التواصل بين المدينتين، من خلال علاقتها الأسرية المميزة، بصهرها زيمري ليم وابنتها شيبتو.

✦ وما قصة شراء ملك ماري زمري ليم، لمدينة الآلاخ، من ملك يمحاض، كما وردت في وثائق ماري التي ترجمتها وحققتها عن النص الاكادي الأصلي ؟

يبدو أن الذكريات الطيبة لزيمري ليم في حلب، جعلته يفكر في شراء مدينة بالقرب من حلب، بعد أن تعب من الصراع مع القبائل البنياميني التي كانت تقلقه، لذا فقد أوعز إلى (ورد إيليشو)، سفيره في حلب، أن يبحث له عن مدينة خربة ليشتريها، وكانت المدينة المهجورة التي وقع الاختيار عليها تدعى (ألاختيم) ألالاخ، لكن حقولها كانت عامرة، وهي تقع في سهل العمق (تل العطشانة)، وقد تم شراؤها بثمن باهظ، دفعه زيمري ليم ملك ماري إلى ملك حلب، ثم طلب

إخلاء هذه المدينة من الفلاحين اليمحاضيين ألتابعين لحلب، ووضع فيها فلاحين من أتباعه، لكن وبعد أن قام سفيره ورد إيليشو بحراثة الحقول وزراعتها، امتعضت (غاشيرا) والدة حمورابي، ورفضت إخلاء حقولها، وبيوتها وخلايا نحلها، مما سبب المشاكل، لورد إيليشو، الذي حاول لقاء الملك حمورابي الحلبي لشرح الوضع، لكن الوزير الحلبي (طاب بلاطي) كان يمنعه من مقابلة الملك، ويضع أمامه العراقيل، وبعد أن زهد، وعجز عن حل الإشكاليات التي نتجت عن هذه الصفقة، راح ينثر التراب على رأسه، خاصة بعد أن قال له حمورابي حلب:

اعتبر أننا بعناك نصف المدينة !

حينها طلب من سيده زيمري ليم التدخل شخصياً لحل هذه القضية التي أرهقته، والتي وجدت طريقها إلى الحل، بالدخول على غاشيرا، وإمساك طرف ثوبها، وعقده كي تحل المشكلة، فقبلت غاشيرا سلوك ورد إيليشو، وسلمت الحقول، فأصبحت مدينة الالاخ تابعة لماري.

✦ هل يمكن دكتور حمادة، من أن تطلعنا على نصوص هذه القصة ؟

طبعاً، لكن ما يلفت الانتباه أن نصوص ألالاخ المكتشفة في الطبقة السابعة، تشير إلى وجود ملك حلب (أبّان بن حمورابي) في هذه المدينة، التي ورثها عن أبيه/ فكيف

عادت ملكية المدينة إلى حلب !؟ ومن هو باني ألالاخ وقصورها معابدها ؟ وقد اخترت منها خمساً وعشرين رسالة فقط، من أصل ثلاثين ألف نص اكتشفت في ماري، وما اخترته يتعلق بتاريخ ثلاث مدن عمورية سورية هي (حلب، ماري، ألالاخ)، وكان قد نشر هذه النصوص اللغوي المختص بدراسة وترجمة نصوص ماري، الدكتور جان ماري دوران، قبل أكثر من عامين، بين مجموعة من النصوص التي تخص مدينة حلب ومعبدها، وهي تتحدث عن أخبار حلب ومحيطها، ومن بين هذه النصوص، رسائل هامة، حاولت تعريبها، وتقديمها بالعربية بدقة، بعد أن عدت إلى النص المسماري الأكادي، وبعد أن قرأت ما كتبه دوران عن هذه النصوص في كتابه الذي نشره مؤخراً تحت عنوان:

Jean – Marie DURAND: Le Culte d'Alep et l'affaire d'Alahtum, Florilegium marianum VII, Memoires de N.A.B.U. 8 Paris 2002.

ونظراً للأهمية الفائقة التي تتمتع بها بعض هذه النصوص، فقد رأيت ضرورة نقل بعضها حرفياً إلى قراء العربية.

النص الأول: يتحدث فيه زيمري ليم ميدياً رغبته في شراء مدينة في بلاد النهر قرب حلب، وهو يريدها مدينة خربة، بغية إعمارها، لكنه يرغب أن تكون قرب النهر، لتأمين الماء الكافي للقصر، كما يرغب استلامها خالية من الشاغلين (الفلاحين والجند)، وقد وجد له أعوانه هذه المدينة التي تدعى ألاختيم (ألالاخ).

النص الثاني: يتحدث فيه عن شراء مدينة آلاختيم (ألالاخ)، وإخلاء الفلاحين منها، بعد أن تم جرد الحقولً والأشجار، ولكن حينما باشر وكيل زيمري ليم بالحراثة والبذار، غضبت غاشيرا آم الملك الحلبي حمورابي، لأنها لا تريد لأحد أن يحرث حقولها، أو يرفع خلايا النحل التي وضعتها في حقول (ألاختيم)، ويبدو أن غاشيرا لم تكمن على علم بهذه الصفقة، لكن بعد مراجعات كثيرة، ومداولات مع الوزير الحلبي (طاب بلاطي)، راح مندوب زيمري ليم يذر التراب على رأسه، لأنه وقع في ورطة كبيرة، وطلب من زيمري التدخل في الامر شخصياً، لدى البلاط الحلبي، وأعلمه بما جرى لهم من إشكاليات خلال إبرام هذه الصفقة وبعدها.

النص الثالث: يظهر كيفً تم إقناع غاشيرا بالتخلي عن حقولها طوعاً، وكيف تم حل الأمر وفق التقاليد المألوفة في ذلك العصر، حيث ذهب مندوب زيمري ليم إلى غاشيرا،

وأمسك طرف ثوبها، فقبلت سلوكه وتواضعه، وأمرت بإخلاء الأراضي والحقول التي كانت تستثمرها في مدينة ألالاخ، ومثلها فعل حمورابي ملك حلب الذي أرسل منادياً ينادي ويقول:

(لقد باع سيدي حمورابي مدينة ألاختيم لسيدي زيمري ليم، فعلى كل من يشغل حقلاً مغادرته).

النص الرابع: يتحدث عن أعمال السخرة، وطريقة التجنيد المرهقة التي فرضت في مناطق ألالاخ، والطلب من زيمري لمي ضرورة إلغاء مثل هذه الخدمة، التي ترهق الناس، وقد شارك في الاقتراح ملك مدينة (نور ادي)، الواقعة غرب حلب، ربما في موقع (كفر نوران) الحالي.

النص الخامس: عتاب شديد من عرّاف الإله حدد الحلبي، العتاب موجه لزيمري، على لسان كاهن حدد، الذي يقول: انه هو الذي قال له في المنام أن يبلغ زيمري ليم هذه الرسالة:

(ألست أنا من رباك على فخذيه، وأعادك إلى عرش آبائك ؟، فلماذا تنسى تقديم القرابين للإله حدد ؟، ولا تمنحه أراض وقفية، تتبع لمعبده في بلاد ألاختيم). ؟!

النص السادس: يظهر أهمية حدد الحلبي، وضرورة تقديم القرابين له، حتى في المدن البعيدة، مثل مدينة (سكاراتيم) التابعة

لماري، والواقعة قرب مصب الخابور في نهر الفرات، وهذه الرسالة تظهر أن هذا الإله الحلبي أصبح إلهاً عالمياً، ولم يعد مجرد معبود محلي في مملكة يمحاض، لأن الرسالة حينما وصلت إلى مدينة سكاراتيم في اليوم السادس والعشرين، كانت كل البلاد قد قدمت القرابين في اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر، أي بعد يومين، فالكل يريد إرضاء حدد الحلبي.

النص السابع: يظهر أهمية أسلحة حدد الحلبي، من الناحية المعنوية، فحينما وصلت أسلحة حدد إلى معبد ترقا (العشارة)، حفظت فيه، وهذه المسألة مسألة رمزية، تشير إلى أن أسلحة حدد حلب هي التي تحقق النصر.

وثمة رسائل أخرى هامة كان يوصلها سفراء زيمري ليم ورجالاته، إلى ملك حلب، تشير إلى قلق زيمري ليم الفعلي من تحركات القبائل والمجموعات البنيامينية، (القبائل التي تستقر يمين الفرات)، ومحاولته رصد تحركات هذه القبائل ومعرفة التقارير عن اتصالاتهم، ويبدي فيها زيمري ليم انزعاجه من تصرفات بعض الرجال البنياميننيين المقيمين في بادية حلب التي تدعى (دادميوم)، أو بلاد إيمار.

يلحق بهذه النصوص مجموعة من النصوص المختارة، التي تفيدنا في معرفة

أهمية حلب ومعبد حلب وبعض أخبار القصر الحلبي.

✦ هل تسمح لي دكتور حمادة أن أرفق الترجمة العربية لهذه النصوص كملحق في الكتاب تعميماً للفائدة ؟

يسرني ذلك.

✦ شكراً.

ملحق الحوار مع الدكتور حميدو حمادة

وثائق من ماري في الألف الثاني قبل الميلاد تتحدث عن شراء ملك ماري / زمري ليم / من ملك يمحاض / حلب / مدينة الآلاخ في سهل العمق.

ترجمه وحققه عن النص الأكادي: الدكتور حميدو حمادة

الرسالة الأولى: اللوحة رقم 28:

كتب نوسين إلى سيده زيمري ليم قائلاً:

قرأت اللوحة ألتي أرسلها لي سيدي، والتي يقول فيها أنه طلب من دادي خدوم أن يفتش له عن مدينة غير بعيدة عن النهر، ويكتب له اسمها حتى يشتريها.

الأسطر 1-7

قال لي دادي خدوم: هناك فعلاً مدينة، لكن ثمنها غالٍ جداً، ها هو خادمك يبحث (لك) عن مدينة في بلاد النهر، أو تعال أنت بنفسك لتبحث في أمر شراء هذه المدينة، التي ستكون تحت تصرف القصر، اطرد منها من تريد وازرع الحبوب والزيتون، ثم أسس قصراً في هذه المدينة !

الأسطر 8-13

قررت أن تشتري مدينة خربة مهما كانت، وسأطرد منها كل المزارعين، (قلت):

أرسل لي تقريرا عنها، كي أرسل لك الفضة.

الأسطر 14-16

(كما قلت):

أعدو أنفسكم لإعمار وبناء هذه المدينة.

هذا ما كتبه لي دادي خدوم

الأسطر 17-18، يلي ذلك انقطاع في النص

ذهب أبي شادي مع ذو خدني إلى سيدي، وكتبت أنا إلى سيدي، إن اليمحاضيين (الحلبيين) سيبيعون المدينة لسيدي !

الأسطر 23-24

أجاب سيدي: أنه سيدفع التعويض المالي لليمحاضيين الذين سيبقون، ولكن على الآخرين الخروج منها حتى أدخلها.

الأسطر 25-29

وأنا كتبت إلى سيدي:

أهل من الممكن بيع مدينة لملك ماري دون إقرار سيدي (حمورابي)؟

حينما يقول حمورابي نعم! لشمشي أدو، وسومو باراخ، عندها نشتري المدينة.

الأسطر 30–34

وإليك الرسالة التي أرسلتها مع ذو خدني وأبي شادي على سيدي:

الآن على سيدي أن يتفق مع حمورابي، وأن يرسل شخصاً موثوقاً بكفاءته، عليهم أن يتباحثوا ملياً، ثم القيام بالترتيبات، وصياغة عقد شراء المدينة.

الأسطر 36–37

على سيدي أن يرسل له ما يشغل بال سكان ماري، بهذه العبارة: نحن نرغب إلغاء الشروط !

الأسطر 38–39

سيدي سوف لن يرد المدينة التي سيشتريها السنة القادمة !

سيدي يود دفع ثمن عال، كي يدخل أتباع وعمال سيدي إلى المدينة.

لنتفق على هذا، كي لا يخيب أمل سيدي.

الأسطر 40–43

على دادي خدون أن يشتري المدينة بثمنها الكامل (السطر 44).

نقص في اللوحة حتى السطر 61

ينتقل النص إلى موضوع آخر يتعلق بإرسال 27 شجرة إلى ماري، ثم ينتقل النص لذكر حاجيات أخرى، كان قد طلبها القصر، وأنها جاهزة، لكنها تحتاج إلى ثلاثين مركباً

لنقلهـــا، حمولـــة المراكـــب، 3600+ 2400 مكيال.

الأسطر 71–79

ثم يعود النص للحديث عن موضوع شراء مدينة آلاختيم:

حينما سحبت الأراضي من مزارعي ألاختيم طلبت من (طاب بلاطي)، تحرير المدينـة من الخدمة العسكرية.

الأسطر 79–81.

أجابني طاب بلاطي بأنـه لـن يفعل ذلـك، وبما أنه رفض، لذا فقد أرسلت (إيكشود إيا نبيشو)، إلى سيدي حمورابي، فأرسل سيدي رقيماً إلى طاب بلاطي.

الأسطر 82–85

جلب إيكشود إيا نبيشو الرقيم إلى سيدي، لكنـه لم يقبلـه ! تطلب الأمر عشرة أيام من الصلح، كي يعطيه إيا إيكشود نبيشو الرقيم، لكنه لم يتحرك وبقي مدة ستة أشهر دون أن يخلي المدينة !

الأسطر 86–88

فقط حينما ذهب الملك إلى ألاختيم، قال له: إخل الحقول المحررة، فقلت له:

الحقل الذي أخلاه حمورابي، متى ستخليه ؟ وفق الشروط الموضوعة في رقيم سيدي؟

الأسطر 88–92

كي آتي لأستلم آلاختيم، هكذا تحدث رقيم سيدي.(السطر 93).

الرسالة الثانية: اللوحة رقم 36 :

تشير هذه اللوحة إلى نفس القضية التي ذكرت سابقاً في اللوحة رقم 28، حيث طلب زيمري ليم من أتباعه في حلب، أن يبحثوا له عن مدينة خربة قرب النهر ليشتروها له، كي يعيد إعمارها.

لكن النص يشير إلى إشكاليات حصلت لاحقاً، لأن غاشيرا أم الملك حمورابي، وحماة زيمري ليم، كانت تمتلك وتستثمر بعض الحقول، وتضع في بعضها خلايا نحل من أجل عسلها، لذا فقد اعترضت بشدة حينما قام وكيل زيمري ليم، بحراثة الحقول، وبذر الحبوب، واشتكت لابنها الملك، الذي لم يكترث لالتزاماته، ولم يحترم شروط عقد البيع، لا هو ولا وزيره (طاب بلاطي) !.

قال ببساطة :اعتبر أنك اشتريت نصف المقاطعة !

فأجاب وكيل زيمري ليم: كيف يمكن ذلك ؟ وقد قمت مع المغني الكبير في القصر الحلبي، وقمنا معاً وقسنا معاً جميع الحقول، وتفقدنا الكروم، وأعلمنا الجميع أن هذه المدينة قد أعطاها (باعها) سيدي حمورابي إلى سيدي زيمري ليم !.

وكان مع المغني الكبير يسمح حدو، ولكن المغني الكبير ذهب إلى حلب، وقعد هناك مدة أربعة أشره، وترك المشاكل بلا حلول !

يقول وكيل الملك زيمري ليم:
(رحت أذر التراب على رأسي)
وقلت نذهب أمام الإله حدد نتشارع، فأنا لم أرتكب إثماً، ابحثوا في أصل ثروتي ما تملكه يدي، وخذوا ضعفه، إن كنت قد تلاعبت بهذه الصفقة!
لقد حلت بي مصيبة كبرى، ذهبت إلى الوزير طاب بلاطي، عرضت عليه الأمر، طلب مني إحضار بعض الشهود من جماعتي (أخوتي)، عدت إليه بعد ثلاثة أيام، فكرر نفس الطلب!
أرجو من سيدي التصرف لإنقاذي مما أنا فيه، وأن يبعد الناس والشاغلين لأراضي المدينة وبيوتها، لأنهم يطالبون هذه الأيام بالمدينة التي اشتراها سيدي زيمري ليم.

الرسالة طويلة جداً، وهي مؤلفة من 78 سطراً، وإن ترجمتها الحرفية قد تعيق فهمها، لذا فإنني سأقدم ترجمة الجمل حسب الأسطر، مع مراعاة تسلسلها، كلمة، نظراً لما لهذه الوثيقة من أهمية تاريخية خاصة، لا يمكن التصرف فيها.
تبدأ الرسالة بما يلي: (الترجمة العامة):
- بلغ سيدي، هذا ما يقوله نور سين خادمك (السطران 1−2).
- حمورابي أعطى لسيدي مدينة ألاختيم (ألالاخ) (السطر:3).

- وقام يسمح حدو خادم حمورابي بدور المراسل (السطران: 5–4).
- والاتصال مع حمورابي وكاتبه عدة مرات (السطران: 6–7).
لهذا فقد أرسل الملك حمورابي كبير المغنين إلى ألاختيم جميع الناس فيها، وتلا عليهم يسمع حدو أوامر سيدي حمورابي.
- وقال ما يلي: (السطران: 8–9).
- لقد أعطى سيدي حمورابي لسيدي زيمري ليم
- مدينة ألاختيم (السطر: 10)
- الحقول والكروم وبساتين الزيتون
- الواقعة في حدود مدينة ألاختيم (السطران: 11–12)
- على الملاك والسكان والمزارعين إخلاء المكان
- ثم إعلام الناس بأن يخبروا إخوتهم
- الذين رحلوا إلى مدينة ثانية
- أن يعودوا إلى ألاختيم (الأسطر : 16–18)
- هذا ما قاله يسمح حدو إلى أبناء ألاختيم
- بحضور المغني الكبير
- وقد بقي المغني الكبير ويسمح حدو
- عشرة أيام في مدينة ألاختيم
- تجولا في حقولها، وعدا أشجارها
- ووصفا كرومها، وجردا ثرواتها (الأسطر : 19–24).
- قالا بعدها:

- اعتباراً من الآن
- لن يقترب أحد من مقاطعة
- مدينة ألاختيم(الأسطر: 25–27)
- لكن حتى الآن لم تكتب السيدة غاشيرا أي شيء
- إلى المغني الكبير بشأن
- حقولها وكرومها وعسلها (الأسطر: 28–30).
- ترك المغني الكبير ألاختيم وتوجه إلى حلب
- قدم تقريراً لسيده عن المدينة وكرومها
- وأشجار الزيتون فيها (الأسطر: 31–33)

الوجه الخلفي من اللوحة:
- هذا ما قاله حمورابي
- إلى المغني الكبير:
- ها قد أعطيتك الآن المدينة إلتي طلبها
- زيمري ليم، هذه المدينة خربة
- ليته يعيد إعمارها، فهل هماك من عائق (الأسطر:34–37)
- لقد خرجت من هذه الميدنة كي يخرج الجميع.
- هذا مال قاله حمورابي إلى المغني الكبير (الأسطر: 38–40)
- لكمن إلمغني الكبير (ظل في حلب)
- إربعة أشهر كاملة (لم يفعل شيئاً)
- أعددت حقول غاشيراً وبقية الحقول بذرتها (الأسطر : 41–43)

- لـم تكتـب غاشـيرا للمغنــي الكبيـر (لـم تعترض)
- بـذرت 60 (هكتـاراً) مـن أصـل مـائتين، عائدة للسيدة غاشيرا
- لــم تكتــب غاشــيرا أي شــيء للمغنــي الكبير،(الأسطر: 44-46)
- لكن عندما ذهب المغني الكبير، اشتكت غاشيرا بشان الحقول التي بذرتها
- ذهبت على الملك الذي ترك لها حقوله
- وأعــاد لهــا الحقــل الــذي زرعتــه ! (الأسطر: 47-49)
- بعد أن أعد الحقل تم اتهامي !
- جمعت سكان البلد وقلت ما يلي:
- سيدي دفع الفضة واشترى الاختيم
- هــذا مــا قلتــه لأهــل البلــد (الأســطر: 50053).
- رحت أذر التراب على رأسي (السطران: 54-55)
- على أهل المدينة إثبات ذلك أمام الإله حدد
- وليصــادر حمــورابي ضــعف ذلــك دون العودة إلى سيدي (السطران: 56-57)
- ليفتش أي شخص آخر ما أملكه
- لماذا تعاملونني كعبد !
- هذا ما قلته للملك (الأسطر: 58-60)
- مر يوم ثم اقترب في اليوم التالي طاب بلاطو
- قلــت لــه: لقــد حــل بــي خطــب جلــل (السطران: 61-62)
- كيف أقنعهم ! (السطر: 63)

- أجابني: الملك لم يفعل شيئاً، إلا أنه ضحك (السطر: 64)
- لماذا أنت مهتم بهذا الأمر
- يمكن أن نعطي سيدي زيمري لمي نصف المدينة ! (السطران: 65–66)
- إكتب لسيدك هذا الأمر ! هذا ما قاله طاب بلاطي !!! (السطر: 67)
- في اليوم التالي
- رحت أبحث عن شهود البيع
- جلبتهم إلى طاب بلاطي
- كرر طاب بلاطي الحديث ذاته (الأسطر : 68–71)
- رحت أبحث عن شهود البيع
- أرجو أن يتحرك سيدي
- ويبعد الجميع عن المدينة (الأسطر: 72–74)
- إنهم الآن (يطالبوني) بالمدينة
- ألتي اشتراها سيدي ! (السطران: 75–76)
- يطالبونني (يدعون علي)! (الأسطر: 77–78)

الرسالة الثالثة: اللوحة رقم 48:

هذه الرسالة نشرها جان ماري دوران، برقم (48– A4445)

تروي أخباراً كتبها (شتونوخرا خالو) إلى زيمري ليم، يتحدث فيها عن الجهود الكبيرة التي بذلها لإقناع غاشيرا بتسليم الأراضي، ويبدو أن هناك رسالة سابقة قد وصلت من

زيمري ليم إلى حمورابي حلب، قد أزعجته لأن مطلع هذه ألرسالة يبدأ:

1. ....
2. جلب الرقيم إلى حمورابي
3. فأمرض قلبه (أغضبه)، فطلبني قائلاً:
4. حتى (يصل) إيشتانوم خادم سيدي، الذي لوحات سيدي،
5. يحمل، لوحات سيدي، لا ترسل
6. لم أشتك إلى الصر حتى وصوله،
7. لم أفتح فمي قبل إرسال رسالة
8. إلى سيدي، (ميلكي لا إيلا) الذي قد وصل الآن
9. دخلت إلى القصر، وقلت لحمورابي
10. ما يلي: بشأن الحقول والبيوت
11. التي لأخيك، التي راسلك بشأنها مرة ومرتين، قرر (عليك التصرف)
12. بقرار حاسم
13. كي أستطيع إنجاز خدمتي لسيدي، فالحقول والبيوت
14. التي ضبطتهم غاشيرا في ألاختيم
15. لم تسلم، لوحتك السابقة
16. بيد خادم موثوق إلى أخيك
17. سأرسل، أما فيما يتعلق...

الخلف:

1. التي أرسلها لي أخي
2. حينما قال لي: إلى بيتها الذي في القصر
3. إلى عند غاشيرا دخلت

4. وكما أمرني سيدي فعلت، أخذت طرف ثوبها
5. وأمسكته، فقبلت سلوكي المتواضع
6. في اليوم التالي، حمورابي إلى غاشيرا
7. ذهب، بشأن حقل الاختيم، والبيوت
8. قد أخلوا (أعطوا الموافقة بالإخلاء)
9. من المستلمين، حمورابي حرر
10. والى تيرديم خرج (حمورابي)، وأرسل رسولا
11. خرجت إليه فقال لي:
12. فيما يخص الحقول والبيوت التي تمتلك غاشيرا
13. في الاختيم، والمحجوزة، والتي تطلبون، الحقول
14. والبيوت إلى أخي صارت مخلاة (أخليت)
15. هذا ما قاله، فقدمت له ولائي (وسكنت الأمور)!
16. غاشيرا أرسلت في طلبي، وكررت نفس القول
17. وفي حضوره، أعطاني (حمورابي) لوحة
18. و(قال لي): إلى سيدك أرسل هذا اللوح

الرسالة الرابعة:

وفي رسالة أخرى مرسلة من نور سين إلى سيده زيمري ليم، تعلم أن القصر في الاختيم قد أصبح جاهزاً، لأن المرسل يطلب إرسال

مشرفة من ماري، كي تشرف على شؤون القصر المنزلية.

نقرأ ما يلي: (النص 27- 2786. A)

1- إلى سيدي، قل، هكذا يقول نور سين عبدك

5 - (كتبت لك) مرة ومرتين بشأن (إرسال) السيدة شينيرزي، إلى الاختيم كي ترسل، إلى سيدي

10- كتبت (لك)، والآن سيدة شينيرزي سيدي، مع ابنة أخي ليته يرسلهم، كي تهتم بالقصر (ليوكلها بالقصر)

الرسالة الخامسة:

وفي رسالة أخرى أرسلها أيضاً شونوخرا خالوا، نشرها جان ماري دوران تحت رقم 45- (A. 2428) نقرأ الأخبار التالية:

طلب حمورابي حلب من شونوخرا خالو، خلال وليمة دينية أن يقابله غداً كي يحدثه في قضية سرية، لكنه ذهب في اليوم التالي على القصر فمنعه الوزير طاب بلاطو من الدخول، قائلا: إن الملك قال ذلك في حالة سكره، لذا لن أدعك تدخل ! لهذا فإن شونوخرا خالو يخبر سيده زيمري ليم، أن دادي خدوم الأمي البنياميني، يتحدث مع حمورابي بشأن قضايا تخص إيمار.

الرسالة السادسة: (A.1982-3)

هذه الرسالة مرسلة إلى زيمري ليم، من قبل والي مدينة سكاراتيم، الذي يدعى ياقيم إدو، وهو من أتباع زمير ليم، الرسالة تظهر أهمية حدد حلب، وانتشار تقديسه في مناطق واسعة من سوريا القديمة، حتى سكاراتيم الواقعة قرب مصب الخابور، عند التقاءه بالفرات.

تقول الرسالة:

إلى سيدي، قل، هكذا يقول ياقيم أدو خادمك

5- بخصوص القرابين التي لحدد حلب، عامة البلد

وحسب مضمون الرسالة التي أرسل سيدي في اليوم السادس عشر، غروب الشمس

10- لوحة سيدي وصلتني

وحسب إرسالية سيدي، إلى الكل أبلغت، وفي اليوم الثامن عشر، التقدمات

15- التي سيدي أرسل، أمام الإله حدد

انتقيت (ذبحت)

الرسالة السابعة: الرسالة 29 (A. 2064)

نورسين مندوب زيمري ليم، يعرب له عن قلقه من قرار التجنيد (السخرة)، لأن ذلك يرهق مدينة ألالاخ، ويتمنى أن يلغي، وهو يعرب له عن رغبة ملك مدينة (

نـور أدو)، لإرسـال منـدوب إلـى زيمـري لـيم، لتـدارس هـذا الأمـر، لكنـه يقـول لـه: لا يمكـن ذلك قبل أن أرسل سيدي، كي آخذ موافقته.
1- إلـى سـيدي قـل: 2- هكـذا (يقـول) نور سين خادمك
3- حتـى ذلك يشكل خدمـة عسكرية، 4- هذه ترهق الاختيم
5- ويجب أن تلغى، 6- هذا مـا يجب أن أعطيه (أعلم) سيدي دائماً
7- أقــول وأكــرر، 8- وجــيش أبنـــاء المدينــــة، 9- لا يطـــور ســــيدي،
10- الآن، سـيدي إلــى حمــورابي، 11- وشمشــي أدو، 12- ليـت سـيدي يرسـل،
13- هـــذه الخدمــــة العســـكرية، 14- فليتدبروا ولا تزعجه
15- ســابقاً بخصــوص التنظــيم، 16- شمشي أدو، وذو خدني
17- وأبـي شـادي، أرسـلت إلـى سـيدي (شكوى)
18- تقول: لماذا بدون (طلب) سيدي،
19- إرسل البقر، وأنا
20- قد أرسلت البقر، والجندية هذه،
21- لسـت أنـا مـن قررهـا، 22- هـذا مـا قاله شمشي أدو
23- مـن جهـة ثانيـة، ملـك مدينـة نـور أدّي، 24- أرسل لي قائلاً
25- عبـدي مــع عبـدك، 26- إلــى عنـد سـيدي (زيمـري لـيم) يجـب أن يـذهب،

27– فقلت أنا، دون رغبة سيدي، 28– كيف يمكن (لي) أن أقرر، إلى سيدي فليرسل 29– يجب أن أكتب الآن إلى سيدي، 30– فليت سيدي يعلم (ذلك)

الرسالة الثامنة 5 (1858. A):

1– إلى سيدي، قل: هكذا يقول سومو إبلا، عبدك
5– أسلحة الإله حدد حلب وصلت، في معبد دجن، في ترقا
10– وقد حرستها بنفسي، وكما أمرني سيدي، فعلت

لقد كان سومو إبلا موظفاً يعمل في ترقا، وارسال أسلحة الإله حدد إلى معبد دجن، كإمدادات حربية، يشير إلى قضية دينية معنوية، لها وقع نفسي في الحرب، لأن النصر سيكون بفضل حدد حلب، فهو الذي أرجع زيمري ليم إلى عرش آبائه، وبدون أسلحة حدد، ما استطاع أحد من الملوك تأسيس عرش أو مملكة.

الرسالة التاسعة:

نشرها دوران مؤخراً (الرسالة 39– A.1121 – A.2731) وفيها نقرأ أخبار (الذكر) وهو عيد ديني، حيث كتب نورسين إلى سيده زيمري ليم قائلاً: أنه كتب له عدة مرات، من أجل تقديم القرابين إلى حدد كلاسو الحلبي، ويذكره بضرورة اقتطاع أرض وقفية،

لهذا الإله في مدينة ألاختيم (ألالاخ)، وهو يشير إلى أن كاهن حدد، قد ذكر له بأنه رأي الإله حدد في النبوءة (المنام) فقال له معاتباً زيمري ليم الذي تربى في حضنه (حضن حدد):

ألست أنا من أعادك إلى عرش آباءك ؟

ألست أنا من رباك ومنحك البلد ؟

فإن لم تعطني أرضاً، فسوف أسترد ما أعطيتك !

لكن إن انصعت لمشيئتي، فسوف أملكك الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها !

ثم يبلغه بأن كاهن حدد قد جاء إليه، وأعلمه بأن يبلغ سيده هذا القول وأن يقول له:

إن جاءك صاحب مظلمة، أو صاحبة قضية، فقم وانهض واعدل بينهما، هذا ما أطلبه منك، فافعل ما أطلبه، لأنك إن فعلت فسوف أمنحك ملكاً فوق ملك، ومجداً فوق مجد، وسوف أملكك البلاد من مشرق الشمس حتى مغربها !

هذا ما قاله نبي حدد حلب، فليت سيدي يعلم.

وفيما يلي الترجمة الحرفية لهذا النص الهام:

1- إلى سيدي قل: 2- هكذا يقول نور سين خادمك

3- مرة ومرتين، وحتى خمس مرات، بخصوص تقديم قربان الذكر أحدد، 4- ووقف الأرض التي حدد سيدي كلاسو، 5- يطلبها منها، كتبت إلى سيدي، 6- بخصوص أضحية ذكر حدد الحلبي، 7- أمام ذو خدني، أبي شادي وذوخان، 8- حدثني ما يلي: أضحية الذكر والمكونة من ثيران، 9- وأبقار، قدم سيدي أمام كل الناس.

10- أمرني بتقديم قرابين الذكر، قائلاً ما يلي:

11- أنا ومهما صار الآن أو في المستقبل، لن أغير رأيه تجاهي، 12- ووضعت عليه شهوداً، فليت سيدي يعلم بذلك.

13- في النبوءة ظهر حدد كلاسو قائلاً:

14- كرموني، ألست أنا، 15- حدد سيدي كلاسو، الذي كنت قد ربيته لبعلي (زيمري ليم)، 16- على فخذي، وإلى عرش بيت أبيه 17- قد أعدته، ومنذ أن أعدته إلى عرش بيت أبيه، 18- منحته مكاناً جديداً للإقامة، 19- والآن بما أنني إلي عرش بيت أبيه (أعدته) 20- سأمتلك بيته (مكان إقامته) 21- إن لم يعطني صاحب العرش 22- تراباً (أرضاً) ومدينة، 23- فسوف أسترد ما أعطيته إن لم يصغ 24- لمشيئتي، سأمنحه عرشاً فوق عرش، 25- بيتاً فوق بيت،

تراباً فوق تراب، 26- مدينة فوق مدينة أعطيه، 27- والبلد من مشرقها 28- إلى مغربها أعطيه، 29- الآن إليك ما صرح به المسؤولون في النبوءات، 30- يكرم (حدد) في النبوءات 31- يطالب قيم حدد سيد كلاسو، 32- مسكناً في الأختيم كهديةٍ، 33- فلينظر سيدي وليعلم، 34- سابقاً، عندما كنت أقيم في ماري، 35- كنت ما (يقوله) العراف أو العرافة في كل قضية، 36- ما يقولوه لي، إلى سيدي أنقله، 37- الآن أنا أسكن في بلد ثان، 38- ما وضعه حدد وأبلغوني به 39- أفلا أرسله إلى سيدي؟ 40- إن عاجلاً أم آجلاً، فإن حصلت كارثة، 41- ألن يقول لي سيدي ما يلي: 42- لماذا قضية المشرف والمشرفة في مقاطعتك ؟

43- شاهدت، فلماذا إلى 44- لم ترسل، وها أنا الآن لعند سيدي ؟ 45- أرسل، فليعلم سيدي !

46- أمر ثان: جاءني كاهن حدد سيد حلب، 47- وراح (يقول) لي أمام أبي خاليم ما يلي: 48- أرسل إلى سيدك ما يلي: 49- هذا ما يقوله الإله حدد سيد حلب: ألست أنا، 50- الذي ربيتك على حضني ! 51- وأعدتك إلى عرش بيت أبيك ! 52- مما لديك لن آخذ (إرث)

53- إن (جـاءك) صـاحب مظلمـة، أو صـاحبة شـكوى (قضـية)، 54- قـم وانتصب واعدل بينهما (أعط حكماً)
55- هذا ما أطلبه منك ! 56- الآن ما أرسله لك تفعل
57- واصـغ إلـى كلمـاتي، 58- حينهـا سأعطيك البلد من مشرقها إلى مغربها،
59- وبلدك البلد أعطيكم
60- هـذا مـا عـرّاف (نبـي) حـدد حلـب،
61- قـال، أمـام أبـي خـاليم، 62- فليـت سيدي يعمل ذلك الآن.

مما تقدم نستنتج أن زيمري ليم كان على علاقـة حميمـة ببلاط حلـب، وأنـه أراد القيـام ببعض الاستثمارات الزراعية غرب حلب، ربما ليجعلهـا مقـراً صـيفياً لـه ولزوجتـه الحلبيـة شيبتو، التـي نجحت فيما يبدو بالتأثير عليه وإقناعه بشراء مدينة ليست بعيدة عن حلب، هـي مدينـة آلالاخ التـي كانـت شـبه مهجـورة وخربـة، ويبـدو أن هـذه المسألة خرجت عن طـاق العلاقـات العائليـة، حيـث دفـع زيمـري مبالغ كثيرة من الفضة لشراء هذه المدينة، ثم أخلى البلد من الفلاحين، وملاكـي بمحـاض، كمـا فلـح ممثلـه حقـول غاشـيرا حماتـه، ولـم يقبل حتـى بترك خلايـا النحل فيها، ثم رحّل الفلاحين، ووطن مكانهم فلاحين جدد يعملون لصالح مملكة ماري.

غير أنـه نسي فـي غمرة تلك الأحداث، أن يخصص أرضاً للإلـه حدد الحلبـي الـذي كـان معبده فـي كلاسو، كمـا نسـي تقديم القرابين لهذا الإلـه القوي الـذي لـولاه لمـا عـاد زيمـري ليم إلـى عرش آبائـه، ثـم تـدخل بعض أتبـاع زيمـري لـيم فـأعلموه بضـرورة تقـديم القـرابين، والانصياع لأوامـر حـدد حلـب، كـي لا تحـل بـه وبمدنـه الكوارث والنكبات.

لعل الدارس لهذه النصوص يتساءل، كيف عـادت ألالاخ ثانيـة إلـى ملكيـة حلـب؟ ومـن ورث هـذه المدينـة بعد غيـاب زيمـري لـيم عن مسرح الأحداث إثر تدمير ماري ؟

لا شـك أنـهـا عـادت للـبلاط الحلبـي، ولكـن كيف ؟

ثـم مـا هـي العلاقـة بـين مخطـط القصـر المكتشف في ألالاخ والقصور العموريـة، وهل من بنى قصر ألالاخ هو زيمري ليم وأتباعه ؟

ولكن السؤال الأهم هو، أيـن تقـع كلاسو ؟ فهل هي الهضبة الكلسية التـي تتربـع القلعـة فوقها، أم أنـها تـل جـلاس قرب سـهل المـتخ، أم هي في حي الكلاسة بحلب ؟

كـل المعطيـات تشـير إلـى أن كلاسـو هـي هضبة قلعة حلب الكلسية، والله أعلم.

الرسـالة العاشـرة: (الرسـالة 49– A 3462.)

يمكن أن ترى العلاقات الحميمة بين العائلة المالكـة فـي مـاري، والعائلـة الحلبيـة، فالملـك

زيمري ليم يريد أن يرى الطفل الرضيع ياريم ليم، لكن ملك حلب لا يوافق على إرسال هذا الرضيع في فصل الشتاء، لأن ذلك يتطلب الكثير من التحضيرات، ويؤجل الموضوع إلى أن تتحسن الأحوال الجوية.

تبدو هذه الرسالة في غاية الأهمية لأنها لا تظهر مدى العلاقات الأسرية الحميمة بين ماري وحلب، بل ربما يكون هذا الطفل الرضيع هو نفسه الذي أصبح لاحقاً ملك حلب، وهو من خاض الصراع مع أبّان في مدينة إرّيتي بعد أن ثارت ألالاخ ضده، حسبما يشير نص من ألالاخ، حاولت عرضه وترجمته في آخر المقال.

1- قل إلى سيدي، 2- هكذا يقول شنوخراخالو، 3- خادمك

4- بشأن الطفل الصغير ياريم ليم، 5- الذي كتب لي سيدي بشأنه إلى حمورابي، 6- قلت لي: كيف والشتاء 7- قد حل، لطفل رضيع أن يذهب؟ 8- كي يذهب الطفل، 9- (نحتاج) خيولاً، ثيراناً، وما يتبعها، 10- هذه الإرساليات مع الصغير إلى أخي 11- أرسل خلال (موسم) المطر ! 12- ليذهب، 13- لا يستطيعون الذهاب، 14- إنه الآن يرضع، 15- لم يفطم عن أمه، 16- الآن عمره شهرين هذا الصغير !17- الطفل ياريم ليم لم يفطم بعد، 18- إلى أن (تأتي) الأيام الطيبة (نرسله)، 19- إرساله (الآن)، 20-

غير ملائم، 21- هذا ما قاله حمورابي، 22- أما بخصوص مرض أبلخندا، 23- الذي كتبت بشأنه لسيدي، 24- ياتار آموم، 25- أرسل حمورابي، 26- وصل حصن سومو إيبوخ، 27- وبما أن أبلخندا قد تعافى، 28- فقد بدأ طريق العودة إلى حلب، 29- وعاد، فليت سيدي يعلم.

الرسالة الحادية عشرة (رقم 50- A2879)

تتحدث عن طفل مريض يدعى أبّان، قدمت له القرابين في مدينة أباتيم، فشفي بعون الإله (إيتور مير)، ولا ندري من يكون أبان هذا؟، أهل هو أبان الذي حكم آلالاخ لاحقاً أم أنه شخص آخر ؟

تقول الرسالة:

1- إلى سيدي، 2- قل ما يلي: 3- هكذا يقول شونوخراخالو، 4- خادمك، 5- بخصوص الطفل أبان الذي مرض، 6- والذي دادي خدون، 7- بشأنه لسيدي كتب، 8- عبرت إلى توتول، 9- ولأجل الطفل، 10- عملت فألا، 11- ظهر لي إيتور مير، 12- تقدمة لإيتور مير، 13- في مدينة أباتيم قدمت، 14- وقدم الطفل أضحية، 15- وقد تعافى الطفل الآن، 16- فقد أعانه إله سيدي،

الرسـالة الثانيـة عشـرة: 21− -A3073 (7621)

نقرأ أن ورد إيليشو، وهو سيد الموسيقيين عند زيمري ليم، قد أرسله زيمري ليم في مهمة إلى بلاد يمحاض، ليحدث حمورابي ملك حلب فقال: لقد قلت لحمورابي أن ملك عيلام احتل إشنونا، وتوجه بأسلحته نحو بابل، أنت وزيمري ليم تعال إلى نجدة بابل، أنقذوا بلدكم !

26− إشنونا كانت الأقوى قبلك، 27− لقد نام البلد كله

28− فاحتل ملك عيلام أشنونا، 29− وكبدها الهزيمة

30− الآن أسلحته القوية 31− نحو بابل 32− توجهت

33− إن لم يتفقوا (يتحدوا) في إعصار،

− فلن يستطيعوا المقاومة،

− لكن إن كانت القوى مسلحة من قبل كل الشيوخ

− واتفق الجمع، فسوف يحصل كل ما هو ممكن لإنقاذكم

− بالرغم من أنني محجوز، − فإن اللصوص لا يمكنهم التحرك في كل مكان،

43− أنت وزيمري ليم، 44− تعال إلى نجدة بابل

45− أنقذوا بلدكم، 46− هذا ما قلته، وقد اهتم بهذه المقترحات

الرسالة الثالثة عشرة:

وهي موجهة من ياريلم ليم ملك حلب إلى ملك مدينة دير على بعد 500 كم من حلب، قرب دجلة نجد فيها فخر الملك الحلبي، في أنه حمى بابل بأسلحة الإله حدد، وهو يهدده في هذه الرسالة قائلا:

سأجعلك ترى أسلحة الإله حدد، وأسلحة ياريم ليم، وفيما يلي عرض النص كاملاً : (مجلة سيريا العدد 33 دوسان).

شمش سيقرر ويحكم بيني وبينك
عاملتك معاملة الأب والأخ، وعاملتني معاملة عدو لدود
ألم يكن جميلاً، حينما حميت بأسلحة حدد
وأسلحة ياريم ليم، مدينة بابل، ومنحت الحياة
لك ولبلدك
أين أنت من الإله حدد وياريم ليم ؟
خمسة عشر عاماً مرت
كانت مدينة دير كالقش قد ذرتها الرياح
ولن تجدها أبداً
أهكذا تعاملني بعدها !
أيضا (سين جيميل) ملك (دينيكتوم) مثلك تماما
سوف تجيبني بالكذب
لقد أغرقت له 500 زورق، وأراضيه، منذ اثني عشر عاماً

أقسم لك بالإله حدد، إله مدينتي, وبالإله سين إلهي
سأسير وأنتقم منك ومن بلدك،
وسآتي إلى بوابة مدينتك
وسأجعلك تشهد أسلحة حدد وأسلحة ياريم ليم !

الرسالة الرابعة عشرة (رقم 1- A3089)

نقرأ شكوى حصلت بسبب جهل أحد شيوخ البنياميين الذي راح يخاطب زيمري ليم في رسائله بعبارة:
إلى أخي ! لقد قال زيمري ليم: من هو يكون بين عبيدي حتى يخاطبني بكلمة: أخي ! إنه بذلك يجهل أصولى الخاطب، لأن عليه أن يخاطب الملك بعبارة: إلى سيدي، أو على الأقل، بعبارة: إلى والدي، وقد أغضب هذا الأمر ياريم ليم ملك حلب، وخاصة بعد أن طلب زيمري تسليم رجل دادي خدوم لتأديبه، لكن ياريم ليم انزعج كثيراً من طلب زيمري ليم ومن تصرف رجل دادي خدوم، فتدخل موبخاً رجل دادي خدوم وطلب إليه التقيد بأسلوب الخطاب اللائق، ثم أرسله إلى معبد حدد ليقسم بالولاء إلى سيده، وقد فعل خيراً.
1- في اليوم التالي سأعود إلى ياريم ليم، 2- وسأقول ما يلي: هكذا أرسلني سيدي، 3- أهل هذا جيد (مناسب)، ما فعله رجل دادي خدوم، 4- أما ي يظهر الاحترام، 5- من هذه الرجل الفهيم إذا، فمن هو بين،

6- خـدمي يكـون، الـذي الآن 7- أمـامي يــوقر، ولا ينفــك بكلمــة أخ، 8- يخاطبني (يراسلني)، 9- إن وافق سيدي (أبي) فليسلمني إياه، 10- هذه (الرسالة) سيدي إلى ياريم ليم أرسلها، 11- حينما قلت لــه ذلــك راح يصـرخ ! 12- مـا هـذا الـذي يقصده ؟ 13- طلبت أن يسلمني إياه، 14- ألححت، فـي طلبـه، 15- لـم يعطـه، وصـرخ بـه، 16-ويخـه قـائلا: لمـاذا أنـت إذن أمـام 17- زيمـري لـيم تتواضـع (تحتـرم) 18- وتراسله بعبارة الأخ، 19- كما تخاطبـه هو، 20- لقـد أذهلنـــي احتجاجـه، لـم أرســل ! 21- ولمـا نكـر (استدعاه) بحضوري وقـال لـه: 22- فيمـا بعـد صـرخ بـه قـائلا: 23- بـالأبوة والسيادة تراسل فـي مراسلاتك: 24- هكـذا تراسـل أنـت ! 25- إلـى أبـي وسـيدي هكـذا تراسـل ! 26- ليـذهب هـذا المختـار (الزوقاقو) هو إلـى معبد حدد 27- ويقسم بهذه العبارات هكذا: 28- أنـا عدو لمـن (يحـارب) زيمـري لـيم هنـا وهنـاك، 29- فـي إلعداء سـاتي حسب العهد (للنجدة)، 30- أعادي عدوك، وجهـاء الأريـاف (الزوقـاقو) يـداً معـك (يعاهـدونك)، 31- ليـذكر يقسـم سـيدك بـأرواح (موتـاه) 32- وهكـذا وقفـوا علــى بــاب معبــد حــدد، 33- ومــع أخوتــه تعاهدوا ؟ 34- عندما تتراسلون والأخوة لعنـد سيدي، 35- لا تراسل ويوم أنت

الرسالة الخامسة عشرة: نشرها دوران أيضاً (النص 6- A4490):

نعلم أن زيمري ليم كان يتوجس من البنياميين خيفة ويرصد تحركات شيوخهم، فقد أعلمه أحد موظفيه (داريش ليبور) الذي أرسله زيمري ليم إلى توتول ليرصد له تحركات شيوخ الأعراب البنياميين أن خردوم ودادي خدون يتنقلان بين داد ميم (بادية حلب) وصيردا في أعالي البليخ، وأنهما يقيمان الآن في بيت رجل بنياميني من عشيرة ياخورا، ومن هناك يتصلان بربعهم، وهو يطلب من زيمري ليم أن يرسل شخصاً إلى توتول ليسلمه بعض اللوحات والأخبار !

كما يعد سيده زيمري ليم بأن يرسل له أخبار كل ما يسمعه.

تقول الرسالة:

1- قل إلى سيدي، 2- هكذا يقول داريش ليبور، 3- خادمك 4- ما إن إلى توتول، 5- وصلت حتى رحت خبر الملوك

6- حولي أستعلم، 7- قيل لي هكذا سومو دابي

8- خردوم وشمشي أدو، 9- من دادميم (بادية حلب)

10- إلى صيردا ذهبوا، 11- في بيت رجل (عشيرة) ياخورا، 12- في صردا يقيم،

13- يــوم...في بيــت الرجــل اســتقروا ،
14- هذا ما اقترح (عليهم) كاهنهم
15- هكذا هم، منذ الآن، 16- منذ شهر
حتى البلد 17- لم ندخل ! 18-...، 19-
...، 20- فتعال إليهم، 21- رسلهم
22- إلـى ربعهم (إخوتهم) دائماً، 23-
يذهبون(يرسلون)
24- كـي لوحـاتي، 25- ليتـك تسـتلمهم،
6- هنا الآن
27- في توتول، سمعت، 28- أمر ثان:
فـي أخونـا 29- نسـاجتان، نسـاج واحـد ،
ثلاثة حمير، 30- عشرة ثياب من إحدى
زوجاتهم 31- أحد أولاد خرديم، 32- هم
علـى مقربـة مـن خـرديم 33- يكونـون،
34- (هـذا) الـذي سـمعت، 35- إلـى
سيدي أرسلت 36- وحولي، 37- الخبر
38- الـذي الـتقط (أجمـع) 39- إلـى
سيدي، 40- أرسل.

الرسالة السادسة عشرة (موجهة ليـاريم ليم):

لقد أرسل زيمري رسوله داريش ليبور إلى الملك ياريم ليم ملك يمحاض وبعد أن وصل وقابل ياريم ليم ملك حلب، طلب منه تسلم بعض المعارضين لزيمري ليم، وعدم السماح لهم بالإقامة في مناطق حلب ولكن ياريم ليم يقول: إن بينة وبين زيمري ليم عهد أمام

الإله حدد، وهو إن قبض عليهم بعد سنة، أو بعد عشر سنوات فسوف يسلمهم إلى زيمري ليم، لكن وكما يبدو أن هؤلاء الرجال كانوا يتجولون بين إيمار وكركميش (منطقة دادميوم) وبما أن هذه البلاد تحت سيادة ملك حلب لذا يتوجب عليه إصدار تعميم إلى حكام إيمار وكركميش بعدم لجوء هؤلاء إلى هذه المناطق، ويصدر ياريم التعليمات اللازمة قائلاً: " إنه وزيمري سيقومان معاً بمعاقبة كل من يخالف التعليمات ويحمي الفارين، وثمة إشارة في النص تشير إلى أن أبلخندا ملك كركميش سيسلم أيضاً المعارضين البنياميين، شمشي أدو ويقيح أدو وأنه سوف يرسلهم إلى حلب.

النص رقم : 7- (M 5112 +3347)

1- إلى سيدي قل: 2- هكذا يقول داريش ليبور عبدك

3- سابع يوم لدخولي حلب، 4- هكذا قلت لياريم ليم

5- سيدي ليته يحيّني، 6- ويجعلني أذهب، هكذا ما قلته

7- في اليوم التالي استدعاني 8- وقال لي: الملوك الذين تعنيهم، 9- في قلب بلدي، 10- لم يسكنوا، 11- إن كانوا في وسط بلدي قد سكنوا 12- وأمنعهم عن زيمري ليم، 13- ليت الإله حدد سيد حلب، ياريم ليم، 14- ليسأل،(

يبـرهن) ومنـذ الآن 15- وحتـى سـنة أو سـنتين، 16- وحتـى عشـر سـنوات فـي وســط البلــد، 17- (إن) دخلــوا 18- سوف أقبض عليهم 19- وإلى زيمري ليم، 20- أعيـدهم،21- هـؤلاء الرجـال فـي داد ميم، 22- لم يقيموا

الحافة:

هذا ما قالـه (مـا أجـابني بـه)، 24- وأنـا رددت عليه كما يلي

اقبض عليهم، أليست دادموم، 26- كلـها وإيمار 27- هي لك

28- ألم يرفض سيدي كل هؤلاء الرجال

هذا ما قلته له: عندها دعا شيوخ إيمار وأعطـاهم الأمـر التـالي: ملـوك اليـنيـاميين 33- في إيمار لن يقيموا، 34- أخرجوهم منذ الآن 35- في البلد لا يسكنون

36- وإن عـاد 37- هـؤلاء الرجـال وإلــى إيمـــار 38- دخلـــوا، فأنـــا، 39- وزيمـري لـيم معـي. 40- نعـاديكم، هـذا الامر

41- أجابوا بما يلي: 42- ...قمنا بترحيل هؤلاء الرجال،

43- منــذ الآن إلــى الأبــد، 44- ..إلــى إيمار لن يدخلوا

45- هذا ما أجابوه، 46- بخصوص يقيح أدّو، 47- وشمشـي أدو، 48- اللذين فـي كركميش، 49- سكنوا

50- أبلخانـدو، 51- إلـى حلـب، 52- سيرسلهم
53- وأمرا 54- يضع 55- وكل قضية 56- تصلني،
57- إلى سيدي 58- أرسل.

وفي لوحة أخرى نقرأ نفس القضية التي تتعلق بلجوء أخصام زيمري ليم إلى الغرب (حلب، قطنا، كركميش) والتزام الملوك بالعهد الذي قطعوه أمام الآلهة بالقبض على الفاريين وتسليمهم لزيمري ليم ولو بعد عام أو عامين أو حتى عشرة أعوام، ونلمس من خلال النص التزام ملوك حلب بعهودهم التي قطعوها أمام الإله حدد العظيم، وأن هذا الصدق مع الإله حدد هو الذي جعل ملك حلب ياريم ليم في عهد سومو إيبوخ الأقوى، فلم يستطع ملك آخر مواجهته.

وقد كتب ملك حلب إلى ملك قطنا يموت بيل بهذا الخصوص قائلاً: إن وجود الشيخ البنياميني شمشي أدو عدو زيمري ليم في بلادك سيسبب لك المتاعب، كما كتب إلى أبلخندا ملك كركميش بشأن يقيح أدو فالتزم بتعاليم سيدي وأجاب بأنهم لن يسكنوا في بلاده.

الرسالة السابعة عشرة: 8- (A 4251+ 14857 + 14856 + 14800 + 14687)

1- إلى سيدي قل: 2- هكذا يقول داريش ليبور عبدك
3- لوحة ياريم ليم، 4- إلى سيدي أرسلت
5- سمعت خبر سيدي، 6- كما هو مسطر على اللوح
7- أمام ياريم ليم وأبلخندا، 8- أكّدت هذه الأقوال
9- كي يسمع رجال سيدي، 10- حينما إلى ياريم ليم
11- قلت كلمة سيدي، 12- هكذا أجابني زيمري ليم
13- أعداءه أخرج الآن، 14- قوة حضور سومو إيبوخ
15- احترم أبي الآلهة فنجّحوه، 16- في كل ما يريد، لا يستطيع ملك آخر مجابهته، 17- الذي أعطاه إلى شمشي أدّو، أخذه 18- سومو إيبوخ، أبي شيباته
19- لم تشب، بخصوص مهاجمة البلد، 20- التي أعطاها إلى شمشي حدد ضربها ، 21- الإله حدد واسمه حتى الآن، 22- قلب حدد إلهي لم يغضب تجاهي، 23- هذا ما أجابني به ، 24- أمر ثان، 25- هكذا جاوبني زيمري ليم، 26- هل تنسى شأن حدد ؟ 27- ما دام الإله حدد في البلد 28-
الهاربون لا يسلمون بيد أحد
29- وحتى يرسل زيمري ليم خبراً، 30- لمطاردة هؤلاء الرجال

31- في قلب بلدك، 32- لا يقيمون فيها، 33- هـذا جوابـه الثـاني، 34- حينمـا جاويني جوابه الثالث، 35- إن كان هؤلاء الرجـال فـي قلـب بلـدي، 36- سـكنوا، ومنعتهم عن (التسليم) لزيمري ليم
37- سأقبض عليهم في الحال (في يومه)، 38- وأقودهم إلى زيمري ليم، 39- منذ الآن، بعـد سـنة، سـنتين 40- عشـر سنوات، هـؤلاء الرجـال، 41- فـي بلـدي وممتلكاتي 42- سأعيقهم، سأقودهم 43- أقبض عليهم، 44- وإلى عند زيمري ليم، 45- سأرسلهم
46- إذا هذه الأقوال إلى زيمري ليم، 47- لم أفعل
48- ليـت الإلـه حـدد سيد حلـب، ويـاريم ليم، 49- يحاسبني
50- إلى يموت بيل كتبت ما يلي:
51- شمشي حدد عدو زيمري ليم، 52- إن ذهب إليك
53- اطـرد هـذا الرجـل مـن بلـدك، 54- وفيها لا يسكن أبداً
55- بخصوص يقيح أدو إلـى أبلاخانـدا (كتبت)
56- فـالتزم الأمـر 57- حسـب تعـاليم سـيدي 58- إلتـي ذكرتهـا بشـفتي، 59- عاجلاً أم آجلاً هذا الرجل 60- سيمرضك (يتعبـك)، 61- هـذا مـا قلتـه ليـاريم لـيم كي يقول لك

62- أجابه أبلخندا: 63- دون غضب لن يسكنوا، 64- هذا ما جاويه

وفي رسالة أخرى يبدو التحالف واضحاً بين بابل وحلب، لم يكن هذا التحالف شكلياً بل تعدى ذلك إلى وجود حلف دفاعي بحيث أرسل ياريم ليم اليمحاضيين لنصرة حمورابي ملك بابل.

الرسالة الثامنة عشرة: النص رقم : 22 (ARM 1171)

1- إلى سيدي 2- قل، 3- هكذا يقول ورد إيليشو، 4- عبدك

5- بخصوص الجنود اليمحاضيين، 6- الذين ذهبوا إلى بابل

7- حمورابي، 8- لسماع الخبر، 9- سر كثيراً، 10- وقال: هذا جيد، 11- بأن أخي الجند إلى بابل، 12- أرسل، 13- وحاشية، 14- مع رجل بابل، 15- ربط أخي، 16- وقال أيضاً ما يلي:

17- حتى بودوخيم، 18- أحجزها لك، 19- ثم بعد أن رسالتي هذه، 20- إلى سيدي أرسل، 21- ينتظر خمسة أيام 22- ثمن من حلب ينطلق 23- يغادر

الرسالة التاسعة عشرة: النص رقم: 9) A 3450(

1- إلى سيدي قل: 2- هكذا يقول داريش ليبور 3- عبدك

4- سمعت اللوح الذي أرسل سيدي، 5- بخصوص (الذهاب) إلى مقريسا، 6- لذهابي كتب لي سيدي، 7- خرجت إلى توتول، 9- ....10- ....
12- وبسرعة من توتول، 13- خرجت (متوجهاً)
14- حتى إيمار عملت طريقي، 15- في إيمار لوح سيدي
16- وصلتني، 17- هذه اللوحة في إيمار 18- في الخامس والعشرين إلى سيدي، 19- عند وقت العشاء أرسلت، 20- وحسب أوامر سيدي، 21- ذهب الرجال إلى مدينة أخونا، 22- في رأس هذا الشهر 23- إلى مقريسا 24- يصلون، 25- عبيد سيدي 26- ذهبوا معي 27- فليت سيدي يعلم.

الرسالة رقم عشرون: النص رقم: 10 (A 1042):

تشير هذه الرسالة إلى المسافة بين ترقا ودور يخدون ليم، وهي مسافة يومين، ويبدو أن ثمة طريق بري عبر البادية يتجه من هناك إلى قطنا لأن ورد إيليشو سيجمع قافلته ويتوجه عبر أرض تابعة لأيخشي حدد ملك قطنا.

تقول الرسالة:

1- إلي سيدي، 2- قل: 3- هكذا (يقول) عبدك ورد إيليشو، 4- يوم وصولي إلى ترقا، 5- وصلت السفينة بعدي، 6- في اليوم الثاني من وصول السفينة 7- حمّلتها، 8- في اليوم الرابع إلى دور يخدون ليم، 9- وصلت السفينة، الفرات كان ضحلاً، 10- استلمت الصرر (اللفافات)، 11- في آخر شهر ملكانيم، 12- سأجمع قافلتي، 13- في أول حقل إيشخي حدد، 14- عمل عهداً لي قال، 15- وأنا وضعت نفسي على الطريق (باشرت رحلتي)

ويبدو أن ورد إيليشو قد مرض، وكاد يصل إلى الموت، ولكنه حينما تحسن تابع طريق الرحلة.

الرسالة الحادية والعشرون: النص رقم 11- (A 2936)

1- إلي سيدي 2- قل 3- هكذا (يقول) ورد إيليشو، 4- عبدك، 5- منذ أن استلمت الأوامر، 6- حضّرت نفسي للذهاب، 7- أقعدني المرض 8- وأنا وصلت إلى الموت، 9- الآن أصبحت أفضل، 10- بعد أن (أرسل) رسالتي هذه،

11- إلى عند سيدي 12- في اليوم الخامس 13- تابعت الطريق

الرسالة الثانية والعشرون: رقم: 16- (A 2937)

وفي رسالة أخرى يخبر ورد إيليشو سيده بأن قافلته وصلت سليمة إلى حلب، وأنه أرسل بعض عبيد زيمري ليم وخدمه الذين يقيمون في حلب إلى ماري حسب تعليمات سيده.

1- إلى سيدي، 2- قل: 3- هكذا (يقول) ورد إيليشو، 4- خادمك، 5- (وصلت) قافلة سيدي سليمة، 6- في اليوم الذي هذه اللوحة 7 - أرسل إلى عند سيدي، 8- أدخل إلى حلب 9- أليوم أنا إلى حلب

10- دخلت وإلى المراسلين، 11- خدم سيدي الذين في حلب

12- أقاموا، أعطيت التعليمات، 13- وإلى سيدي، 14- أرسلتهم

وفي رسالة أخرى أرسلها ورد إيليشو إلى إيلي إيدينام، يشكره فيها ويعلمه أن النبيذ الذي ختم بختم صدقي لانسي طيب، لكن النبيذ الذي عنده لا يصلح للاستهلاك، ويعلمه أنه سيدفع له الحساب في ماري وأنه ينتظره هناك، لكنه يبلغه بضرورة إرسال الصياغ.

الرسالة الثالثة والعشرون: رقم 9 (A 4723)

1– إلـى إيلـي إيـدينام 2– قـل 3– هكـذا (يقول) ورد إيليشو
4– حسـن مـا فعلتـه لـي، 5– منـذ أيـام شـحنتي 6– حجـزت، والآن، 7– وصلني قارب، 8– على شحنتي 3 مانا
9– 400 جرة نبيذ وصلت، 10– هذا جيد ما فعلته لي
11– أنت أخذت لنفسك، 12– إنك حتى الآن حملت لي
13– نبيذ سميم الذي أرسلت، 14– والذي بختم صدقي لانسي
15– ختم، طيّب، هذا النبيذ (الذي هنا)
16– سـيء لا يسـتهلك، 17– كـل مـا أرسلت
18– يسبب المشاكل، 19– أنتظرك حتى وصـولك 20– إلـى مـاري، 21– سـوف نتحاسـب 22– وبمـا أنـك لا تسـتطيع التحرك، 23– لماذا تحتجز الصيّاغ ؟

الرسالة الرابعة والعشرون: النص رقم 25 (M 14874)

تقريـر إخبـاري عـن باعـة متجـولين مـن عيلام تم حجزهم بتهمة التجسس، لكن تم دفع فدية مالية من قبل رجل رصاما فأخلي سبيلهم.
1– إلى سيدي، 2– قل: 3– هكذا (يقول) نـور سين، 4– عبـدك، 5– قبـل أن يـذهب إيصّـي قطـر، 6– خـادم سيدي،

حـولي، 7- سـمعت مـا يلـي: 14 بائعـاً جوالاً، 8- تابعين لملك عيلام، 9- ممن حملـوا رسـائل، قـبض علـيهم 10- وتـم سجنهم، 11- وبما أنـه مع أتامريم 12- أبرم اتفاقاً ، 13- رجل رصاما سلم 14- أعطاه الفضة والذهب
15- وحـرر عبيـده، 16- الحكم القضائي سأعطيك
17- وسأرسـل لـك، وأنـا (أذهـب) إلـى بلادي
18- سـأعيد مـا سـمعته الآن، 19- الآن وفيما بعد، أخباري
20- سأرسل إلى سيدي

الرسالة الخامسة والعشرون: رقم 24 (M 9362)

تحـدث سوسـو منـدوب زيمـري لـيم إلـى الوزير الحلبي طاب بلاطي عدة مرات بشأن المراكب الصغيرة التي معه، لكن طاب بلاطي قال لـه: لن أقضي لك أي حاجة دون رسالة من سيدك، لذا فإنه نقل الأمر إلى غاشير.
1- إلـى سـيدي قـل: 2- هكـذا (يقـول) سوسو عبدك
3- بخصوص المراكب الصغيرة التي معي
4- أرسل أوصي نابوم سيدي
5- مـرة، مـرتين، إلـى طـاب بلاطـو 6- تحدثت
7- هكذا قال: دون لوح سيدك 8- حاجتك مهما كانت 9- لن أعطيك

10- والي غاشيرا القضية 11- قلت 12- هكذا (قالت) أمك

الملحقات:

ثورة ألالاخ والهجوم على مدينة إريّتي

1. عندما إخوته تمردوا، ضد أبان سيدهم
2. أبان الملك بعون حدد
3. وخيبات وبعل لمدينة أرّيتي،
4. أبّـان وجنـده مدينـة إرّيتـي (وصـلوا) فتحوا
5. في ذلك اليوم أبان قابض
6. مدينة إرّيتي، البلد أعطى
7. وبمحبة قلبه مدينة ألالاخ
8. أعطى وفي يومه ياريم ليم
9. ابن الملك حمورابي، خادم أبّان
10. إلى معبد عشتار رفع
11. أبّان الذي ياريم ليم
12. مدينة بدل المدينة
13. الذي ما فعله أبّان
14. يخاصم وياريم ليم
15. وخلفاؤه، يفعل شرا
16. ليت الإله حدد بالسلاح إلى بيده (يخلّصه) يمزقه
17. عسـى خيبـات وعشـتار يحطمـان عرشه
18. وعسى عشتار يد غزاته تملأها
19. وعسى عشتار تربطه بين أتباعه
20. تربطه بين أتباعه

الأعلام:

من الشخصيات الهامة التي ذكرت في النصوص التي عرضناها ما يلي:

- ياريم ليم: ملك حلب، ابن سمومو إيبوخ، زوجته غاشيرا، والد حمورابي وشيبتو
- حمورابي، ملك حلب، ابن ياريم ليم وغاشيرا، وأخ شيبتو، زوجته بيتاكو ملكة يمحاض، أما أولاده فهم أبّان وياريم ليم.
- ومن موظفيه: الوزير سين أويشو، الوزير طاب بلاطي.
- شونوخراخالو: ممثل زيمري ليم في بعثته إلى الغرب، وله أخ يدعى بين شونو.
- ورد إيليشو: رئيس الموسيقيين في قصر ماري، ورئيس بعثة قصر ماري إلى الغرب.
- نور سين: المشرف على ممتلكات ماري في الغرب.
- دادي خدوم: أمير بنياميني، ممثل لملك ماري في حلب.
- أبيا: كاهن الإله حدد في حلب، ومرسل رسالة الزكرو الشهيرة إلى زيمري ليم.
- أتوكي: كاهنة من مدينة ماري، كانت تبشر في الغرب.
- شويرام فراتي: كاهنة مبشرة من ماري تعمل في الغرب.

الأماكن:

- أباتّوم: مدينة فراتية بالغرب من توتول، يعتقد أنها في تل الثديين.
- أخونا: مدينة في أعالي البليخ.

- ألاختـوم (ألالاخ): مدينـة فـي سـهل العمق في موقع تل العطشانة.
- أرازيق: مدينة على الفرات يعتقد أنها في تل الحاج.
- دور سـومو إيفـوخ: مدينـة بـالقرب مـن كركميش.
- دور يخدون ليم: مدينـة بالقرب من دير الزور.
- خشاشار: مدينة جنوب غرب حلب.
- خوبشالوم: واحة جنوب سنجار.
- كلاسـو: مدينـة حلـب، أو بـالقرب مـن حلب، وأعتقد أنها الهضبة الكلسية التي يتربع فوقها معبد حدد في قلعة حلب الكلسية، ومن هنا فقد عرف حدد حلب باسم حدد كلاسو.
- ماغاريسي: مدينـة فـي منطقـة الخـابور بالقرب من موقع الحسكة الحالي.
- موزونوم: موقع جنوب غرب يمحاض.
- نـور أدي: مدينـة فـي أعـالي العاصـي، وربما في كفر نوران محافظة إدلب.
- رازاما: مدينة في أعالي الجزيرة.
- سكاراتيم: مدينة على الخابور الجنوبي.
- صيردا: مدينة في أعالي البليخ.
- تونيب: مدينة جنوب غرب يمحاض.
- توتـول: مدينـة تقـع عنـد التقـاء البلـيخ بالفرات في موقع تل البيعة.
- ياخورا: فخذ من القبائل البنيامنينة.

- استبيان -

بناء تدمر بين المعطيات التاريخية والأثرية

وبين المزاعم التوراتية

بين ما تطرحه المرويات التاريخية " الميعادية " من تلفيقات وتهويمات / استند عليها الإستشراق الغربي في بداياته، وما زالت مفاعيله تظهر بين الحين والآخر /. وما تطرحه الحقائق العلمية المستندة على المعطيات الآثارية، تتكشف لنا عدة نقاط أهمها: أن التوراة لم يعد كتاباً " تاريخياً " له الاعتبار في دراسة تاريخ " المشرق العربي "، بالإضافة إلى أن ما كشفته الحفريات الأثرية في هذا المشرق، حجّم إلى حدّ كبير " التوراة " وجعله كتاباً قصصياً يخلو من الموضوعية والعلم في مجال التاريخ.

واستناداً على هذه الحقائق، أجرينا سبراً للآراء لعدد من الباحثين السوريين والعرب والأجانب، منطلقين من سؤال هو: " ورد في التوراة.. في / سفر أخبار الأيام الثاني وسفر الملوك الأول/ أن سليمان بنى تدمر في البرية ". إلى أي حدّ يعتبر هذا القول " الزعم

" حقيقة موضوعية وتاريخية تسندها المعطيات الآثارية ؟

وكانت الإجابات في معظمها – كما سنقرأ – ترفض هذا الطرح، خلا بعض الآراء لباحثين أجانب يبدو أنهم تحسسوا من السؤال !! فجاءت إجاباتهم مبهمة!. ومنهم من رفض الإجابة لأنها ليست من اختصاصه / مع أنه يحمل درجة البروفسور !/.

أما النقطة الثانية والتي خشينا أن توصلنا بعض الإجابات إليها، فهو اتفاق عدد لا بأس به من الباحثين على أن المقصود بالمدينة: هو تمار / تامار /، في فلسطين، وليس تدمر في بادية الشام، وهنا تدخلنا لعدم الانجرار نحو إنكار بناء سليمان لتدمر، مقابل إثبات بنائه لتمار التي لم تثبت المعطيات الآثارية في فلسطين على أنه بناها، ناهيك عن عدم العثور عليها حتى الآن.

والنقطة الثالثة التي لا بد من طرحها استناداً على نتائج هذا السبر، هو ما يخص إجابات الباحثين والعلماء السوريين فالرفض لهذه المقولة اتفقوا عليه، لكن الوصول إلى هذا الرفض كان – إلى حد ما – مختلفاً عبر البراهين والأدلة، ومع هذا نرجو من خلال هذا السبر أن تقدم " مادة غنية " للحوار والبحث المجدي، تؤدي إلى إنهاء دور التوراة التاريخي الذي حكم تاريخنا وقراءته لفترة ليست بالقصيرة.

➢ *السؤال:*

ورد في التوراة في / سفر أخبار الأيام الأول وسفر الملوك الثاني / أن سليمان بنى تدمر في البرية، إلى أي حدّ يشكل هذا القول / الزعم /، حقيقة موضوعية وعلمية تسندها المعطيات الآثارية ؟

الإجابات:

- **الدكتور ألبير نقاش – لبنان:**

لن أجيب مباشرة عن هذا السؤال، بل سأطرح مشكلة ثانية، حيث جرت هناك أبحاث في فلسطين منذ 150 سنة، وتمت على كل مساحة فلسطين، ولكن منذ عشر سنوات طرح تساؤل عندما اكتشفوا وجود شواهد أثرية عن وجود حضاري لمجتمعات ولظواهر سياسية مختلفة، ما عدا الفترة التي تسمى عادة بالمملكة الموحدة، أي مملكة داوود وسليمان بمعنى آخر، لدينا ثوابت أثرية آشورية ومصرية لوجود دولة إسرائيل ودولة يهودا، ولكن حتى القرن العاشر قبل الميلاد التي هي فترة الدولة الموحدة، لم يستطع الآثاريون أن يكتشفوا أي دليل عن وجود هذه المملكة.

ومن ناحية ثانية تقول النظريات الحديثة أن كتابة التوراة بدأت في القرن الرابع قبل

الميلاد، واكتملت في القرن العاشر الميلادي، أي بعد /600/ سنة من عهد داوود وسليمان. فالاستنتاج الحالي أن داوود وسليمان هما أسطورة شائعة، ليس فقط عند اليهود بل في كل الديانات السماوية، حتى في عمان هناك جبل اسمه جبل سليمان وثمة ظن أن سليمان قد بناه !! وسليمان أصبح شخصاً أسطورياً في كل المنطقة وقد ورد ذكره في القرآن أيضاً.

● الأستاذ الدكتور محمد محفل – سوريا:

الكل يعرف بأن الأمر قد تمّ، أو وقع التباس بين تدمر ومدينة تامارا التي تقع في فلسطين. وليست في بادية الشام، ولا علاقة لتدمر من قريبٍ أو بعيد بسليمان ولا بجنّ سليمان. وأساساً لم يكن الطراز الذي بنيت فيه تدمر سائداً في أيام سليمان. بعض الأعمدة التي نجدها من الطراز الكورنثي نحن نعلم بأنها جاءت متأخرة بعد عصر سليمان بعدة قرون، ولم تكن حتى موجودة في المنطقة. إضافةً لذلك نحن لا نعرف أنه إذا كان سليمان فعلاً، قد تمدد في أوج مملكته أو وسع حدوده ليصل إلى جزء من بادية الشام.

الخطأ وقع عندما نسب النابغة الذبياني إلى سليمان وجنّه، بناء تدمر. وطبعاً أنت تعرف أن الإخباريين العرب، ولا أقول المؤرخين لا يمكننا أن نعتمد عليهم كثيراً فيما يتعلق بالتاريخ القديم ولا سيما أن أخبار

اليمن القريبة منهم تتراوح بين الأسطورة والرواية، فكيف بمنطقة بعيدة عنهم. أقصد تدمر في البادية الشامية.

• الأستاذ الدكتور علي أبو عساف – سوريا:

هذه العبارة حشيت فيما بعد في التوراة، وليس لها أي أساس من الصحة. ويبدو أن هناك بعض التوراتيين الذين أرادوا نسب تدمر باعتبارها مدينة مدهشة وعجيبة إلى سليمان باعتبار أن الأمور العجائبية قد ألصقت به.

• البروفسور تاكويا إيزومي – اليابان:

أنا لا أستطيع أن أجيبك.. لا أستطيع ! فاليابانيون لا يعرفون بالضبط ما هي المشكلة لذلك صعب علي أن أجيبك.

• الدكتور هورست كلينغل – ألمانيا:

هذه العبارة وردت في سفر الأخبار بعد /300/ سنة للميلاد. وفي ذلك الوقت كانت تدمر مدينة عظيمة ومزدهرة وشهيرة. الكلمة في التوراة ليست تدمر وإنما تامار في فلسطين، وبما أن تامار كانت مدينة بسيطة فقد حوروا التسمية إلى تدمر لأنها كانت مزدهرة وكبيرة وعجيبة.

• الدكتور شوقي شعث– فلسطين / سوريا:

ليس لهذه الرواية أي سند تاريخي وإنما هي من روايات المؤرخين الذين يتحدثون بدون دقة في هذا الموضوع.

● الأستاذ خالد الأسعد – سوريا:

ما ورد في التوراة لا أساس له من الصحة، فالتوراة نزلت على موسى في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ولم تسجل بشكل رسمي قبل القرن الثالث قبل الميلاد. هناك انقطاع لأكثر من ألف سنة. وعندما حاولوا كتابتها من جديد حاولوا أن يدخلوا كل الأماكن المهمة والمتطورة والعجيبة، ضمن الجغرافية التوراتية. وبما أن التوراة نزلت في منطقتنا، وبما أن موسى مصري وأحداث التوراة ليست بعيدة عن أرضنا، فإن كلمة تدمر اختلطت مع كلمة تامار الموجود في فلسطين أو في شمال الحجاز. وحتى الآن لم يعثر لتامار على أي أثر. فليس هناك أية صحة للخلط بين تدمر وتامار. فاليهود حاولوا أن ينسبوا إلى أنفسهم – كالعادة – كل شيء عظيم وكبير. وحين قال النابغة الذبياني في شعره أن سليمان قد بنى تدمر، فهذا لا يعدو كونه نظرة بدوي في الصحراء. والتدمريون القدامى يقولون في كتاباتهم، أن تدمر هي بعد سليمان بألف سنة ولا علاقة لسليمان بها. وحسب ما نقرأه من الكتابات الجديدة عبر المكتشفات الحديثة، فليس لدينا أي كتابة في تدمر تعود إلى أكثر من القرن

الأول قبل الميلاد. والأبنيـة التـي تنسب إلـى الأسـطورة لا تـزال قائمـة وأسـماء أصـحابها الـذين أقاموها منقوشـة علـى الحجـر وكلهـا أسماء تدمرية فلا صحة لهذا الزعم.

● الدكتور أنطون سليمان – سوريا :

هذا سؤال تعجيزي ولن أجاوبك !!

● الأستاذ خالد الدايل – السعودية :

لا أستطيع أن أجيبك فأنا من السعودية !!

● الدكتورة هيلغا زيدن:

لا..لا..هذا ليس صحيحاً.

● الأستاذ الدكتور جورج تات – فرنسا:

لا توجد أية معطيات أثرية تؤكد هذا القول.

● الدكتورة منتهى الصاغية – لبنان:

هذا خطأ علمـي، وبالمناسبة هنـاك عـالم فرنسـي ألقـى محاضـرة ونفـى هـذا الشـيء، وكذلك العالم كلينفل. هنـاك التبـاس تـاريخي بين كلمة تدمر وكلمة أخرى مشابهة تقع في فلسـطين. ولا أظـن أن هنـاك علاقـة بـين سليمان وإنشاء تدمر. أما عن وجود مدينـة تامار كحقيقة أثريـة فهذا يحتاج لشرح طويل والسؤال عنه صعب كثيراً في الوقت الحاضر.

● الأستـاذ الـدكتور محمـد حـرب فـرزات – سوريا:

لا يوجد أي إثبات موضوعي أو أية وثيقة تاريخية، تؤيد مثل هذه الأخبار التي لها صفة أسطورية مما هو في كتابات توراتية خاصة بتقاليد مجتمع من المجتمعات القديمة. فالباحثون العلميون والآثاريون ودارسو التاريخ لهذه المنطقة الذين نعرفهم، لا يأخذون هذا الموضوع بأي اعتبار نهائياً. ولا نجده في أي مرجع من المراجع العلمية، وعن ما يشار إليه فإنما هو على سبيل الإشارة لما يروى من ثقافة الذين كانوا يتحدثون بالأمور التاريخية حول هذا الموضوع قبل الاكتشافات الأثرية الحديثة المتعلقة بتدمر. البحث الآن مبني على النصوص وعلى الشواهد التاريخية، وعلى الأدلة وعلى اللغة وهذا شيء بعيد تماماً عما ذكر في الأسفار التوراتية حول بناء سليمان لتدمر. فهذا الكلام ليس له أي سند.

● الأستاذ الدكتور عدنان البني – سوريا:

الحقيقة أن تدمر الواردة في التوراة هي تامار الواقعة على حدود فلسطين، وليس لها علاقة بتدمر. وكل المباني الموجودة الآن في تدمر هي بعد سليمان بـ /1200/ سنة فلا علاقة له بها، وهذا تحريف جرى حين إعادة طبع التوراة حيث حرفوا تامار إلى تدمر. وفي شعر لنابغة الذبياني ورد هذا الشيء لأن البدو كانوا يظنون أن كل بناء عظيم هو من بناء جنّ سليمان.

● الدكتور فوزي زيادين – الأردن:

الإسـرائيليون تـاهوا فـي سـيناء وأتـاهوا الناس في التاريخ وفي متاهات التاريخ. إن رواية بناء سليمان لتدمر تتلخص فيما يلي: كانـت تـدمر مشـهورة فـي الوقت الـذي كـانوا يكتبون – أي اليهود – فيـه التوراة، فأضافوا إلـى تمـر حـرف الـدال حيـث أن فـي العبريـة ليس هناك حركات، فصارت تدمر عوضاً عن تامار أو تمر. ولم يضيفوا هذا الحرف لتصبح تـدمر، إلا مـن أجـل أن يصـادروا تـدمر لصـالحهم. ولكـن لـيس هنـاك أي علاقـة لسليمان بتـدمر وإنمـا بتامـار الموجـودة فـي صـحراء النقـب. أمـا عـن دليـل وجـود مدينـة تامار فهذا معروف في تاريخ فلسطين حيث بنى سليمان خمس مدن في جنوب فلسطين منهـا تامـار. فسـليمان لـم يـبنِ تـدمر وهـذه خرافة إسرائيلية متأخرة طبعاً.

● البروفسـور جـان مـاري لوتنسـورير – سويسرا:

أنـا مهـتم جـداً بمـا قبـل التـاريخ لهـذا لا أستطيع أن أجيبـك علـى هـذا السـؤال – هـذا أكيد أن تدمر بنيت في الصحراء.. وهذا نقطة بداية ثم صارت مركزاً للقوافل. أنـا شخصياً لا أملـك المعلومـات الكافيـة لإجابتـك لأنـي لا أعمل في المدينة نفسها.

● البروفيسور كوين لوتشلينكو– روسيا:

هذا الموضوع ليس موضوعي فاختصاصي هو في حضارات آسيا وأنا جئت لأرى تأثير البارثيين على تدمر. أنا آسف.

● الأستاذ نسيب الصليبي – سوريا:

ليست هذه سوى أقاويل، وإن الحفريات الأثرية التي جرت في تدمر أثبتت ذلك. فالتدمريون كانوا معماريين وفنانين مهرة حتى تمكنوا من بناء هذا الصرح الحضاري الكبير. ولكن قول إن سليمان وجنّه بنوا تدمر فليس هذا سوى أقاويل.. فالذي بنى تدمر، بناها من الفترة من أواخر القرن الأول قبل الميلاد إلى الفترة التي هاجم فيها أوليان تدمر عام /273/ ودمرها.

● الدكتورة يسرى الكجك – سوريا:

لا يمكننا الربط فعلياً بين الأمور التي وردت في التوراة وبين علم الآثار. لأن التوراة كتبت وعدلت وأعيد كتابتها وفق مقتضيات وحاجات الشعب الذي تهمه هذه الكتابات، الآثار حقيقة وواقع وليس هناك أي رابط حتى بين المقولات التاريخية وبين الآثار. والأثر لا يستطيع أحد أن ينفيه، أما المرحلة التي كان يقال فيها أن التوراة قال كذا والمؤرخون يقولون كذا..بحيث يتوجه كل واحد بحسب توجهاته السياسية والاجتماعية فقد انتهت. فعلم التاريخ الحديث يعتمد على الآثار، لهذا لا نستطيع أن نتحدث عن التوراة

من خلال أن سليمان بنى تدمر، فاليهود لهم أهداف وأغراض حتى أكثر مما يتحدثون عنها. وهم يحاولون ذلك من أجل أن تكون لهم قواعد في " أرض الميعاد " التوراتية ليستطيعوا لمّ شمل اليهود في العالم. لهذا أقول لا رابط بين التاريخ والتوراة ولا بين الآثار والتاريخ القديم.

● الدكتور بهجت قبيسي – سوريا:

قطعاً لا.. فالقرن الثالث الميلادي هو بداية نهوض تدمر المعماري، وسميت الأعجوبة، وكلمة الأعجوبة هي مدلول على شكلها فلا يمكن أن نسمي شيئاً أعجوبة قبل بنائه. لذلك نسب البعض بعد ذلك إلى جنّ سليمان وسليمان بناء تدمر ولا صحة لهذا الادعاء بتاتاً.

● الأستاذ محمد وحيد خياطة – سوريا:

يجب أن نميز دائماً بين الخيال والواقع، بين الوهم والتاريخ. تاريخياً لم يثبت حتى الآن أن لسليمان أية علاقة ببناء تدمر. وكل ما قيل عن هذه العلاقة مجرد أوهام وتخيلات، لا علاقة لسليمان ولا لجنه بها. وهذا محض خرافة ولا يمت إلى الحقيقة التاريخية بصلة. أما عن تامار في فلسطين فلقد بحثت كثيراً أن أجد لسليمان ذكر خارج أسفار التوراة فلم أجد له أي ذكر، حتى ولا لأبيه داوود. لا تاريخياً ولا أثرياً. واسم داوود

ذكر في الكتابات البابلية وهو اسم يدل على زعيم عصابة أو متمردين، ولا صلة له بالملك داوود التوراتي، ولا يمت إلى سليمان بصلة كما تذكر ذلك أسفار التوراة. فلا صلة يني ما ذكر في التوراة مع المصادر التاريخية خارج أسفار التوراة.

• البروفسور سليم عبد الحق – سوريا:

من المعلوم أن تدمر بنيت اعتباراً من القرن الأول قبل الميلاد، وحتى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد ومن المعلوم أن سليمان أتى قبل عشرة قرون أي في فاتحة الألف الأول قبل الميلاد. فكيف يمكننا تصديق هذا الخبر ؟ هذا الخبر لا علاقة له بالحقيقة العلمية والتاريخية.

• البروفسور جان كلود مارجرون – فرنسا– JEAN CLAUDE MARGUERON:

صدر مؤخراً كتاب حول تدمر ويبدو أنه قد درس هذا الموضوع بكثير من الجدية.

• البروفسور ميشيل غافليكوفسكي – بولونيا– MICHAEL GAWLIKOWSKI:

ليست هناك أية علاقة. أية علاقة بين سليمان وتدمر، ولا يوجد أي اتصال..أي

اتصال تاريخي وواقعي بينهما. ولا يوجد سوى الرواية أو الأسطورة. ففي القرون الوسطى كان كل شيء كبير وضخم ومدهش مرتبط بسليمان هنا. حيث نسي الناس في تلك المرحلة تاريخ هذه المدينة.. وهذا ليس فقط في تدمر بل في مدن أخرى. وبكل الأحوال هذه ليست حقيقة تاريخية مطلقا. على كل في الفترة التي كان فيها سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد كانت تدمر موجودة على شكل قرية صغيرة. وهذا الملك الذي كان يعيش بعيداً، لا أرى أي داع يدفعه للمجيء إلى هنا..ولا أعتقد أنه كان لديه ما يثير الاهتمام ليأتي إلى تدمر.

- الدكتور جودت شحادة – سوريا:

ما قصده التوراة هل هو تدمر في بلاد كنعان / فلسطين / أم تدمر في بلاد فارس ؟ أشك أن سليمان بنى تدمر هذه.

- الأستاذ حميدو حمادة – سوريا:

في الواقع إن تدمر ذكرت قبل سليمان، ذكرت في النصوص الكبادوكية الآشورية التي تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وهذا قبل سليمان، فسليمان لم يبن تدمر ومملكة سليمان هي مملكة صغيرة وأعطيت حجماً كبيراً لأغراض ربما تكون سياسية، تدمر ذكرت أيضا في نصوص ماري ولكنها ازدهرت في القرن الأول والثاني بعد الميلاد

ازدهاراً كبيراً، بسبب التجارة ووقوعها على طريق القوافل، أما أن سليمان بنى تدمر فهذا أمر من قبيل الخرافة.

• الدكتور فرانسوا فيلنوف – فرنسا – FRANSOIS VILLENEUVE:

هذا يتعلق بتاريخ كتابة النصوص التوراتية لأنه لا يتعلق بالواقع الذي نراه، خاصة فيما يتعلق بالتنقيبات الأثرية. من الممكن أن هذا يعود إلى تحويرات أجريت أثناء إعادة تدوين التوراة المتكرر، مما أدى إلى تغييرات في اسم المدينة. فحسب التنقيبات يبدو أنه لم يكن هناك سكن في هذه المنطقة في القرن العاشر قبل الميلاد – زمن سليمان.

يجب إعادة النظر، بأن تدمر، هل هي هذه المقصودة في التوراة؟ نحن الآن نظن بأن الأمر يتعلق بمدينة أخرى موجودة في فلسطين وهي تامار.

• البروفسور نقولا زيادة – لبنان:

دوماً الأشياء الغريبة والعجيبة تنسب لواحد كبير.. تدمر عجيبة وغريبة فيجب أن تنسب لواحد كبير. مثلاً خزانة فرعون في البتراء لا علاقة لها بفرعون لماذا سميت كذلك ؟ فالناس حين تجد مثل هذه الخزانة المحفورة

بالصخر فلا بد أن تعزوها لواحد كبير، ومن كان في تلك الفترة أكبر اسم.. إنه فرعون.. وهكذا..وهذا ينسحب على تدمر، ولا بد أن يكون من بناها واحد عجيب وكبير له قدرات خاصة واستثنائية. فسليمان عنده جن ويحكي معهم.. فتدمر التي وسط الصحراء يجب أن يبنيها ويرفع هذه الأعمدة فيها هذا الكبير، وسليمان هو شيخ الجن فإذن يأتي النابغة الذبياني ويطرقه ببيتين شعر.. وهكذا لزقت تدمر بسليمان. ومشيت هذه الحكاية مثل ما تمشي قصة " جيمس بوند ". فبحسب رواية التوراة – وهذا ليس تاريخياً – هذا القول لا يمت للحقيقة العلمية وغير العلمية بصلة، وهو يعود للفكرة الأصلية أن الناس لما وجدوا هذه الأبنية الضخمة أرادوا أن يفسروا بناءها في هذا المكان.

من هم الناس ؟

أي ناس، ممكن يكونوا بدو الجاهلية، ويمكن قبلهم، لأن سليمان كان معتبراً عندهم شيء مهم، واختيار سليمان ناتج عن قصة متداولة بين الناس من أن له قدرات خارقة وسيطرة على الجن.

أليست لها خلفية سياسية – توراتية ؟

يجوز أن يكون لها خلفية.. ولكن أسطورية، اترك لي التوراتية..بدها تكون خلفية أسطورية..لو ما في أسطورة حولها " ما كانت إجت ".

● الأستاذ الدكتور فيصل عبد الله – سوريا:

أنا لا أجرؤ حتى ذكر هذا السؤال، لأنه قد يثبت لدى القارئ معلومة، وهي أن سليمان له يد في بناء تدمر. فالتاريخ والآثار شيء، والروايات التي مصدرها الكتب الدينية شيء آخر. كل الحفريات في تدمر لا تدل على أي شيء من هذا القبيل، وكل المعلومات التي وردت في التوراة، والتي تتعلق بالمدن حتى وهيكل سليمان ومملكته، تحتاج إلى إثبات من خارج التوراة، ولذلك كل هذا يبقى من باب الرواية الدينية التي تحتاج إلى تصديق من قبل شواهد أخرى من خارج التوراة وهذا ينطبق على كل ما جاء في التوراة، ونحن لا نقيم وزنا في مجال البحث العلمي، أو في مجال النقد التاريخي، لمثل هذه الأقوال إلا إذا توفرت الشواهد الأثرية.

● البروفسور ديفيد غراف – الولايات المتحدة الأمريكية – DAVID GRAF:

لا أعرف أي شيء.. لا أعرف أي شيء عن هذه القصة !!

● الدكتور عيد مرعي – سوريا:

هذا لا يتعلق بتدمر المدينة المعروفة في بادية الشام، والمقصود هو تامار المدينة الصغيرة التي تقع في شمال فلسطين. والتشابه اللفظي بين تدمر وتامار، هو الذي

أوحى لبعض المؤرخين الذين أتوا فيما بعد أمثال يوسيفوس وغيره، إلى القول أن تدمر من بناء سليمان. يضاف إلى ذلك أن الحجارة الكبيرة والضخمة الموجودة حالياً، والتي يدل وجودها على قيام عمارة كبيرة، أوحى للبعض بأن بناءها يعود لجن سليمان كونه يتمتع بقدرات خارقة كما تذكره التوراة، ولكن الوثائق التاريخية تثبت عكس ذلك.

من ناحية أخرى فإن تاريخ مدينة تدمر يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وأقدم الوثائق التي تذكرها تعود إلى /1900/ قبل الميلاد، فلو قارنا هذه الحقائق مع الخبر التوراتي الذي يقول أن سليمان بنى تدمر في القرن العاشر أو التاسع الميلادي، لوجدنا أن هناك تناقضاً واضحاً، فكيف يمكن أن يبني سليمان مدينة كانت موجودة قبله بآلاف السنين. لهذا فنسبة بناء تدمر إلى سليمان غير صحيحة وهو من الأخطاء الشائعة التي يتداولها الناس حالياً.

- البروفسور جان لوكلان – فرنسا – JEAN LECLAN:

هذا صحيح – هكذا اعتبروا.. والسؤال ما هو تاريخ كتابة هذا النص ؟ ربما هذا يحس ! ولكن تاريخ تدوين هذا النص هو السؤال المطروح. وهذا ليس كما أعتقد من أجل رفض التوراة، ولكن الأمر ببساطة يتعلق بتاريخ كتابة هذا النص. على كل، الأبحاث

حول تدمر ممكن أن تعود إلى /2000/ ق.م وهذا نجده في المدونات الآشورية وماري وغيرها..وهذا يفتح آفاقاً جديدة للمزيد من الدراسات. فالآثار الآن فقط ترينا تدمر في العصر الروماني وفي عصر زنوبيا. ولا نعرف أن هناك أموراً تتعلق بمطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

● البروفسورة آنا سادورسكا – بولونيا– ANNA SADORSKA:

هذه فكرة مغلوطة تماماً، ونحن لا نعلم كيف ركّبت وألفت. فسليمان ليس له علاقة بتدمر. ولم يعمرها. وأعتقد أن الارامية التي كتبت بها التوراة، قصدت مدينة " داموراً " أو " تادمور ". وفي اللغات السامية، من الصعب أن تجد الاسم الدقيق. أما أين تقع تامورا فلا نعرف، ولكن دون شك هي ليست تدمر هذه. وتدمر لا علاقة لها بسليمان ومثل هذا نجده حين قيل أن المعبد الكبير في بعلبك بناه سليمان أيضاً.

– دراسة واستبيان–

مصطلح السامية بين حقائق العلم وخرافة سفر التكوين

شكل اليوم الثالث من كانون الأول /1872/ ميلادية مفصلاً هاماً في إسقاط النظرية التوراتية في قراءة تاريخ المشرق العربي.

فكما هو معلوم أنه وحتى نهايات القرن التاسع عشر كان كتاب التوراة يشكل المرجع الأساس في قراءة تاريخ المنطقة العربية / المشرق العربي خاصة / القديم الذي يمتد لما وراء القرن السادس قبل الميلاد.

ولكن وفي الثالث من كانون الأول عام /1872/ يقف جورج سميث أمام جمعية الآثار التوراتية في لندن ليعلن عن اكتشاف ألواح فخارية لرواية الطوفان التي وردت في سفر التكوين في التوراة.. وهذا يعني أن التوراة استوحى هذه الرواية من الوثائق

العربيـــة المشـــرقية القديمـــة / ملحمـــة جلجامش/.

ويذا يعلن سميث أن التوراة " لم يعد هذا الكتـاب الـذي يختلـف عـن بقيـة الكتـاب ".. وليس " الكتاب الذي أملاه الله أو كتبه بنفسه ".

ويــذا عــاد التــوراة إلـــى سلســلة الآداب العالميــة، وأصــبح مجــرد ديــوان ونصــوص مختــارة مــن الأدب الــديني. علــى حــد قــول المؤرخ الفرنسي جان بوتيرو ◆.

وطبعـا لـم يمـر إعـلان جـورج سـميث بسهولة، فقد ثارت الاحتجاجات ضده وقامت عاصـفة رهيبـة مـن الاسـتنكار أثارهـا مـراؤوا إنكلتـرا الفيكتوريـة التـي كـان التـوراة بالنسـبة لهم كتابا (مقدسا منزلا من الله). وهذا ما دفع المؤرخ زينون كاسيدوفسكي للقول: " لم يكـن بمقـدورهم تصـديق أن قصـة نـوح هـي مجرد أسطورة اقتبست من الرافدين "◆.

التوراة: ضرب تعويضي من ضروب الدفاع عـن الـذات تجـاه عقـدة السـبي = النبـذ = التخلـي: فحيث أن ثمـة علاقـة خياليـة وصوراً خياليـة تتوسط بـين الجماعـة ونفسـها، وبـين الجماعة والمحيط وهذه الصورة الخياليـة هـي التـي تفسر السيرورات والظـاهرات التـي تنسب أحياناً إلى أسباب أخرى فالجماعة تتبدى في

◆ جان بوتيرو. بابل والكتاب المقدس. دار كنعان – دمشق 2000.
وكذلك. جان بوتيرو. التوراة والمؤرخ – دار الحصاد – دمشق 1999.
◆ زينون كاسيدوفسكي – الواقع والأسطورة في التوراة – دار الأبجدية – دمشق 1990.

الإلتفـاف علـى بعضـها تجـاه قلـق مشـترك.. فثمـة خيـال يوجـد بـين الأعضـاء، كـي يخلـق حلم ما يؤدي فيما يؤديـه إلـى تحقيق خيالي للرغبة•• .

وعلـى هذا المنـوال ونتيجـة للسبي البـابلي لليهود إلى بابل عام /586/ ق.م. فقد سعى أحبارهم آنـذاك إلـى تجميـع الشتات اليهـودي وفق أوهام وضروب من خيال، امتدت لتشمل البعـد الإلهـي وأنسـنته بمـا يوافـق النزعـات النفسـية والقلـق واللاأمـان الـذي وضـعوا مجاميعهم في ظلاله.

فقد قام عزرا الكاهن بمساعدة زرو بابل عـام /583/ ق.م بتـدوين الأسـفار الخمسـة الأولـى مـن التـوراة وهـذه تعـزى خطـأ إلـى موسـى. وهـذا مـا يؤكـده الفيلسـوف سـبينوزا حين يقول:

" إن عزرا هو الذي كتب التوراة ولا علاقة لموسى بكتابتها••• وقد عمد كاتبا التـوراة إلى التعويض عن نزعة السبي والنبذ بطرح يجافي العقل والحقائق التاريخية والاجتماعية والإناسية:

فأولاً: التأكيد على أن اليهود هم من سلالة جد واحد هو سام بن نوح.

•• يمكن الرجوع إلى كتابنـا – العبرانيون في تـاريخ المشرق العربـي القديم – دار الرائـي – 2004.

••• رسالة في اللاهوت والسياسة – سبينوزا – دار الطليعة – بيروت 1994.

ثانياً: أن اليهود أناس تم إصطفاؤهم من بين شعوب الأرض من قبل الله (الله اليهودي = يهوه).
فإذن برأيهم لا بد من الاستعلاء على باقي الشعوب كونهم (شعب الله المختار).
وثالثاً: حتى الأرض فهي ممنوحة لهم بوعد إلهي من قبل يهوه.. (أرض الميعاد).
ورابعاً: العدوانية عند (يهوه) وهي تجلّ واضح للنفس اليهودية الدونية بحيث يجب أن يكون حام عبداً لأخيه سام..
نستنتج مما سبق أن ثمة أربعة ركائز قامت عليها الأسفار الخمسة الأولى من التوراة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية):

1. العنصرية: فهي ادعاء نسبهم إلى سام بن نوح.
2. الاستعلاء بأنهم شعب الله المختار من بين شعوب الأرض كافة.
3. اغتصاب الأرض تحت ذريعة " وعد إلهي مزعوم ".
4. العدوانية التي هي نتيجة طبيعية للعنصرية والاستعلاء.

وبما أن مجال بحثنا يختص تحديداً في اصطلاح " السامية "، الذي يعود بجذوره الأولى إلى سام بن نوح التوراتي، وبما أدى تعويمه في الأوساط العلمية التاريخية والاثارية ومناحي الدراسات اللغوية للغات

العربية القديمة إلى إحداث بلبلة معرفية وعلمية، لا يمكن لها أن تستمر، ولا سيما أن الأمر يمتد ليأخذ أبعاداً حقوقية وسياسية تختص بحقيقتنا وهويتنا وتراثنا.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: " إن كانت الأفكار الدينية لها فعالية في المجال الديني فقط، فإن الصهاينة ينقلونها من مجالها الديني إلى المجال السياسي♦ ".

وحصراً لهذه الطروحات ينبغي أن ننسف معرفياً الجذور الأولى لمصطلح السامية عند اليهود أي التوراة في أسفارها الخمسة.

ففي مجال أن اليهود أبناء سام بن نوح:

تجمع كافة الدراسات الأثنولوجية والأنثروبولوجية على استحالة رد شعب من الشعوب إلى جد واحد.. بمعنى آخر لا وجود لسلالة صافية تنتمي لعرق واضح..

ففي " بيان حول العرق " تبنته اليونسكو وهو من إعداد كبار الباحثين في مراكز العلوم الإنسانية العالمية جاء ما يلي:

" لا يوجد الآن ولم يوجد من قبل ما يعرف (بالعرق اليهودي)..إن الشخص الذي يدين بالعقيدة اليهودية ويمارس طقوسها هو شخص يهودي من حيث الدين، لكن هذه الحقيقة لا تفيد شيئاً في " عرقه ". فالديانة

♦ عبد الوهاب المسيري – الأيديولوجية الصهيونية – عالم المعرفة – الكويت – العددان: 60-61 .

اليهودية ليست في حال من الأحوال علامة على أي عرق مهما كان. وبالنسبة لليهود فمن المحتمل أنهم يرجعون إلى مصادر متباينة أكثر من أية جماعة أخرى معروفة في العالم. إن اليهود ليسوا أي شيء شبيه بالكيان البيولوجي المتجانس ولأهم عرق أو جماعة سلالية.

إن الاعتقاد بوجود شيء يدعى العرق اليهودي هو أحد الأوهام الكبيرة في العالم وإن أقرب تسمية لليهود كجماعة هي القبيلة"•.

ويقول لينين حول هذا الأمر:

" إن العلم لا يعرف أصل اليهود القدماء، وأن الخصائص القومية بل العنصرية مرفوضة من جانب الأبحاث العلمية المعاصرة ولا يوجد في الطبيعة نمط عنصر محدد لليهود ".

بناء على كل ذلك ونظراً لانحيازنا للعمل في مواجهة الخرافة الساسية التوراتية فإننا نستطيع رفض الأساس التوراتي لمصطلح " السامية " والذي سوف يتأسس في نهايات القرن الثامن عشر في حقل الدراسات اللغوية للغات العربية القديمة.

وقبل أن ننتقل إلى القرن الثامن عشر لا بد من التوقف عند مقولة للباحث إيسفيليت

• بيان حول العراق – إشيلي مونتاجو – وزارة الثقافة – سوريا – 1977.

حيث يقول: " أن التوراة لم تكن تاريخاً تحوّل إلى خيال بل خيالاً تحول إلى تاريخ ".

وكما في كتابه " الإسرائيليون والقبائل المجاورة لهم " يقول ماير: " إن حكايات سفر التكوين تنتمي إلى عالم الخيال ".

وفي حوار أجريناه مع الباحثة الألمانية هيلغا زيدن المتخصصة في علوم الإنسان والآثار قالت: " إن علم الآثار التوراتي سبّب الكثير من الدمار والضرر في دراسة تاريخ المنطقة العربية، وكل إسرائيل قائمة على التوراة، وهم يقولون لقد جئنا إلى فلسطين لأن التوراة قالت ذلك.. وهذا غير ممكن ولا يمكن القيام بذلك تحت أية ذريعة أو توهم.

في كل مرة نتحدث فيها عن فلسطين يرفعون في وجهنا توراتهم ♦".

خيط واصل بين 583 ق.م و1781م :

ثمة تماه بين عام /583 / ق.م وعام / 1781/ ميلادي، بمعنى آخر، ثمة تماه بين عزرا الكاهن وبين العالم النمساوي شلوتزر الذي أطلق مصطلح " السامية " في حقل الدراسات اللغوية للغات العربية القديمة".

يؤكد بعض الباحثين أنه (يهودي) وكان هذا متزامناً مع نشوء علم الأعراق وتوجه أنظار الغرب للمنطقة العربية ففي عام

•• محمد وحيد خياطة – قراءات في التوراة – دار طلاس – دمشق – 1987.

♦ مجلة البناء – صباح الخير – العدد 762- 1990- بيروت. والحوار موجود في سياق الكتاب.

/1781/ ميلادي أطلق شلوتزر مصطلح السامية في دراسة اللغات العربية القديمة وقد استند في مصطلحه على التوراة في سفر التكوين – الإصحاح العاشر، حيث أخذ بالنظرية السلالية – العرقية وعلى حد قول الدكتور محمد محفل.." لقد أخذ بهذا الاصطلاح لأسباب كهنوتية / سياسية " وطالما أن الأساس العرقي قد نسف علمياً ومعرفياً فيجب عدم الأخذ بهذا الاصطلاح لغوياً لأسباب عديدة:

أولاً: باستخدام هذا المصطلح ينبغي أن ترجع جميع اللغات واللهجات العربية القديمة (الأكادية – الأمورية البابلية – الآشورية – الإبلائية – الكنعانية.. إلخ) إلى اللغة العبرية كونها حسب المصطلح السامي هي أم اللغات ؟!

ثانياً: في حقل الدراسات الرصينة للغات العربية القديمة يلاحظ الباحث ألا وجود للغة عبرية ولا لكتابة عبرية. فالتوراة تحدثت أن اليهود تكلموا " شفة كنعان ". والعبرية هي فرع من الكنعانية الوسطى والآرامية. كما أنهم كتبوا بالخط الآرامي المربع.

ثالثاً: كيف يمكن التحدث عن أن اللغة السامية التي هي العبرية بحسب الاصطلاح التوراتي هي أم اللغات في وقت تعود فيه اللغات العربية القديمة لما قبل كتابة التوراة بأكثر من ثلاثة آلاف عام !؟

رابعاً: نتيجة لاعتماد العنصر " السامي " في التوراة.. فقد حفلت (التوراة – التكوين) بالأغلاط والالتباسات العلمية التاريخية.

فمثلاً: 1- ورد في التوراة أن العيلاميين واللوديين ساميون وما هم بساميين !.

2- الأحباش يتكلمون لغة سامية ولكنهم ليسوا ساميين !.

3- أقصي الكنعانيون عن جدول سام لأسباب سياسية ودينية !!.

4- اعتبرت التوراة أن القرطاجيين غير ساميين !!.

خامساً: وحسب الدكتور المسيري فإن الصهاينة ينقلون الأفكار الدينية من مجالها الديني إلى المجال السياسي.. فقد نشأت بدعة " اللاسامية " التي يطلقها الصهاينة على كل من يقف في طريق مشروعهم التوراتي (الميعادي). وأصبح العرب حسب النظرية الصهيونية أعداء للسامية واللاساميين.

بناء على كل ذلك كان لا بد لنا من الوقوف على آراء المؤرخين والآثاريين العرب لمعرفة ما السبيل لإنهاء مفاعيل استخدام هذا المصطلح وإبداله بمصطلح يأخذ الحقائق العلمية أساساً له..اعتماداً على الكشوفات الأثرية الوثائقية والحقائق التاريخية الموضوعية بما يضمن حقنا في تاريخنا وهويتنا.

آراء بعض الباحثين والآثاريين والمؤرخين العرب في اصطلاح السامية

● الدكتور محمد حرب فرزات – سوريا:

أنا لست متشبثاً ببعض المصطلحات عندما يكون بالإمكان استخدام مصطلح آخر أكثر ملائمة.. على ألا يعارض ذلك مقتضيات الاصطلاح العلمي وأنا مثلك متضايق من اصطلاح السامية وأجد نفسي في بعض الأحيان أنني مستريح لاستخدامه، أقصد استخدامه بمعنى محدد، فهو مجرد كلمة.

على كل حال..صحيح أنه يمكن أن يساء استخدامه من بعض الجهات، كالجهات الصهيونية أو المشتغلين بالدراسات التوراتية، بربط كل ما هو سامي بما هو توراتي أو يهودي.

على أنه حتى في المفاهيم المتعلقة بتقاليد المنطقة، ليس اليهود وحدهم، وليس

العبرانيون مثلاً الذين يتكلمون اللغة العبرانية هم من الساميين. حتى لو رجعنا إلى موضوع الأنساب نجد أن العرب من الساميين أيضاً.

لماذا لا نعطي المصطلحات معناها الدقيق ونقول أن هذه المصطلحات تخصنا نحن وأن هناك الكثير من المفردات والمصطلحات والأشياء المادية والأوطان تستلب منا، فنسترد هذه المصطلحات ونعطيها المعنى الذي تقصده. شلوتزر في القرن الثامن عشر عندما طرح موضوع تسمية عائلة من اللغات، وجد أن فيما بينها قرابة من حيث البنية والتصريف والمفردات، هذه اللغات التي كانت معروفة في زمانه سماها اللغات السامية، لأن مفهوم وجود الإنسان وتكوين الإنسان مرتبط بالمفهوم الديني الذي كان شائعاً ويكوّن جزءاً من المفهوم الثقافي المعروف في أوروبا. والمشتغلون في هذه الدراسة الإنسانية والتاريخية هم في أغلبيتهم من المرتبطين بدراسات دينية سواء كان مسيحية أو توراتية.

دعنا نتكلم بهذه الأمور بكل صراحة وبكل بساطة ودون أن يكون في الأمر نوع من الحرج.

الآن أجد أن بعض الباحثين، يقترحون تسميات أخرى، في بعض الأحيان لا تكون هذه التسميات دقيقة لأنها قد تتجاوز الزمن وقد تستبق مرحلة زمنية معينة.

البعض يقول أن نسمي هذه اللغات، لغات عربية، على أساس جغرافي كان يصح ذلك، ولكن على أساس غير جغرافي قد لا يكون ذلك دقيقاً لأننا لا نعرف ما هي اللغة الأم التي تسمى تماماً اللغة العربية وكيف تفرعت منها هذه اللغات، إلا على سبيل الافتراض بأن نعيد هذه اللغات إلى جذورها الأم ونقول هذه هي اللغة الأم.

أنا الآن أطرح بيني وبين زملائي تسمية أخرى ولكن ليس كل إنسان كان باحثاً هو حر في أن يخترع وأن يلقي جزافاً التسميات، التسمية يجب أن تطرح في أوساط علمية وفي ندوات علمية وأن يتم تبنيها في النشر.

فمثلا ما يسمى لغات سامية هو في حقيقة الأمر ماذا ؟ هي اللغة الأكادية المكتوبة بالمسمارية، البابلية والآشورية بأزمنة مختلفة واللغات الغربية التي تطورت في صيغة كتابتها إلى الكتابة الأبجدية.

هذه اللغات يمكن أن نسميها بدلاً من اسم واحد، نسميها اللغات الأكادية والأمورية لأن كل المنطقة الواقعة غرب الفرات كان يطلق عليها من قبل الأكاديين، بلاد أمورو، ويعني بلاد الغرب. فهذا المفهوم، وبحسب الاكتشافات الأثرية والكتابات التاريخية واللغوية تبين على أن المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية التي هي بلاد الشام كانت على صلة بالمنطقة الجنوبية من الجزيرة العربية وهي بلاد اليمن.

وهذا الاتصال كان اتصالاً لغوياً وثقافياً واسع النطاق. فإذا عممنا الأمر بنوع من الاصطلاح فقط، يمكن أن نقول بدل من لغات سامية إذا كانت تزعج الكثير من الناس، نقول اللغات الأكادية الأمورية. لأن الأكادية هي اللغات التي تكتب بالمسمارية، والأمورية هي اللغات التي تطورت كتابتها إلى الأبجدية.

وإذا ناسب بعض الناس المشتغلين بهذا الميدان هذه التسمية، فيمكن أن نتخلص من هذه التسمية التي تضايق الكثيرين من الذين يريدون أن يتجنبوا اصطلاح السامية.

- الدكتور نائل حنون– العراق:

على الرغم من التداول الواسع لمصطلح اللغات السامية لا يمكننا، من الناحية العلمية، قبوله. فالواقع اللغوي القديم في المشرق العربي لا يمكن أن يعبر عنه بهذا المصطلح الذي يشمل على سبيل المثال، اللغة العيلامية وهي تنحدر من عائلة لغوية أخرى. وبالطبع لا يمكن أن تكون هذه نهاية مسدودة، فنحن نعرف اللغات الشقيقة المقصودة بالمصطلح، وهي: الأكدية، الكنعانية (الأمورية)، الارامية، العربية. فإذا أردنا اقتراح مصطلح جديد يجمعها سوية ينبغي أن نبحث عن شيء اشتركت بها هذه اللغات جميعها. وأول ما يتبادر إلى الذهن هنا هو أنها تشترك في الموطن الواحد، وهو المشرق العربي. لذلك ما الضير في تسميتها

بلغات المشرق العربي ؟ أما إذا فكرنا في أن بعض هذه اللغات قد انتشر في المغرب العربي أيضاً، مثل الكنعانية الحديثة، فإن المصطلح يبقى صحيحاً إن قصد به اللغات الشقيقة الرئيسة وموطن ظهورها.

● الدكتور حسني حداد – سوريا:

لا أظن أن هناك ولحد الآن مصطلح بديل، ولكن يلزمنا مصطلح بديل لأن فكرة السامية هي فكرة لغوية صرف، بُنيت على أساس لغوي صرف، مع أن اللغة العبرانية واللغة الكنعانية والعربية هي لغات سامية.

وبما أن اليهود هم الذين كانوا يمثلون هذه الفئة السامية في أوروبا، ظهر ما دعي بـ / لا سامي / ANTI SEMETIC وهذا لا علاقة له بالعرب أو بالسوريين في ذلك الوقت، لذلك ظهرت هذه الفوضى من هذه التسمية، بحيث أن السامية صار لها مدلول يخص اليهود واليهود الأوروبيين فقط.

كما أن السامية تدل على عنصر يرجع إلى التوراة، حيث أن سام بن نوح وهكذا، مع أنه تم رفض الكنعانيين ليكونوا أولاد سام. فهذه النظرية التوراتية تختلف عن النظرة اللغوية للسامية، وهذه النظرة اللغوية جاءت في القرن التاسع عشر عبر " غريم الألماني" الذي بدأ بدراسة اللغات وتقسيمها إلى عائلات. فالفوضى نشأت من الخلط بين ثلاثة مفاهيم للسامية، المفهوم اليهودي –

الأوروبي الصرف، الذي يظهر عادة " باللاسامية "، والمفهوم العنصري الذي جاء من التوراة وهو مفهوم فوضوي خالص لأن لا دلالة تاريخية له، ثم المفهوم اللغوي. والناس تخلط بين المفاهيم الثلاثة، لذلك وقعنا في هذا المطب، أما كيف الخروج منه ؟ فهنا المشكلة والحقيقة أنني فكرت بهذا مدة طويلة.

هذا السؤال دكتور حداد، هو جزء من ملف أو استبيان سبق أن طرحته على عديد من الباحثين وسأواصل هذا العمل لحين محاولة الشروع في إقامة مائدة مستديرة للباحثين العرب حول هذا الأمر وقد استوقفني في الإجابات، إجابة الدكتور محمد محفل الذي طرح بديلاً لمصطلح السامية بمصطلح " الشامية " حيث أن برأيه يجوز إقلاب السين إلى شين.. ما رأيك بهذا المصطلح ؟

هنا في المنطقة، الكثير أخذ بمصطلح العرب والعروبة، فصار الكلدان عرباً، حتى المصريين أصبحوا عرباً وفق ذلك.. وكل هذا على أساس لغوي غربي، بمعنى أن هؤلاء كلهم تكلموا لغات سامية وبالتالي فهم عرب، ولكن هنا نقع بمشكلة، حيث بذلك يصبح اليهود عرباً ! وبهذا نرجع إلى الفوضى.

● الدكتور علي أبو عساف– سوريا:

الـذي وضـع المصـطلح لـم يقصـد بـه إلا التعريـف بمجموعـة قبائـل كانـت تـتكلم لغـة واحـدة بلهجـات متنوعـة، وقـد تعـرض هـذا المصـطلح للنقـد منـذ استعماله لسـببين، أن العيلاميين علـى سبيل المثال قد نسبوا إلـى سـام.. ومـا كـانوا ينطقـون بلسـان أولاده الآخـرين، وهم ليسوا ساميين وعلـى العكس، فقد استبعد كنعان من بن أولاد سام، وكانت القبائـل الكنعانيـة تـتكلم لغـة كـأولاد سـام الآخـرين " آشـور " و" إسـماعيل " و" آرام " ..إلخ..

والجدير بالملاحظة، أن اليهود أنفسهم قد قالوا بأنهم تكلموا بلسان كنعان، وفـي الوقت نفسـه أبعـدوه عـن أولاد سـام ومـع ذلـك فالمصـطلح قـائم ولا بـديل لـه فـي الوقـت الحاضر عملاً بالقول (خطأ شائع خير من صـواب ضـائع) الـذي أبقـى علـى هـذا المصطلح إلى يومنا هذا.

● الدكتور عدنان البني – سوريا:

إن صفة السامية المستعملة منذ أكثر من قرنين لا يمكن إزالتها بقرار، فهي تزول عندما نضع بـديلاً عنهـا، بـديلاً يفـرض نفسـه بقـوة على العالم العلمـي، وذلك بإسهام العديد من العلماء العرب، وعلى مدى طويل.

أطلـق هـذا المصـطلح التـوراتي علـى مجموعة اللغات المنبثقة من الجزيرة العربيـة، ثـم تحـول إلـى مجموعـة مـن الشـعوب، حتـى

أصبحت بتأثير الصهيونية مرادفاً أحياناً لليهود حتى الذين أتوا من الخزر.

● الدكتور نقولا زيادة– لبنان:

المسألة السامية قبلت عملياً كمصطلح، فهناك قرابات وثيقة بين اللغات التي تشملها هذه التسمية وهذه القرابات عميقة فيما يتعلق بأصول اللغة وجذورها وتراكيب النحو أيضاً. وبعض هذه اللغات تطور وبعضها تأخر، فالعبرية مثلاً تطورت كثيراً والعبرية ألغت " المثنى " الذي كان موجوداً.

لكن المسألة أكثر تعقيداً من كونها مجرد قراءة في اللغات، بعد تشابك البعد التاريخي بالآخر الديني، ثم ارتباط البعدين معاً، بالبعد السياسي.

دعنا نترك هذا الأمر، اترك لي استعماله السياسي، واسألني فقط هل يجوز أن نظل على استعمال السامية كمصطلح..!! أنا أقول ممكن وغير ممكن وأنا حاولت مرة أن أضع " النقاط الثلاث " وأسميها الشامية، ولكن هذا غير صحيح لأن هناك لغات من هذا النوع نشأت وتطورت على الأقل خارج بلاد الشام.

● الدكتور شوقي شعث– فلسطين / سوريا:

إن هذا المصطلح هو مصطلح جديد أطلقه عالم نمساوي. وقد تعرض هذا المصطلح للنقد، ولكن حتى الآن لم يتم الاتفاق على

مصطلح بديل. وأنا أقول، أن الباحثين والمفكرين مدعوون إلى إيجاد مصطلح جديد يكون معبّراً وذا مضمون شامل، كما أدعو إلى إعادة النظر في كثير من المصطلحات التي توارثناها عن علماء الاستشراق.

● الأستاذ محمد وحيد خياطة – سوريا:

أرى أنه من الأخطاء الشائعة استخدام مصطلح السامية في الموضوعات التاريخية، فهذا المصطلح مأخوذ عن " سام بن نوح " كما جاء في تسلسل أنساب الشعوب في أسفار العهد القديم. وقد ساد هذا المصطلح وانتشر في الأوساط العملية رغم عدم دقته العلمية. فهناك أقوام تعتبرها التوراة من الشعوب السامية وما هي بسامية، وأخرى سامية تعتبرها غير ذلك. ولكن، المصطلح كما ذكرت شاع وأصبح من المتعذر الآن الاستغناء عنه وذلك حتى تتجنب البلبلة في استخدام المراجع القديمة، ولا ضير في اعتقادي من استخدام هذا المصطلح ما دام الباحثون يعرفون تمام المعرفة ماذا يعني.

● الدكتور محمد محفل– سوريا:

بلا شك هذا المصطلح خاطئ، كما أنه عُمم خطأ، ربما كنا نقبل به لو لم يكن له آثاره التي تنعكس علينا وعلى حقيقتنا ووجودنا. فهذه التسمية أطلقها الكاتب النمساوي شولتزر في أواخر القرن الثامن

عشر الميلادي متزامناً مع بداية ظهور ما يسمى بعلم العروق في أوروبا، وكذلك مع بداية توجه أنظار الغرب إلى منطقتنا. ولعلني أستطيع تحديد الخطورة في هذا المصطلح واستخدامه عبر ما يلي:

أولا: هذا المصطلح مأخوذ عن التوراة، سفر التكوين.

ثانياً، اعتمد هذا المصطلح على مفهوم جينولوجي. حيث أن الأقوام ككل تفرعت من إنسان واحد، وإذا أردنا مناقشة هذا الأمر فسيتبين لنا أن العلم لا يقرّ بذلك.

فمعظم الأسماء التي ترد في تاريخ الهلال الخصيب لا تحمل مدلولا عرقياً أو عنصريا، بمعنى لا تعود إلى شخص أو قوم، فأسماء كنعان أو آرام أو آشور، وحتى سام، هي أسماء لها ارتباط بالبيئة والأرض والذهنية وربما تحمل طابعا مقدساً. العلم حالياً يرفض هذا التفكير البدائي البسيط، رغم أنه وللأسف ما زال مقبولاً لدى البعض في الروايات الشعبية.

ثالثاً: أدى استخدام هذا المصطلح إلى إرجاع كل اللغات المحلية إلى اللغة العبرية. وفي هذا خطورة بالغة لأن المرجعية اللغوية لفهم اللغات المحلية القديمة أصبحت اللغة العبرية بدل اللغة العربية.

فحسب هذا الطرح أضحت اللغة العبرية أمّ اللغات المحلية القديمة، وهذا خطأ، لماذا ؟

لأن العبريــة أولاً هــي فــرع مــن الكنعانيــة الوسطى والآراميــة. الآراميــة جــاءت متطـورة أكثر من الكنعانية، وقواعد الآرامية قريبة جداً من قواعد اللغة العربيـة. ولأنـه لا وجود للغة العبريـة، ثانياً، هذا ليس من عنـدي، بـل أن التوارة ذكرت ذلك.. ذكرت أنهم تكلموا " شفة كنعان ".

وثالثـاً: لنحــاول البحــث فــي أول ظهــور تاريخي لكلمة " عبري ". اللغة العبرية أول ما ظهرت، ظهرت في كتاب انتقالي هو الجامعة، الذي يعود إلى ما بين منتصف القرن الأول الميـلادي والقـرن الثـاني. هـذا كوضـع، وهـذا الكتـاب لـه علاقـة بتبشير مسيحي. في هذا الكتاب نجد لأول مرة كلمة عبري. إذاً لا وجود لكلمة عبري قبل القرن الأول للميلاد، اعتماداً علـى كـل مـا طرحـت كيـف يمكـن أن نـدرس لغاتنا القديمة على أساس اللغة العبرية ؟

لهـذا قلـت أن هـذا الطـرح خـاطئ وغيـر علمي.

أما ما أراه في هذا فهو أن كل لغاتنـا يجب أن ندرسها انطلاقاً من اللغة العربي.

اللغة العربيـة جـاءت وجبّت كـل مـا قبلهـا، واحتـــوت الأكاديـــة والبابليـــة والآشـــورية والكنعانية والآرامية.

والعربيـــة اليـــوم هـــي العربيـــة الحجازيـــة وليست القرشية. الحجازيـة تفاعلت مع بـلاد الشام واليمن، لهذا أقول علينـا اعتمـاد اللغة العربيـــة الحجازيـــة والعربيـــة المتطـورة بعـد

الحجازية التي ورثناها والتي جبّت كل لغات الهلال الخصيب.

فكل من يبحث في هذا المجال مضطر إلى أن يعود للأصل، إلى التراث اللغوي للهلال الخصيب ويستعين بما لدينا من لغة عربية. إذن، اعتبار اللغة العبرية هي أم اللغات المحلية القديمة يحمل في ثناياه خطورة على الحقيقة العملية وعلى حقيقتنا الحضارية نحن. وإلا ماذا يعني، وهذا وارد في الدراسات والتلموذ، حين يقولون أن الحرف أول ما عرف، عرف بشكله العبري بـ 22 حرفاً. ولهذا نفهم لماذا جعل اليهود توراتهم تتألف من 22 سفراً وذلك بعد أن ضمّوا أسفارهم إلى بعضها البعض لتصبح 22 سفراً. هذا شيء مركب تركيباً اصطناعياً. نما في المدرسة التلمودية في العصر الوسيط، ثم جاءت بداية الاستشراق الذي موّلته مراكز وجمعيات أطلقنا عليها فيما بعد اسم الاستعمار وخلفه الحركة الصهيونية.

والآن إذا انتقلنا إلى خطورة استخدام هذا المصطلح لقلنا أنه بالإضافة لاعتبار أن اللغة العبرية أم لغاتنا القديمة هناك اعتبار آخر وهو أن الكتابات العبرية هي أصل كتاباتنا القديمة، وأيضاً هذا طرح خاطئ ولا نقبل به، لماذا لا نقبل به ؟ لأنه لا وجود لشيء اسمه الكتابات العبرية، فالتوراة قبل كل شيء هو حرف مشتق من الحرف الآرامي المربع، وهذا مصطلح علمي متعارف عليه في جميع

المراكــز العلميــة الأكاديميــة. وهــذا الحــرف الآرامــي بــدأ يتطــور فــي القــرن الثالــث قبــل الميلاد. والتوراة وضع نقلاً عن نص يونـاني فـي القـرن الثالـث قبـل المـيلاد، والـذي بـين أيدينا الآن هو النسخة السبعينية التـي ثبتت نهائياً في القرن الرابع الميلادي. فالشكل جاء متـأخراً جـداً أي فـي القـرن الرابـع المـيلادي. وهو يتحدث عن أقوام يعود تاريخ وجودها وأحداثه لما قبل هذا بحوالي ثلاثة آلاف عام، ولكن بالمقابل، نحن لدينا نصوص تعود إلـى منتصـف الألـف الثالـث قبـل المـيلاد، عنـدنا كتابــات إبــلا وأوغاريــت وبابــل و..و..فكيــف تكــون العبريــة هــي الأصــل ونحــن الأقــدم ؟ ألــيس فــي هــذا الطــرح غرابــة !؟ وإلا كيــف يصــير الفــرع أصــلا والأصــل تابعــا؟! إذن التسمية خاطئة، فعندما نقول سامية أصبحت تفهم أنها يهودية أو عبرية، والخطر في هذا.

أنــا أطــرح مصــطلح " الشــامية " ولهــذا براهينــه. فالشــام لا يعنــي إســم عنصــر ولا عــرق، إنــه نــابع مــن البيئــة، كمــا أن إقــلاب الســين إلــى الشــين وارد فــي لغتنــا المحليــة القديمة سـواء الأكاديـة أو البابليـة أو الآراميـة أو الآشورية أو الكنعانية.

فنحن حين نقول عسرة فهي عشرة وشمش هي شمس وبيت شان هي بيسان..إلخ..

أنــا أطــرح هــذه التســمية للمناقشــة علّنــا نستطيع إيجاد البديل للسامية.

• الدكتور فواز الخريشة – الأردن:

عندما جاء المستشرقون والعلماء إلى منطقة الهلال الخصيب، وجدوا أثناء تنقيباتهم مجموعة من الألواح والرقم يجمعها جامع واحد مشترك، وهو اعتمادها على الحرف الصامت دون الحركات، سواء القصيرة أو الطويلة وأنها تعتمد على الجذر الثلاثي في معظمها، ولوحظ تشابه هذه الأفعال في المعنى وان اختلفت في تركيب الجملة.

بناء على هذا حاولوا إيجاد مصطلح جامع لكل هذه اللغات كما هو الحال في اللغات الهندوأوروبية التي انفصلت عن السنسكريتية أو اللغات الشرقية. في وضع اللغات السنسكريتية التي منها الهندوأوروبية هناك اللغة السنسكريتية الأم التي وجد لها كتابات في منطقة الهند وغيرها. ولكن في لغاتنا المكتشفة، لم نعثر على لغة أم، ولم توجد نصوص للغة أم، حتى أن العلماء للآن لم يستطيعوا إيجاد لغة أمّ للغات التي أطلق عليها السامية.

العالم شولتزر في القرن الثامن عشر، بحث عن مصطلح يُجمع عليه كل العلماء، فلم يجد إلا التوراة أمامه ليأخذ منها معطى تاريخي وهو سام، ويطلق منذ ذلك الوقت مصطلح السامية. طبعاً لنا مآخذ على هذا الاعتماد التوراتي، لماذا ؟ لأن سفر التكوين في التوراة يقول بأن القرطاجيين ليسوا من

أبناء سام وهم ساميون كما أنه يعتبر العيلاميين من أبناء سام وما هم بذلك.

وبرأيي، أن هذا الرجل رغم معرفته بهذه المغالطة التاريخية قرر أن يسمي كل لغاتنا المكتشفة باسم اللغات السامية تسهيلا للبحث والدرس اللغوي ليس أكثر !؟.

ما يفهم من حديثكم، هو أن (شولتزر) حين أتى بهذا المصطلح في ذلك الزمن وأقصد القرن الثامن عشر كان أمامه كتاب التوراة كمرجع تاريخي وحيد لتاريخ سورية فاستعار منه مصطلح " السامية " عن نية طيبة أو عن سوء نية، ولكن على ما أذكر أنه مع بدايات القرن العشرين وفي ربعه الأول صدر كتاب لفريدريك ديليتش بعنوان " بابل والكتاب المقدس " الذي بيّن فيه ما أخذته التوراة من تراث الهلال الخصيب وبالرغم من هذا نحن الآن أمام انكشاف للحقائق وأمام تراث مسلوب وممسوخ ومعظم المستشرقين نهلوا من هذا السلب والمسخ، ألا تجد أن علينا إعادة النظر في كل ما دونه المستشرقون عن تاريخنا وحضارتنا وتراثنا ؟

سيدي الكريم، في تعقيبكم أشرتم إلى عدة نقاط جديرة بالبحث، فأولاً: كلمة " سامي " أنا أرى أننا نحن العرب أبناء سام! طبعاً هناك بدائل لهذا المصطلح طرحها بعض الأساتذة العرب فمنهم من قال بإبدال مصطلح السامية

إلـــى العربيـــة ومـــنهم مـــن طالـــب بمصـــطلح المشرقية كبديل.

ولكن اسمح لي، أنا أستغرب من الباحثين العرب ؟ لماذا يريدون البحث عن تسميات جديـــدة ! مـــا دامـــت هـــذه التســـمية أخـــذت واعتمدت في جميع المراجع فلماذا نبحث عن اسم جديد !؟.

هذه ناحية، أما الناحية الثانية فما دمنا نحن أبناء سام فعلاً ! ومصطلح السامية واللاسـامية الـذي يسـتعمله الغربيـون الآن، فبرأيـي أن هذا ناتج عن الإعلام الصهيوني فاليهود هم الذين يدعون أنهم ساميون ومن تبقى من البشر غير ذلك.

ما رأيكم بما طرحه الدكتور ألبير نقاش في كتابـه " أخـذة كـش " عـن اسـتبدال مصـطلح السامية بالمشرقية ؟

بأيٍ مفهوم طرح هذا المصطلح ؟ فإذا كان جغرافياً فيجب ألا ننسى أن كلمة لغات شرقية أو لغات المشرق تفهم رأساً من كل البحاثة على أنها لغات الهلال الخصيب ولغات فارس وتركيا وغيرها التي لا تدخل في نطاق اللغات السامية.

فبرأيـــي أن مصـــطلح المشـــرقية يعنـــي كـــل منطقة الشرق الأوسط ولا أرى ضرورة لزيادة البلبلة.

ومـــادام المصـــطلح " الســـامية " ســـار ومسـتخدم فلمـاذا نبحـث عـن بـديل سـيزيدنا

إرياكاً ! حبذا لو بحثنا في أمور أخرى مفيدة أكثر، تقدم شيئاً للغة السامية أو للغة العربية أو تاريخ العرب.

● الدكتور حميدو حمادة:

مصطلح اللغات السامية مصطلح شاع ويصعب استبداله بمصطلح آخر، رغم أنه غير دقيق ولا يستند على قواعد علمية بل هو مصطلح يستند على البحوث التوراتية.
أما المصطلحات البديلة مثل (الجزرية، اليعربية) فلم يتح لها الشيوع بعد، وهي تحتاج إلى تبني الجهات الرسمية التي أصبحت رؤيتها ضبابية، بسبب ما يجري من أحداث في المنطقة. ويجب أن تعقد ندوة ليس لتحديد مصطلح سامية أو عربية أو جزرية بل تمثل ما اصطلح عليه للعديد من المصطلحات التي لم تعد تمثل ما اصطلح عليه. وربما يكون مصطلح لغات الجزيرة وبلاد الشام مقبولاً.

● الدكتور عفيف بهنسي:

يرفض علماء التاريخ والآثار المعاصرون استغلال المبدأ التوراتي في تقسيم طبقات الأمم ونسبهم إلى سام وحام ويافث، ويرفضون نظام السلالات الذي أبان أن هذا التقسيم إنما قام على موقف سياسي، وأهم ما يقوض هذا الخبط التوراتي هو وضع الكنعانيين خارج الأسرة السامية، وسبب هذا

الخبط يعود إلى نظرة اليهود المعادية إلى الكنعانيين ومحاولتهم الاستيلاء على أرضهم وممتلكاتهم الغنية، في حين ضموا العيلاميين إلى ساميتهم على الرغم من بعدها.

وتعود تسمية السامية التي اختارها العالم شولتزر إلى الوحدة التي تربط اللهجات القديمة، الأوغاريتية والفينيقية والارامية والعبرية (؟) شفة كنعان كما ورد في التوراة.

لقد كان لاكتشاف الرقم الإبلائية، والجدل في تحديد هويتها سعياً لبحث علماء اللغة عن علاقة لغة إبلا باللهجات الأكادية والكنعانية، وتبين أن اللهجة الإبلائية هي وسط بين هاتين اللهجتين، وأن جميع هذه اللهجات تنتمي إلى اللغة الأكادية الأم، التي تختلف تماماً عن اللغة السومرية. وتبين أيضاً أن العديد من مفردات هذه اللهجات استمر متداولاً في اللغة العربية ولهجاتها قبل الإسلام. ويعتمد علماء اللغات ومنهم فرانزرولي في تحديد ألفاظ الكلمات ومعانيها، على الكلمات العربية المتداولة أو الغائبة في طيات معاجم اللغة القديمة.

يبقى أن نتساءل عن التسمية الصحيحة لهذه اللهجات. ويرى العلماء أنها تصدر جميعها عن اللغة الأكادية، وهي اللغة الأم الأولى للغة العربية المتداولة حتى اليوم. وبهذا فهي أقدم لغة تعود جذورها إلى بداية التاريخ.

- الدكتور محمد بهجت قبيسي:

إن كلمة سام لم تظهر بالنقوش والكتابات القديمة. إنما ورد خبر " عرب " في هذه الكتابات.

السامية أصبحت محصورة بالصهيونية وهو مصطلح لا يعنينا لا من قريب ولا من بعيد، واني أطرح بديلا عنه هو مصطلح اللهجات العربيات.

– دراسة واستبيان–

إجماع الهيئات والأوساط العلمية الآثارية والتاريخية على ضرورة إنشاء مركز للأبحاث والرقم المسمارية في سورية•

جاء في أحد النقوش المسمارية قبل أربعة آلاف عام : " اجلس، انحن أمام الكتابة ".

جاء هذا القول ولم تكن لتتبلور بعد وبشكل كامل تماماً، معالم الكتابة المسمارية والتي شهدت في حوالي 2600 ق. م بداية اندغام اللغة المحكية آنذاك عبر الكتابة المسمارية في المشرق العربي القديم.. وكنا قد ناقشنا في مؤلفاتنا السابقة مسألة اختراع الكتابة، وبيّنا دور المشرق العربي القديم في ابتكارها ثم تطورها عبر إبلا وصولاً إلى ابتكار الأبجدية الأوجاريتية والتي شكلت بُعداً إنسانياً

• نشرت في مجلة تشرين الأسبوعي – 2001/8/14- العدد 174.

شمل أصقاع العالم كافة آنذاك / في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد / ما عدا آسيا الشرقية ..**وهذا ما وصفه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي بأنه " القدرة الوطنية السورية على الخلق ".**

ولا نعتقد أنه بإمكاننا أن نبقى مكتوفي الأيدي والعقول، تجاه ما تتعرض له الكتابة المسمارية وقراءاتها، من تحوير وتزييف من قبل بعض الدوائر الاستشراقية الغربية من جهة، ومن قبل مراكز المدرسة التوراتية الإثارية، والتي تجهد منذ نشوء علم الأكاديات / علم الكتابات المسمارية / قبل حوالي 150 عاماً من أجل ليّ عنق الحقيقة العلمية لمصلحة الطروحات التوراتية التاريخية المزيفة. وهذا ما سوف نبحثه قبل الخوض في الإستبيان لتبيان أن ثمة تراثاً كتابياً مشرقياً أولاً، وسورياً ثانياً، تحاول الدوائر الصهيونية وبعض الدوائر الاستشراقية، أن تصادره لصالح الطروحات الصهيونية وها هو الدكتور فيصل عبد الله يؤكد أنه قد " آن الأوان لدخول هذا الميدان (ويقصد علم الأكاديات) الذي يسيطر على قسم كبير منه، متخصصون توراتيون وصهاينة، أشبعوا هذا التاريخ دراسة وتمحيصاً ومقارنة مع توراتهم بقصد امتلاكه ونسبته إليهم، كورثة لكل التراث القديم.

** للاستزادة يمكن الرجوع إلى مؤلفنا دراسات في حضارة المشرق العربي القديم – مركز الإنماء الحضاري – حلب – سورية 2003.

ويحذر الدكتور عبد الله: " هل ينتبه العرب إلى هذه المعركة الصامتة والخطيرة*** " ؟!

ولعل مقولة العالمين ميشيل بروز وفيليب تالون توضح قدسية كتابتنا المسمارية والتي شكلت فجر سورية التاريخي، يقول العالمان: " إن المعلوماتية لم تكن لترى النور دون الكتابة وتطوراتها بما فيها علم الرياضيات.. إننا نقتفي دائماً الطريق الذي فتحته لنا شعوب " المشرق العربي" وذلك منذ عشرة آلاف عام****".

بناء على كل هذا ولتبيان أن اختراع الكتابة كان اختراعاً للمعرفة وأن المعرفة يجب أن تصان بشعلتها الأولى والتي كانت في الكتابة المسمارية، سوف نوضح أهمية التراث الكتابي السوري.

التراث الكتابي المسماري في سورية وضرورة حمايته

من تل البيدر إلى ماري وتل براك وابلا وتل بري وتل الفري وتل حديدي وتل الشيخ حمد وإيمار وتل حمام التركمان والبيعة وممباقة وشويات إنليل وابن هانئ، وصولاً إلى أوغاريت..نستطيع أن نحدد أن تراثنا المسماري، يتعدى سبعين ألف رقيم في سورية حتى الآن، ناهيك عما يمكن أن

*** د. فيصل عبد الله – مقدمة في علم الأكاديات – دار الأبجدية – سورية – 1990.

**** EN SYRIE AUX ORIGINES DE L'ECNITUAE. 1997- BREPOLS

يقدمه لنا موقع مدينة قطنة / تل المشرفة في حمص وغيره.

ولعل الحقيقة المرّة والصعبة تكمن، في أن اكتشاف أوغاريت تمّ في عام /1929/، ثم جاء اكتشاف ماري عام /1933/، وتبعه اكتشاف إبلا عام /1968/، وغيرها من المواقع. وتمّ الكشف عن محفوظات مسمارية في القصور الملكية وغيرها بما يتعدى عشرات الألوف من الرقم. وبدأ الغربيون بدراسة رقمنا وترجمتها إلى لغاتهم الأم / الفرنسية، الإنكليزية، الإيطالية، وغيرها /. ويقينا نحن سلبيين، لا بل غير مبالين بهذا التراث المسماري الذي خطه أجدادنا..ولم نقم بإنشاء مركز يعنى بدراسة وترجمة هذه الرقم والكتابات، إلى وريثة اللغات التي كتبت بها وأقصد اللغة العربية. فحدثت شبه قطيعة بين مخزوننا الكتابي منذ فجر التاريخ بلهجاته كافة / الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري ثم العمورية والإبلائية والأوغاريتية.. إلخ / وبين اللغة العربية الوارثة لكل هذه اللهجات. والحقيقة التي لا جدال فيها أن الغرب استمرأ هذا الأمر فكرس هذه القطيعة ولا يزال..ولا نزال نحن غائبين عن تراثنا المسماري الذي وثق بداية تفكيرنا ووجودنا وقيمنا ومعاييرنا ومعتقداتنا وفنوننا..والذي يحاول الصهاينة استملاكه وقراءته وفق مفاهيمهم المنغلقة لإيجاد مبرر تاريخي لوجود مزعوم في منطقتنا العربية.

ولعل الإضاءة على دوائر الإسرائيليات الآثارية والتوراتية، ونشاطاتها يجعلنا نفهم أن ثمة معركة خفية معرفية تخوضها هذه الدوائر ضد حقنا التاريخي والقومي حتى ليبدو أن ما يحصل يفوق بآثاره آثار المعارك الحربية.. لأنه يُعنى بالدرجة الأولى..بحرب المعرفة والوجود المعرفي الأول.

المدرسة التوراتية في الآثار والتاريخ

يبدو أن ثمة خيطاً واحداً يربط بين كاتب التوراة ومن معه، والمدرسة التوراتية الآثارية.. وقد جهد أصحاب وأتباع هذه المدرسة في محاولة تكريس التوراة ككتاب تاريخي للعصور ما قبل الميلادية، لكن ما أحبط نوايا هذه الجهات هو تراثنا المسماري، وكتابات أجدادنا على امتداد المشرق العربي القديم ومصر.

فقد تم تعرية التوراة وتحوّل عبر ما حواه وتحديداً في أسفاره الخمسة الأولى من تزييف وانتحال إلى كتاب روائي لا علاقة له من قريب أو من بعيد بالحقائق التاريخية.

ولعل الفضل في ذلك يعود إلى من خطّ على الرقم الأحداث والأساطير والتأملات والعلوم والآداب. ويبدو أن ثمة سعاراً ينتاب الهيئات العلمية التوراتية، في كل كشف لموقع أثري جديد في المشرق العربي، ولنذكر

أنه حين تم اكتشاف نينوى في القرن التاسع عشر الميلادي، انصب جهد التوراتيين الآثاريين في البحث عن آثار يونس التوراتي. وعندما كشف في الموقع نفسه عن نص مسماري يروي قصة الطوفان جندت حملة أثرية بريطانية بدعم صهيوني إلى الموقع.

وعندما أعلن رولنصون أنه قرأ في أحد النقوش الآشورية خبراً، عن حصار أورشليم من قبل سنحاريب انهالت الاستفسارات والاستيضاحات من كل حدب وصوب.

ثم ومع الثلث الأول من القرن العشرين، ومع اكتشاف أوغاريت بدأت الدراسات والتقارير تتحدث عن وجود تشابه مذهل بين النصوص الأوغاريتية والنصوص التوراتية !!.

ثم اكتشفت ماري وتملّك السّعار الدوائر الآثارية التوراتية، فقد أدى ظهور أسماء أشخاص وقبائل في الرقم إلى محاولات ترمي لإعادة رسم طريق رحلة إبراهيم الخليل في ضوء المعطيات التوراتية !.

وجاء اكتشاف إبلا المثير، وهذا ما أدى بهذه الدوائر أن تكشف عن أقنعتها بشكل سافر. وتبين أن ثمة بعض اللغويين الذين يعملون عندنا في البعثات الأجنبية هم رموز من المدرسة التوراتية الآثارية..ولعل هذا يتبدى واضحاً حين أعلن جيوفاني بتيناتو، قارئ رقم إبلا، أنه ورد في رقم إبلا أسماء مدن خمس وردت في التوارة، وهي: " مجيدو،

شكيم، غزة، سودوم، عامورة " ولكن بعد قراءة الرقم من قبل لجنة متخصصة تبين أن ما قاله بتينانو لا يتعدى كونه كذباً.. وأن ما ورد لا يتعدى أن يكون ذكرا لسبائك معدنية.

ثم بدأت المدرسة تلك في تحريك جهازها الإعلامي حيث تظهر مقالات في التايمز اللندنية، في 1976/10/18، وفي نيوزويك الأمريكية تتحدث عن احتمال أن تكون إبلا هي القدس بالذات.

" لا بل إن صحفيين نشرا كتاباً تحت عنوان " إبلا ثورة في عالم الآثار"، تحدثا من خلاله أن اللغة الإبلائية هي عبرية ! وان تاريخ إبيلا توراتي ! وتوصلا في ادعائهما إلى القول أن اللغة الإبلائية قريبة من العبرية ولا يمكن أن تكون جدة اللغة العربية ؟

والغريب في الأمر أن الدوائر الأثرية التوراتية، لاحظت أن التوارة حوى في سفر إشعيا، الإصحاح 19، الفقرة 18 قولا: تكلمت شفة كنعان.. أي أنهم استعاروا لغتهم من الكنعانيين.

بمعنى أن لا وجود للغة عبرية، فحين طرأ اليهود العبرانيون إلى المنطقة، في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد،(وهم لا يمتون بصلة ليهود اليوم)، وكانوا بدو رحلا لا يملكون من الثقافة العمرانية شيئاً.. فقد أخذوا الكثير من الكنعانيين ومن ذلك لغتهم..لهذا جاء في سفر إشعيا قول: " تكلمت شفة كنعان ".

لكن الدوائر التوارتية أوعزت لتغيير هذه الجملة.. لذا فإن طبعة جديدة للتوراة سوف تصدر عن جمعية التوراة الأمريكية في نيويورك، وبتاريخ 1976، ستغيّر الجملة إلى " تكلمت اللغة العبرية ".

وبالعودة إلى إبلا، ونتيجة لفشل الإدعاءات الصهيونية، جرت محاولة آثمة في عام 1977 لسرقة وخطف رقم إبلا من مستودعاتها وتم إحباطها. ومع كل هذا فإن العالم لوريتس يحذرنا قائلاً: " لن يكون مستغرباً أن تعود الأشباح للظهور مجدداً " ويقصد أشباح المدرسة التوراتية في قراءة التاريخ والآثار.

ويمكن الإشارة أيضاً إلى نشاطات المراكز التوراتية في التاريخ، عبر ما ورد في كتاب الدكتور محمد بهجت قبيسي، " فقه اللهجات العربيات• "، حيث يذكر أن العالم درايفر المهتم باللغة " العبرية " والآراميات صادر قاموس جيزنيوس والمسمى القاموس " العبري – الكلداني " اللاتيني للتوراة وحوّله إلى قاموس جديد تحت عنوان القاموس العبري – الإنكليزي للتوراة وذلك بإسقاط إسم الكلداني، ويذكر المؤلف أن داريفر ألغى أكثر الكلمات العربية العدنانية الواردة في النص الأصلي. ويورد حادثة جرت مع أحد العلماء السوريين في اللغويات (الدكتور فاروق

• د. محمد بهجت قبيسي – فقه اللهجات العربيات – دار شمأل – دمشق 1999.

اسماعيل) حيث كان طالباً عند الدكتور الألماني دونر المختص في الكنعانيات والآراميات، وفي إحدى الجلسات أوجد الدكتور إسماعيل معنى لكلمة يبدو أنها اتسقت بالجملة التي قيد البحث فسر بذلك الأستاذ الألماني وسأل الدكتور إسماعيل: هل وجدت المعنى بالقاموس العبري؟.. فأجابه لا بل بقاموس عربي هو لسان العرب فأبدى دونر انزعاجه وأشاح بوجهه عنه !

وبعد.. فهذا غيض من فيض يوضح ما تقوم به دوائر الآثار التوراتية المدعومة صهيونياً واسرائيلياً في محاولات تجيير تراثنا الكتابي لصالح الخطة الصهيونية ولعل هذا يذكر بما كانت تفعله النازية في محاولات تسخير العلوم الإنسانية والطبيعية لإذلال الشعوب الأخرى.

ونعتقد بعد كل هذا أننا معنيون من الآن وصاعداً وبقوة بالحفاظ على تراثنا الكتابي وقدسيته لأنه يعني المدماك الأول من مداميك الهوية ولعل أولى الخطوات لذلك تتجسد في إنشاء مركز للأبحاث والدراسات المسمارية في سورية ولإيضاح مهام هكذا مركز تنبغي الإضاءة على أبحاث المسماريات الغربية ودراساتها والتي عنت التراث المسماري في سورية.

الأبحاث الاستشراقية للتراث المسماري السوري

بداية، ينبغي إيضاح نقطة أساسية وهي أن اللهجات القديمة من أكادية بفروعها وإبلائية وأوغاريتية وغيرها تشكّل مع اللغة العربية سلسلة لغوية متواصلة ومتصلة وقد جاءت العربية وجبّت كل ما قبلها بما في ذلك الآرامية الشقيقة القريبة جداً للعربية.

لهذا فإن جميع العلماء والباحثين السوريين والعرب يؤكدون على ضرورة قراءة اللهجات القديمة والتي كتبت بالمسمارية باللغة العربية، لهذا لا يعقل مثلاً أن أعبر إلى لغة أجدادنا الأكاديين عبر القاموس الألماني، أو الأوغاريتية عبر القاموس الفرنسي، أو الإبلائية عبر القاموس الإيطالي وهكذا..

وفي هذا المجال لا بد أن نشيد بما قدمه الاستشراق الغربي في مجال اللغويات والمسماريات، ولا سيما الجهات العلمية الرصينة والنزيهة فيه. ولكن مع هذا يبدو أنه قد آن الأوان كي نخطو أولى الخطوات في أن نمتلك وثائقنا بعقولنا وخبراتنا بعد حوالي قرن إلا قليل من اكتشاف أول رقيم مسماري في سورية..وهذه حاجة وضرورة علمية ووطنية بامتياز.. لا سيما إذا علمنا أن لدينا ما يفوق 70 ألف رقيم وأن ترجمة هذه الرقم تتم عبر العلماء الأجانب دون تدخل منا ودون تحقيق ولا تدقيق، لا بل لم نترجم إلى الآن مجلداً واحداً من مئات المجلدات التي نقلها العلماء الأجانب إلى لغاتهم، والتي تحوي مضامين

الرقم. ولنأخذ أمثلة عن تقصيرنا في هذا مجال عبر ما تقوم به الدوائر الأثرية الغربية.

وثائق ماري

أصدر الفرنسيون ما يفوق 35 مجلداً تحوي ترجمات لنصوص ماري وتحمل اسم المحفوظات الملكية لماري(ARM) كما يصدرون سلسلة أخرى تحت عنوان: I.R.A.M. . وقد صدر منها ما يتعدى الخمسة مجلدات. كما تصدر مجلات ودوريات تُعنى بالدراسات المسمارية.. ففي باريس تصدر REVUE D'ARCHEOLOGIE وفي بلجيكا AKKADICA، إضافة إلى دورية U.A.N التي تصدر في فرنسا.

إضافة إلى ذلك، ثمة الكثير من البحوث والدراسات في صحف ومجلات وكتب ودوريات أخرى.

وثائق إبلا

تصدر البعثة الإيطالية التي تنقب في إبلا، بالتعاون مع اللجنة الدولية لقراءة رقم إبلا، سلسلة من المجلدات، تحت عنوان محفوظات إبلا الملكية (ARET). صدر من هذه السلسلة ما يتعدى 12 مجلداً. وتصدر جامعة روما دورية متخصصة تحت عنوان دراسات إبلائية.

أما جامعة نابولي، فتصدر مجلدات عن نصوص إبلا من معهد الدراسات الشرقية في الجامعة، تحت عنوان : MATERIALI EPIGRAFCION DI EBLA . وفي نيويورك تصدر جامعتها عبر مركز دراسات إبلا مجلة EBLAIC .

وهناك عشرات الكتب والدوريات والنشرات التي تتحدث عن إبلا.

وثائق أوغاريت

تنشر البعثة الفرنسية في أوغاريت مجلدات تحوي سلسلة محفوظات القصر الملكي في أوغاريت، تحت عنوان PRU باللغة الفرنسية. وهناك دورية أوغاريتيكيا UGARITICA تصدرها البعثة تحتوي على دراسات لكتابة ولغة أوغاريت.

وفي ألمانيا ومنذ عام 1969، تصدر دورية تحت عنوان FORSCHUNGEN UGARIT ، حيث تضم دراسات أوغاريتية. وتصدر جامعة كالفاري في كندا دورية حول أوغاريت، وكذلك في ألمانيا صدرت كل المراجع عن أوغاريت وبأعداد كبيرة.

كما أصدر سيروس جوردون، معجماً أوغاريتياً، كشف الدكتور محمد بهجت قبيسي، مجموعة أغلاط وأخطاء اقترفها المؤلف، ما يدعو للريبة من وجود خلفية

توراتيــة لجــوردون. وطبعــاً ثمــة كتــب كثيــرة ودراسات أكثر حول أوغاريت تصدر في أنحاء العالم. وتوجد مئات الكتب التي تُعنى بتاريخنا وتراثنا في مكتبات العالم أيضاً.

بنــاء علــى كــل هــذا فــنحن أمــام مهمــة مزدوجــة إذا شــئنا امــتلاك تاريخنــا ووثائقنــا ومنجزنا الحضاري تتجلى في:

أولاً: السعي لقراءة الرقم المسمارية / دون الاتكـال علــى الجسـر اللغـوي الغربــي، إلا بمـا يخـدم العمـل والمـنهج العلمــي / عبــر اللغــة العربيةً وقواميسها.

ثانياً: ترجمة ما صدر من مجلدات بلغات المستشرقين الأم، والتي تحوي مضامين الرُقم مــع التــدقيق والتحقــق العلمــي، بمــا يخــدم مصلحتنا العلمية والتاريخية والوطنية.

ومحاولة إلغاء هذه القطيعة القسرية التـي وجـدنا بهــا أمــام تراثنــا الكتــابي المســماري. وبنــاء علــى هـذا فقـد أجرينــا استبياناً، حــول ضــرورة إنشــاء مركــز للأبحــاث والدراســات المسمارية في سورية، وطرحنـا أسـئلتنا علـى مجموعــة بــاحثين وعلمــاء ســوريين مــن اللغــويين والمــؤرخين والآثــاريين، وســوف نلاحظ أن ثمة إجماعاً من كافة أعضاء هذه الهيئـة علـى ضـرورة إنشـاء مثـل هـذا المركـز بمــا يلبــي حاجــة علميــة وطنــي تُعنــى بتراثنــا وأصالتنا وهويتنا.

آراء العلماء والباحثين

● د. علي أبو عساف:

إن موضوع إنشاء مثل هذا المركز هو جيد جداً جداً، وفي مجال ترجمة المجلدات بما تحتويه من مضامين الرقم فهذا الموضوع يحتاج لمختصين وخبراء، فليس كل من يعرف الألمانية أو الفرنسية أو غيرها بقادر على ترجمة محتويات هذه المجلدات، فهذا الأمر يحتاج لتخصص وخبرة وممارسة.

أيضاً أن آلية الترجمة بالذات، يختلف العلماء العرب حولها.. فحتى الآن الآراء غير متفقة مثلاً حول استخدام الأبجدية المناسبة.

إن مسألة ترجمة المجلدات تحتاج إلى تخطيط ووقت طويل من أجل إرساء الركائز الأساسية ولا سيما المختصين والكوادر.

إضافة إلى هذا، الآن في أمريكا بشيكاغو، هناك معهد الاستشراق الأميركي الذي قطع شوطاً لا بأس به في دراسة المسماريات وها نحن بعيدون عنه حتى الآن.

كما أحب الإشارة إلى أن منهج المدارس الفرنسية، يختلف مثلاً عن الألمانية، وعن الأمريكية، وهذا يخلق إشكاليات إذا لم تكن الكوادر على دراية جيدة بما تقوم به.

● د. عدنان البني:

إنشاء المركز أمر ضروري جداً. أما في مجال ترجمة أو نقل الرقم المسمارية إلى العربية، فلا يوجد عندنا متخصصون مؤهلون حالياً بما في ذلك بعض المتخرجين سابقاً

الذين لم يمارسوا عملهم بشكل علمي بل مارسوه بشكل نظري.

في مسألة ترجمة المجلدات، فهذه مسألة حساسة، فحسب ما يقوله الدكتور بديع الكسم " إن التأليف ترجمة والترجمة تأليف ". ولهذا الترجمة للمجلدات فيها شيء من الصعوبة، بسبب موضوع المصطلحات. فتأمين المترجمين هو شيء مهم وأساسي وينبغي قبل الشروع بذلك أن نؤهل الكوادر لأن هذا الموضوع هام وحساس جداً.

وترجمة المجلدات من أجل القيمة التاريخية فكرة جيدة حيث تتم الترجمة مع تعليق بسيط عليها. ومن أجل إنشاء كوادر متخصصة يمكن إيفاد طلاب من أجل هذا، أو أن يتم ذلك في سورية عبر إلحاق الكوادر بالبعثات الأجنبية، ومعلوم أن في هذه البعثات يوجد باحثون في المسماريات وأعتقد أنهم لن يتوانوا عن تقديم العون والمساعدة لإقامة دورات لكوادرنا، نظرية وعلمية.

● د. فيصل عبد الله:

إنشاء المركز فكرة موفقة، وهو يحتاج لعمل طويل وكوادر متخصصة. ويمكن إنشاء جمعية أهلية حكومية حيث لا بد من وجود منهج وخطة، مثلاً أن نشتري القواميس وندرسها ونترجمها إلى العربية. وأعتقد أن كل عمل في هذا المجال يجب أن يكون عملاً لفريق وليس لأفراد. فاللغة العربية كانت ولا

تــزال المفتــاح لفهــم وترجمــة النصــوص المسمارية. ونحن نمتلك أكبر وأقدم حضارة في العالم وللأسف فإننا لا نستطيع أن نقرأ نصوصنا ونقدم صورة عنها لأجيالنا الآتية.

ولنعلم أن هناك من بدأ منذ نشوء هذا العلم باستملاكه وتجييره له. لهذا فإن قيام مثل هذا المركز بعد حجر الأساس لتأسيس منهج عربي للمسماريات ينبع من خصائصنا ولغتنا وكما قلت اللغة العربية هي المفتاح لفهم وترجمة النصوص المسمارية.

● د. محمد محفل:

إنشاء هذا المركز أمر جيد وضروري وأساسي، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى مؤسسة أو هيئة قادرة وكذلك يحتاج إلى كادر وجهد كبير ووقت طويل. وهذا الأمر سبقنا إليه العراقيون، ولديهم في هذا المجال عمل، بدأ منذ الأربعينيات، حيث كانوا يرسلون الكوادر للتخصص، وأرى أن إقامة مثل هذا المركز ينبغي أن يتم بالتعاون مع العراقيين فكما نعلم أن التداخل الرافدي – الشامي تاريخياً، ولا سيما في العصور التاريخية، يحتم مد الجسور لما هو قائم هناك في هذا المجال. فهناك يوجد أساس لهذا العمل الذي نسعى إليه.

والتداخل الذي عنيته يعبر عنه موقع تل ليلان في سورية ولغة إبلا، والأكادية في أوغاريت، بالإضافة إلى مدينة ماري. ففي هذا

المجال ينبغي وجود تكامل عراقي – سوري، والآن مع العربية العدنانية. إذاً الفكرة مهمة جداً تحتاج لجهود كبيرة وكوادر ووقت طويل وعمل دؤوب.

• د. عفيف بهنسي:

إنشاء المركز فكرة مهمة وضرورية جداً، فنحن أكثر ما نكون بحاجة إلى تخصص في لغاتنا القديمة ووجود مختصين أكفياء، وأعتقد أنه يمكن ربط مثل هذا المركز بمجمع اللغة العربية، لأن أساس اللغة العربية كما هو معلوم يكمن في جذورها في لغاتنا القديمة التي كتبت بالمسمارية. الفكرة جيدة وجديرة بالاهتمام ومهمة جداً وتصب في المصلحة الوطنية والقومية.

• د. عيد مرعي:

إنشاء المركز خطوة مفيدة ورائعة وحضارية، وبصراحة نحن ندعو لذلك منذ زمن ليس بقريب، ولكن للأسف لم نلحظ تلبية من الجهات المسؤولة. فهذا المركز هو مشروع مؤسساتي يحتاج للدعم والإمكانات المادية الكبيرة. فالرقم المسمارية السورية هي ملك وطني عام أولاً، وملك للحضارة الإنسانية، لذا ينبغي أن تهتم الجهات المسؤولة بإنشاء مركز يعنى بحفظها ودراستها وترجمتها وكل ما هنالك من أعمال، وإن إنشاء هذا المركز حلم بالنسبة

لي..ليؤسس أولاً ولو بخطوة أولى، وحتماً سوف تتبعها خطوات لما فيه المصلحة العلمية الوطنية.

● أ. حميدو حمادة:

أنا متحمس لإنشاء هكذا مركز وحتى إذا احتاج الأمر لرصد مالي فأنا جاهز. نحن في سورية قادرون على التعاون مع النص الأصلي، وكما هو معلوم أن اللغة العربية فيها ملامح من اللغات القديمة التي دونت بالمسمارية. في مجال ترجمة المجلدات لا أعتقد أنه يمكن ترجمتها لأنه شيء مرعب وان كان فلا بد من عمل مؤسساتي، ووجود هيئة متخصصة، لأن الكثير من تراثنا هذا مخترق، وحتى لغاتنا القديمة مخترقة، والطامة الكبرى كانت في نقل محتويات الرقم المسمارية إلى اللغات الأجنبية، وقد جرى الكثير من التشويه، فنحن نجد كلمة يد بالمسمارية وهي نفسها بالعربية ولكن في الترجمات الأجنبية نجدها تعني يهود، وهناك الكثير من الأمثلة.

لهذا ترجمة المجلدات تحتاج برأيي إلى فريق من المتخصصين باللغات الأجنبية، التي ترجمت إليها الرقم ثم إلى فريق من اللغويين متخصصين باللغات القديمة، ولا بد من الرجوع إلى المراجع والقواميس ولا بد من الاطلاع على كل ما كتبه المستشرقون في مجال اللغة ولكن بحذر، هناك حوالي 40 ألف

مجلد عن أوغاريت، فما الصيغة التي ينبغي تقديمها بعد نقلها لعدة ترجمات ؟ أعود للقول أنا متحمس لإنشاء مثل هذا المركز مع وجود فريق عمل متخصص ومنهج واضح.

● د. سهيل زكار:

إنشاء المركز ضروري وهام جداً وما زلنا ننتظر تأسيسه لأن غالبية النصوص محرفة، وأعتقد أن إنشاء مثل هذا المركز يحتاج إلى تمويل. ومنذ سنوات أنادي بتأسيس مركز للإسرائيليات في الآثار والتاريخ، وأعتقد أن الدكتور محمد بهجت قبيسي تجاوز البعض في معرض دراساته حول صلات لغاتنا القديمة بالعربية العدنانية.

إنشاء المركز عمل ضروري لإلغاء كل أعمال التزييف مع الإشارة إلى ضرورة تأمين التمويل وإنشاء الكوادر.

● د. أحمد هبو:

إنشاء المركز ضرورة وندعو له، ونحن في جامعة حلب عندنا دبلوم في الدراسات " السامية " القديمة، وقد منحنا " ماجستير " لأحد الباحثين عن لغة إبلا. الموضوع مهم ونحن بحاجة له.

● د. ميشيل مقدسي:

إن كنا قد هللنا لجان فرنسوا شامبليون عند كشفه لأسرار حجر الرشيد عام 1822، وإخراجه تاريخ بلاد النيل من العدم، وصفقنا

عند إعلان الجمعية الملكية الآسيوية في لندن بولادة علم الآشوريات عام 1857، وأعجبنا عندما قام الثلاثي شارل فيرولو وهانس باوير وادوارد دورم، بتفسير أسرار الأبجدية الأوغارئيتية في أعوام 1929 و1930و1931 متى وكيف وأين سيهللون ويصفقون ويعجبون بما سنكتشفه ونعلنه ونفسره ؟ !

● أ. خالد الأسعد:

أنا قلباً وقالباً مع إنشاء مثل هذا المركز، ونتطلع حقيقة إلى دراسة الرقم المسمارية دراسة عربية جيدة وعلمية، لأن جميع الدراسات المسمارية ومجالاتها من تحليل وترجمة.. إلخ..هي دراسات استشراقية.. فآن الأوان لدراسة الرقم عبر علمائنا وكوادرنا بدراسة وطنية، ولا مانع من أن تشارك الفعاليات الأجنبية النزيهة معنا.

● د. إلياس بيطار:

إنشاء المركز أمر مهم وأتفق معه.

● د. زياد سلهب:

مشروع قيم وهام جداً ونضم صوتنا إلى صوتكم في إنشاء هذا المركز.

● د. جهاد عبود:

أنا مع إنشاء مثل هذا المركز.

● د. رحاب أبو عباس:

إن أحداث مثل هذا المركز هو من الضرورات القصوى بالنسبة لمجال المسماريات في سورية ولا بد أن تكون هناك خبرة وطنية كفوءة لترجمة الرقم المسمارية.

- أ. بشير زهدي:

أنا مع إنشاء هذا المركز، على أن يكون تابعاً للمديرية العامة للآثار والمتاحف التي لديها هذه الرقم والمؤلفات المتعلقة بها والأضابير العلمية وغيرها. بالإضافة إلى اعتماد هذا المركز على الخبراء والعلماء السوريين والعرب المطلعين على هذه الرقم ومجالاتها المختلفة. ويمكن الاستعانة بالعلماء الأجانب والخبرات النزيهة التي يمكن أن يقدموها في هذا المجال.

- د.مأمون عبد الكريم:

إنه مشروع ممتاز ونطالب به حرصاً على هويتنا الوطنية والعلمية.

- أ. محمد وحيد خياطة:

إن إنشاء هذا المركز يعد مشروعاً رائداً ونطالب به، على أن يكون هناك مركز واحد فقط يعود إليه كافة الدارسين للغويات المسمارية كما ينبغي أن يضم مثل هذا المركز جميع الرقم المسمارية المكتشفة في سورية.

- أ. أسعد المحمود:

إنشاء هذا المركز يعد من أهم المهمات الكبرى الوطنية والعلمية، ومن الأهمية أن تكون هناك كوادر وطنية متخصصة تقف جنباً إلى جنب وبندية، أمام العلماء الأجانب المتخصصين في المسماريات.

- أ. بسام جاموس:

توجد ضرورة ملحة لإنشاء هذا المركز لحفظ المخزون الكتابي المكتشف في سورية من جهة، كما أن ترجمة المجلدات الغربية إلى اللغة العربية تحتاج إلى كوادر متخصصة لتقف جنباً إلى جنب مع المختصين الأجانب. إنه مشروع هام.

- د. يسرى الكجك:

إن إنشاء هذا المركز يعد ضرورة قومية لما له من مساس بهويتنا الوطنية. وأعتقد أن اختيار القائمين عليه يجب أن يكون دقيقاً للغاية، بحيث يتمتعون بقدرات علمية عالية واطلاع تاريخي وأثري عميقين وبشكل تخصصي.

أما في اتجاه تأهيل الكوادر فإنني أرى أنه يجب الاتجاه نحو إلزام البعثات الأجنبية العاملة في سورية في هذا المجال عبر تأهيل كوادر سورية.

- أ. محمد علي مادون:

أؤيد وأؤكد على ضرورة التحرك العلمي نحو بناء مدونة أو مدونات عربية، في مجال الموروث الحضاري من المسماريات واللهجات العربيات الـ 38 بكل أبجدياتها. ونظراً لبقائها مغتربة جميعها- إلا ما ندر – عن العربية الأم، بينما نراها مترجمة إلى لغات عديدة عدا العربية، ولأنها تشكل مجالاً متاحاً للتزوير المقصود أحياناً ولخلو قراءاتها من وجهة النظر الذاتية، ومن رأي وارثيها العرب من أحفاد من نقشوها ودونوها. ونظراً للكم الهائل من المخزون الكتابي المسماري، ومن النقوش الكتابية باللهجات العربيات، فإني أدعو لإنشاء مثل هذا المركز على أن يشمل دراسة المسماريات من جهة والعربيات أيضاً وهذا يحتاج إلى دعم كبير ونزيه وقوي.

● أ. محمد فارس:

إن إحداث هذا المركز يعد مشروعاً جديراً بالاهتمام وحاجة وطنية وعلمية ملحة. فهو يفيد للتعرف على تاريخنا الحضاري الصحيح عبر العلماء العرب والسوريين، الذين يحافظون على المعلومة بأمانة ودون تحريف، إنشاء مثل هذا المركز سوف يؤدي إلى تأمين كوادر وطنية متخصصة في قراءة الرقم، أتمنى أن يتم إنشاؤه وأن يأخذ مكانه

ومكانتـه ليواكـب الخبـرات الأجنبيـة ويسـبقها وهذا أفضل.

● أ. حسن زين الدين :

إنشـاء مثـل هـذا المركـز يعد حيويـاً وهامـاً جداً لدراسـة تاريخنـا القـديم بصـورة صـحيحة ودقيقـة وغيـر مشـوهة. وهـذا الأمـر يحتـاج لتكليف الاختصاصيين الموجودين سواء أكانوا داخـل سـورية أم خارجهـا، كمـا يحتـاج إلـى تدريب وتأهيل كوادر علميـة، ويتطلـب إنشـاء قسـم جـامعي خـاص بهـذا الاختصـاص أسـوة بالجامعات الأوروبية.

مناقشة نتائج الاستبيان

تبـين لنـا أن ثمـة إجماعـاً علـى ضـرورة إنشـاء مثـل هـذا المركـز، ولـو بخطـوة إداريـة أولى تأسيسية. وقد فتح بعض الباحثين آفاقاً جديدة لمهمات هذا المركز، كما أورد الدكتور زكـار، حـول إنشـاء قسـم خـاص يعنـى " بالإسـرائيليات " علـى قاعـدة معرفـة كيـف يتصـرف الصـهاينة وكيـف هـي نشـاطاتهم.. بالإضـافة إلـى هـذا ثمـة افتـراض أن تشـمل مهمـات المركـز إقامـة مـؤتمر سـنوي عـالمي للمسماريات فـي سـورية، أسوة بمـا يقـام مـن مؤتمـر عـالمي لعلمـاء الآشوريات أو الأكاديات سنوياً في إحدى عواصم العالم المتقدم، حيـث يلتقـي أكثـر مـن 300 باحث وعـالم. وطبعـاً لا يخفـى أن " إسـرائيل " مـثلاً

أرسلت لمؤتمر سنة 2000م حوالي عشرين عالماً في وقت اكتفت سورية بإرسال مراقب لا علاقة له من قريب أو بعيد بعلم الأكاديات. ونحن نعلم ماذا يقدم العلماء " الإسرائيليون " من محاضرات وأفكار تمس تراثنا وحقنا بشكل مباشر.

ولا يخفى في مجال الباحثين السوريين وجود حزازات وخلافات في منهج العمل تصل إلى حد التضارب والتضاد، رغم أن الأرضية العلمية الوطنية موجودة لدى كلا الطرفين.. ولعل احتواء المركز على هذه الخبرات سوف يجعل تضادها يدخل تحت سقف العلم والمنهج العملي ضمن المركز لا خارجه في أروقة الجامعات وما إلى ذلك.

وقد طرح الدكتور علي أبو عساف فكرة استخدام المعلوماتية في مجال البحث المسماري واللغوي، وهذا ما يقوم به معهد الإستشراق الأميركي، وقد قطع خطوات لا بأس بها في هذا المجال. ونحن ما زلنا غائبين تماماً، لا بل لا يوجد هيئة علمية في سورية توطد العلاقة مع مثل هذه المعاهد العلمية. بالإضافة إلى الاستفادة من الخبرات العراقية في هذا المجال كما طرح الدكتور محمد محفل.

وبعد.. فليس من المعقول أن يبقى مخزوننا الكتابي..فجرنا..ذاكرتنا، مستباحاً بين أيدي الاستشراق الغربي والصهاينة لذا فإن إنشاء هذا المركز سوف يؤدي إلى:

1. إنشاء كوادر وبشكل مستمر ترفد العمل البحثي والدراسي والترميمي للرقم.
2. إن احتواء المركز على الرقم المسمارية السورية كافة، يجعلها في أمانٍ أكثر وضمن شروط أقرب للمثالية عوضاً على أن تبقى مخزنة في مستودعات المتحف أو المتاحف ونحن نعلم ماذا تعني كلمة مستودع وكلمة تخزين من مآس.
3. لا بد من أن يسعى المركز لإقامة دورات لتعلم اللغات القديمة كالأكادية والإبلائية والأوغاريتية وغيرها.
4. إقامة مؤتمر سنوي لعلم المسماريات يكون أكثر منهجية ودقة علمية، طالما أستبعد العلماء " الاسرائيليون " بمناهجهم السياسية التوراتية في الآثار.
5. السعي لإعداد منهج عربي في قراءة المسماريات، وإعادة الخبرات التي غادرت سورية لأسباب معيشية لضمها إلى المركز.
6. السعي لوضع رؤية واضحة وعلمية لترجمة المجلدات الحاوية على مضمون الألواح المسمارية من لغات الاستشراق إلى اللغة العربية مع التحقق والتدقيق ألعلميين.
7. إعداد دورية تُعنى بعلم المسماريات تكون محكمة وعلمية ورصينة.
8. إقامة أوسع العلاقات مع مراكز الاستشراق العالمية ذات التوجهات

العلمية الرصينة والنزيهة، والتي حسمت أمرها في اعتبار المدرسة التوراتية الآثارية، قد آلت إلى الأفول بطروحاتها المغرضة والمزيفة.

9. ادخال المعلوماتية في البحث المسماري واللغوي، كي يعود منجزنا إلينا، على قاعدة أنه لولا الكتابة واختراعها ثم الأبجدية لما وصلنا إلى المعلوماتية.

10. يبدو أن سجن المزة سابقاً يشكل مكاناً لائقاً لمثل هذا المركز كونه يمتلك صفات الرحابة والبعد عن التلوث البيئي والحماية إلخ..واعتقد أن إعادة تأهيله بما يلائم الشروط الطبيعية لحفظ الرقم سيجعل ذاكرتنا الكتابية في أمان.

فهل تبادر الجهات المعنية ولا سيما وزارة الثقافة والتي فشلت منذ الاستقلال في إنشاء مثل هذا المركز أن تبادر لوضع الدراسات لمثل هكذا مركز والتصورات التي تجعلنا نؤكد على تعزيز تراثنا الأصيل.. والإنساني في آن.

ألم يقل أجدادنا في أحد رقيماتهم قبل أربعة آلاف عام: " اجلس، انحنِ أمام الكتابة.." .

صدر للمؤلف:

دراسات وبحوث:

1- دراســات فــي حضــارة المشــرق العربي القديم – مركز الإنماء الحضاري – حلب – سوريا 2003.
2- العبرانيــون فــي تــاريخ المشــرق العربي القديم – دار الرائي – دمشق – سوريا 2004
3- مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية – دار الرائي – 2005.